جامعة أل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ



الحياة الاقتصادية في مصر في فترة حكم أسرة السلطان قلاوون المملوكي

(٦٧٨هـ / ١٢٧٩م – ٧٨٤هـ / ١٣٧٢م)

The Economic Life Egypt during the period of Judgement Qalawoon Dynasty (٦٧٨AH / ١٢٧٩ AD – ٧٨٤ AH/ ١٣٨٢ AD)

إعداد الطالب

طعمه ملح نومي العبيدي

(١٣٢٠٣٠٣٠٣٠)

إشراف الدكتور

أنور عوده الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

الفصل الدراسي الأول

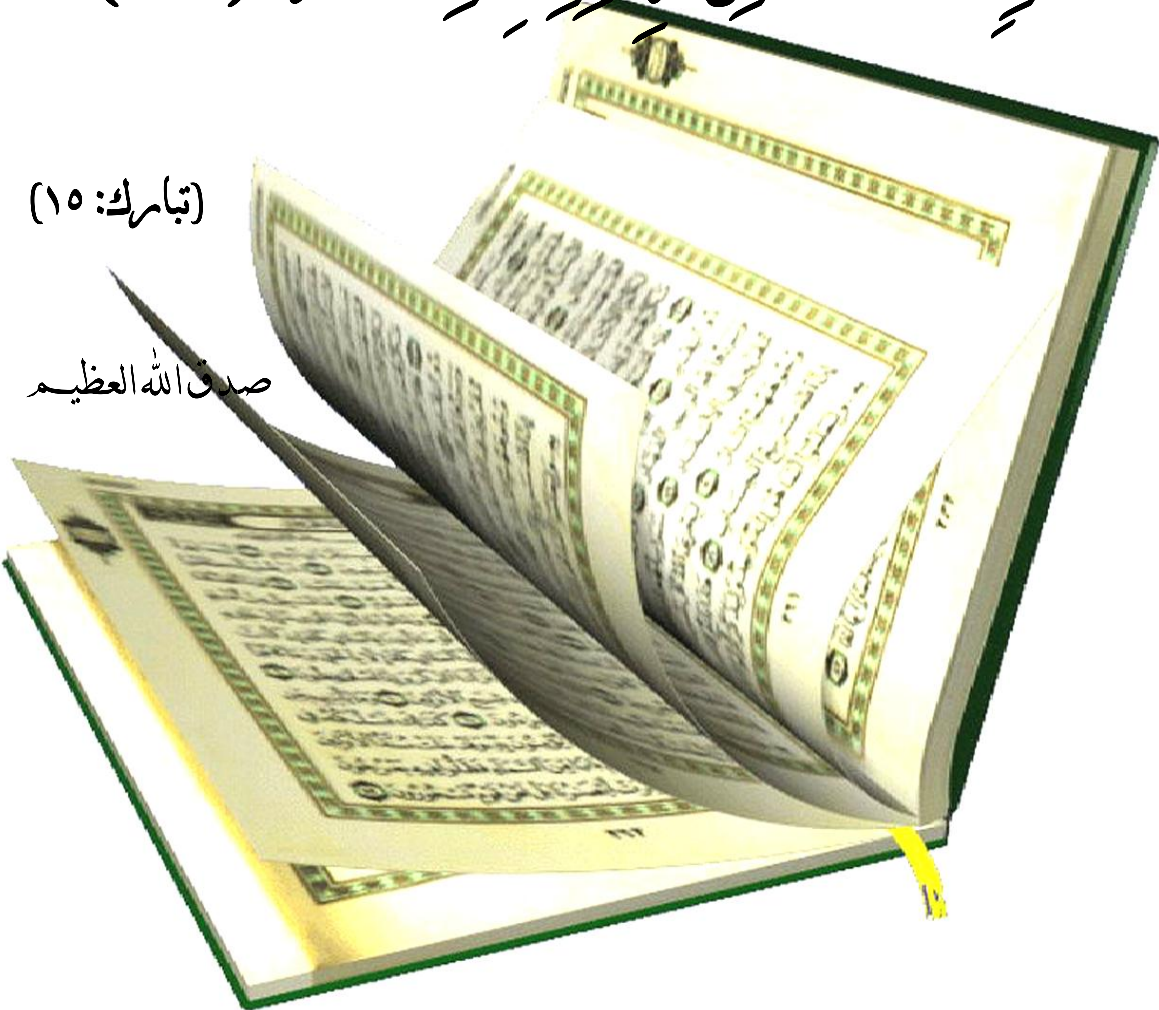
٢٠١٥ / ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

(تبارك: ١٥)

صدق الله العظيم



التفويــض

أنا الطالب: طعمه ملح نومي العبيدي، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات والمؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: / /

الإقرار

أنا الطالب: طعمه ملح نومي العبيدي   الرقم الجامعي: ١٣٢٠٣٠٣٠٣٠

التخصص: التاريخ   كلية: الآداب والعلوم الإنسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

الحياة الاقتصادية في مصر في فترة حكم أسرة السلطان قلاوون المملوكي

(٦٧٨هـ / ١٢٧٩م – ٧٨٤هـ / ١٣٧٢م)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، كما إنني أعلن بان رسالتي هذه غير منقولة أو مستله من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون حق لي في التظلم والاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت.

توقيع الطالب:...........................   التاريخ: /   / ٢٠١٥

قرار لجنة المناقشة

الحياة الاقتصادية في مصر في فترة حكم أسرة السلطان قلاوون المملوكي

(٦٧٨هـ / ١٢٧٩م – ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)

The Economic Life Egypt during the period of Judgement Qalawoon Dynasty (678AH / 1279 AD – 784 AH/ 1382 AD)

إعداد الطالب:

طعمه ملح نومي العبيدي

الرقم الجامعي ١٣٢٠٣٠٣٠٣٠

إشراف الدكتور

أنور عودة عواد الخالدي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. أنور عودة عواد الخالدي	(مشرفاً ورئيساً)	
أ. د. عليان عبد الفتاح الجالودي	(عضواً)	
د. موسى أحمد بني خالد	(عضواً)	
د. عيسى محمود العزام	(عضواً خارجياً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

نوقشت وأُصي بإجازتها يوم الأثنين الموافق ٤ / ١ / ٢٠١٦م



إلى بلدي الحبيب العراق

إلى من أدين لهم بحياتي بعد الله عز وجل.

إلى والدتي أطال الله في عمرها   وإلى والدي أطال الله في عمره -

اللذين أحاطاني بكل عطف ورعاية جزاهما الله خير الجزاء.

إلى زوجتي وأولادي الذين تحملوا عناء فراقي.

إلى إخوتي وأخواتي الذين مدوا إلي يد العون والمساعدة.

إلى أصدقائي وزملاء الدراسة الأعزاء.

إلى كل من أسهم معي في إخراج هذه الرسالة إلى الوجود.

إلى جيل قادم لا محالة .

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي عرفاناً وتقديراً.

وجزاهم الله عني خير الجزاء

الباحث

طعمة العبيدي



الحمد لله حتى يرضى والحمد لله اذا رضى والحمد لله بعد الرضى، حمداً طيباً طاهراً كثيراً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على حامل اللواء المعقود، والمقام المحمود، والحوض المورود، والصراط الممدود، رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى صحبه ومن اهتدى بهدية واقتفى أثره إلى يوم الدين ... وبعد...

ومن دواعي الشكر والتقدير والفضل ووفاء مني لأهل الفضل والموقف الجميل لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجميل مع احترامي وامتناني إلى قدوتي ومثلي الأعلى أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الدكتور أنور الخالدي على ما قدمه لي من عون وما بذله معي من جهد وعناء في قراءة الرسالة، إذ أغناها بآرائه الحكيمة الصائبة، وتوجيهاته السديدة نحو المنهج الدقيق في البحث إلى أن وصلت الرسالة إلى ما وصلت إليه فجزاه الله عني كل خير.

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام لقبولهم مناقشة هذا البحث وتقويمه، وبيان هفواته، داعياً المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الدكتور عيسى محمود العزام على ما قدمه لي من عون وتوجيه فجزاه الله عني كل خير وأساتذتي في قسم التاريخ – الدراسات العليا- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة آل البيت، وبارك الله في عملهم الوافر ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

كما أتقدم بوافر شكري وامتناني إلى زملائي وأصدقائي وأخص منهم بالذكر الأخ مخلف عبدالله الجبوري وأهلي الذين كانوا سنداً وعوناً لي من أجل إتمام رحلتي في طلب العلم.

الباحث

طعمة العبيدي

قائمـــــة المختصرات

الرمز	المدلول
ت	تاريخ الوفاة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
مج	مجلد
ق	قسم
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ
د. ن	دون دار نشر
د. م	دون مكان نشر
ع	العدد بالنسية للدوريات
P	رقم الصفحة بالإنكليزي
Vol.	رقم الجزء بالإنكليزي

قائمـة المحتويـات

الصفحة	المـــــــوضـــــــــوع
ب	الآية القرآنية
ج	التفويض
د	الإقرار
ه	قرار لجنة المناقشة
و	الإهداء
ز	الشكر والعرفان
ح	قائمة المختصرات
ط	قائمة المحتويات
ن	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٢	التعريف بالمصادر
	التمهيد: قيام دولة المماليك البحرية
٩	المماليك : اصلهم ومناطق وجودهم
١٠	دولة المماليك البحرية
١٣	انتقال من أسرة بيبرس إلى أسرة قلاوون
	الفصل الأول: الزراعة والثروة الحيوانية في عهد أسرة قلاوون
١٩	أولا : رعاية سلاطين أسرة قلاوون للزراعة
٢٩	ثانياً : مقياس النيل واثره على الزراعة
٢٩	المقياس
٣٢	فيضان النيل

الصفحة	المـــــــوضـــــــــوع
٣٤	أثر فيضان النيل على الزراعة والحياة الاقتصادية
٣٨	ثالثاً : الإقطاع واثره على الفلاحين
٣٨	الإقطاع
٤٣	أثر الإقطاع على الفلاحين
٤٥	رابعاً: أصناف الأراضي الزراعية وتنوع المحاصيل
٤٥	أصناف الأرض الزراعية
٤٧	المحاصيل الزراعية
٤٧	أ ـ المحاصيل الشتوية
٥٠	ب ـ المحاصيل الصيفية
٥٣	ج- أشجار الفاكهة
٥٥	خامساً : إعادة توزيع الأراضي في عهد الناصر محمد (الروك الناصري)
٦٣	سادساً : الثروة الحيوانية
	الفصل الثاني: الحرف والصناعات عهد أسرة قلاوون
٦٧	الصناعة في فترة حكم سلاطين أسرة قلاوون
٦٩	أولا: صناعة المنسوجات
٧٣	ثانيا: صناعة المواد الغذائية
٧٦	ثالثاً: صناعة المعادن والزجاج والخريف
٨٣	رابعاً: الصناعات الخشبية
٩٠	خامساً: صناعات أخرى
	الفصل الثالث: التجارة الداخلية في عهد أسرة قلاوون
٩٩	أولا : عوامل ازدهار التجارة عهد أسرة قلاوون

الموضـــــــــــوع	الصفحة
ثانياً: الأسواق في مصر عهد أسرة قلاوون	١٠٦
أنواع الأسواق المحلية	١٠٨
١ ــ أسواق المواد الغذائية	١٠٨
٢ ــ أسواق الأقمشة والملابس	١١١
٣ ــ الأسواق الخاصة بلوازم الجنود	١١٣
٤ ــ أسواق لوازم السفر	١١٤
٥ ــ أسواق متعددة الأغراض	١١٥
الحسبة ومراقبة الأسواق	١١٩
موارد الدولة المالية	١٢١
الموارد الشرعية	١٢٢
الموارد غير الشرعية	١٢٥
الفصل الرابع: التجارة الخارجية في عهد أسرة قلاوون	
أولا: العلاقة التجارية بين مصر ودول المشرق والمغرب	١٣٧
العلاقة التجارية بين مصر والدول الشرقية والأوربية	١٣٨
أهم مراكز التجارة الخارجية في مصر	١٤٦
ثانياً : طرق التجارة العالمية والسلع المتبادلة	١٤٨
أهم طرق التجارة العالمية	١٤٨
السلع التجارية المتبادلة بين الشرق والغرب	١٥٣
١ ــ صادرات شرق أسيا وأفريقيا إلى أوربا	١٥٤
التوابل	١٥٤
سلع العقاقير الطبية	١٥٦

الصفحة	المـــــــوضـــــــوع
١٥٩	الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة
١٦٠	سلع أخرى
١٦٢	٢ ــ الصادرات الأوربية إلى مصر وشرق أسيا
١٦٤	ثالثاً: تجارة الكارم
١٧٢	الخاتمة
	الملاحق
١٧٥	جدول رقم (١) سلاطين أسرة قلاوون
١٧٦	جدول رقم (٢) أسماء الأشهر القبطية وما يقابلها من الأشهر السريانية
	قائمـــة المصـــــادر والمراجـــــــع
١٧٨	أولا: المصادر
١٨٥	ثانيا: المراجع العربية والمعربة
١٩٠	ثالثا: الدوريات والأبحاث
١٩١	رابعا: الرسائل الجامعية
١٩٢	خامسا: الدراسات باللغة الإنكليزية
١٩٣	ملخص باللغة الإنكليزية

ملخص

الحياة الاقتصادية في مصر في فترة حكم أسرة السلطان قلاوون المملوكي

(٦٧٨ هـ / ١٢٧٩م – ٧٨٤هـ / ١٣٧٢م)

أعداد الطالب: طعمه ملح نومي العبيدي

إشراف الدكتور: أنور عودة الخالدي

تكمن أهمية هذه الدراسة في إعطاء صورة واضحة عن الحياة الاقتصادية في مصر في فترة حكم أسرة السلطان قلاوون، من خلال التركيز على جوانب الحياة الاقتصادية المتمثلة بالزراعة والصناعة والتجارة، وقد قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول رئيسية فضلا عن المقدمة والخاتمة.

تطرق التمهيد إلى التكوين السياسي لدولة المماليك البحرية من خلال تناول، المماليك أصلهم ومناطق وجودهم، وقيام دولة المماليك البحرية، وانتقال الحكم من بيت الظاهر بيبرس إلى بيت قلاوون.

وتناول الفصل الأول، الزراعة والثروة الحيوانية في عهد أسرة قلاوون، من خلال ستة جوانب، تناول الجانب الأول رعاية سلاطين أسرة قلاوون للزراعة، وتطرق الجانب الثاني إلى مقياس النيل وأثره على الزراعة، وتناول الجانب الثالث الإقطاع وأثره على الفلاح، فيما تناول الجانب الرابع أصناف الأرض الزراعية وتنوع المحاصيل الزراعية فيها، وتطرق الجانب الخامس إلى إعادة توزيع الأرض في عهد أسرة قلاوون والذي عرف بالروك الناصري، وتناول الجانب السادس الثروة الحيوانية .

أما الفصل الثاني فتطرق إلى الحرف والصناعات وتطورها خلال عهد أسرة قلاوون، من خلال خمسة جوانب، الجانب الأول تناول صناعة المنسوجات وأنواعها، ومراكزها، وتطرق الجانب الثاني إلى صناعة المواد الغذائية، وأنواعها وابرز مراكزها، بينما تناول الجانب الثالث صناعة المعادن والزجاج و الخزف، وفي الجانب الرابع تناول الصناعة الخشبية، وأنواعها وأهم مراكزها، فيما تطرق الجانب الخامس إلى صناعات أخرى كانت موجودة في مصر.

أما الفصل الثالث فتطرق إلى التجارة الداخلية في عهد أسرة قلاوون، وذلك من خلال ثلاثة جوانب، الجانب الأول تناول عوامل ازدهار التجارة في عهد أسرة قلاوون، وفي الجانب الثاني

تطرق إلى الأسواق التي كانت موجودة في مصر تلك الفترة، وأنواعها، وتناول الجانب الثالث الضرائب والمكوس التي كانت مفروضة من الدولة على المواطنين.

أما الفصل الرابع فتطرق إلى التجارة الخارجية في عهد أسرة قلاوون، من خلال ثلاثة جوانب، تناول الجانب الأول العلاقات التجارية بين مصر ودول الشرق والغرب، وأهم المراكز التجارية في مصر، وتطرق الجانب الثاني إلى طرق التجارة الدولية والسلع المتبادلة بين دول الشرق والغرب عن طريق مصر، وفي الجانب الثالث تناول التجارة الكارمية.

وأخيراً تناول الباحث الخاتمة وفيها تم عرض أهم النتائج التي توصل إليها من خلال هذه الدراسة.

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

يعد العصر المملوكي عصرا على جانب كبير من الأهمية بين عصور التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ مصر خاصة، لما لهذا العصر من مكانة بارزة حافلة بالكثير من الأحداث التي تنعكس أهميتها على العالم الإسلامي، ويمثل ذلك في صد الغزو المغولي عن مصر وبلاد الشام، وتحرير بلاد الشام نهائيا من الفرنجة، إلى جانب ذلك لا ننسى التقدم الحضاري الذي برز في عصرهم متمثلا في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، وما واكبة من تقدم علمي وعمراني واقتصادي.

ولقد كانت لأسرة بني قلاوون متمثلة بالسلطان قلاوون وابنه الناصر محمد ومن جاء بعدهم دور مهم في هذا البناء التاريخي الكبير، حيث حفلت فترة حكم هذه الأسرى بكثير من الإنجازات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويشكل الجانب الاقتصادي مظهراً هاماً من مظاهر الدولة في عهد أسرة بني قلاوون من حيث إعادة مسح الأرض وتطبيق النظام الإقطاعي، وتشييد الجسور ، وشق القنوات والخلجان، وإيصال الماء إلى ابعد نقطة ممكنة لري الأراضي، وتوسيع مساحات الأراضي الزراعية، ورعاية الصناعة وما آلت اليهم صناعة النسيج من تطور أدى إلى زيادة الطلب عليها في الدول الأوربية، ناهيك عن الاهتمام الذي أولوه للتجارة بشقيها الخارجية والداخلية.

هناك العديد من الدراسات التي تناولت الحياة الاقتصادية في مصر في عصر المماليك، إلا أنه لا يوجد دراسة متكاملة عن الحياة الاقتصادية خلال حكم أسرة قلاوون، على الرغم من طول فترة حكمهم الذي كان زهاء القرن (٦٧٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٧٩ – ١٣٨٢م) وهي أطول فترة حكم لأسرة واحدة في العصر المملوكي.

وقد تناولت الدراسة الحياة الاقتصادية في مصر في فترة حكم أسرة قلاوون واشتملت على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وقائمة مصادر ومراجع، وذيلت بعدد من الملاحق التوضيحية.

اطار البحث:

تناول التمهيد، أصل المماليك، ومناطق وجودهم، وأقسام المماليك، وبدايات دولة المماليك البحرية، وكيفية انتقال الحكم من بيت بيبرس إلى بيت قلاوون.

وقد تناولت في الفصل الأول الزراعة في عهد أسرة قلاوون، من حيث رعاية سلاطين أسرة قلاوون للزراعة، ومقياس النيل، وأثره على الزرعة في مصر، ونشأة الإقطاع في مصر وآثاره على الفلاح في مصر، والروك الناصري، وهو إعادة توزيع الأرض من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والثروة الحيوانية.

وعالجت الدراسة في الفصل الثاني الصناعة في عهد أسرة قلاوون، من حيث تطورها، والصناعات المشهورة في مصر ومن أبرزها المنسوجات، و المواد الغذائية، و المعادن والزجاج والخزف، و الخشبية، وصناعات أخرى كانت منتشرة في مصر.

أما الفصل الثالث فقد عالجت فيه التجارة الداخلية من حيث تطورها في عهد أسرة قلاوون، والأسواق التي كانت موجودة في تلك الفترة، وأنواع الضرائب والمكوس التي كانت مفروضة على الناس.

وتناولت في الفصل الرابع التجارة الخارجية من حيث علاقة مصر التجارية مع دول الشرق والغرب ، واهم الطرق التجارية التي كانت موجودة في تلك الفترة، وأنواع السلع التجارية المتبادلة، وتجارة الكارم.

وفي الخاتمة استخلصت النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التعريف بالمصادر:

١- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، وهو من كبار مؤرخي العصر المملوكي بما أمتاز به من الدقة والتحري لما ينقله من أخبار ، فضلاً عن ما امتاز به من ثقافة واسعة وعلم غزير انعكس على كتاباته ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفادت الدراسة بجميع فصولها ، وهو خاص بمصر تناول فيه المهن، والأثار المصرية القديمة بوصف دقيق ، وعني عناية خاصة بخطط الفسطاط والقاهرة ، كما تناول حارات القاهرة وبين كيف بنأها، ودروب القاهرة وأزقتها وأسمائها، وقد

أفـادت منـه الدراسـة مـن حيـث معالجتـه أوضـاع مصـر مـن حيـث الخلجـان والقنـاطر والبـرك والجسـور التـي كانـت قبـل عصـر المماليـك، والتـي تـم أنشـاءها مـن قـبلهم وسـبب أنشـاءها، وكـذلك تنـاول مقيـاس النيـل وأثـر ارتفـاع وانخفـاض النيـل علـى الحيـاة السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة، وكيـف كـان يقـاس، ومقـدار وفـاء النيـل، وذكـر الأسـواق وأنواعهـا وأسـمائها ، وتنـاول الضـرائب التـي كانـت تجبـى فـي مصـر وأثرهـا علـى المجتمـع ، ولـم يكتفـي بـذكر الضـريبة، إنمـا كـان يبـين رأيـه فيهـا سـلبا أو إيجابـا، وطـرق المعيشـة بأرجائهـا الواسـعة ، والتحـدث عـن الوكـالات التجاريـة والفنـادق، والخانـات، والأسـواق ، والخانقـات ، وقـد قـدم المقريـزي معلومـات عـن الاحتفـالات والأعيـاد لفئـة العامـة، ويمكـن القـول أنـه كتابـاً جامعـاً لأحـوال مصـر بتاريخهـا وآثارهـا ومجتمعاتهـا، وميزتـه أنَّـهُ لـم يكـن وصـفيًا انطباعيًّـا لكـلِّ ذلـك، بـل غلـب عليـه الطـابع البحثـي التحليلـي، وقد أفادت منه الدراسة في جميع فصولها لأنه مصدر هام للحياة الاقتصادية في مصر.

٢- صـبح الأعشـى فـي صـناعة الإنشـاء ، لأبـو العبـاس احمـد بـن علـي القلقشـندي (ت٨٢١هــ /١٤٠٨م) ، ويعـد هـذا الكتـاب مـن أبـرز الموسـوعات فـي العصـر المملـوكي ، والـذي يقـع فـي خمسـة عشـر مجلـداً فـي المواضـيع التاريخيـة ، والجغرافيـة ، والإداريـة ، والسياسـية والعسـكرية، وقـد تـوفر فـي هـذا الكتـاب نمـاذج مـن الوثـائق الرسـمية والمراسـلات ، وجـاء إيـراده لهـذه الوثـائق بحكـم عملـه بـديوان الإنشـاء ،كمـا أفـرد فـي كتابـة مقالـة عـن المسـالك والممالـك، بشـكل عـام وعـن جغرافيـة وتـاريخ مصـر بشـكل خـاص منـذ دخولهـا الإسـلام إلـى أيامـه، ولعملـه فـي ديـوان الإنشـاء فقد وضـع قـوانين ديـوان الإنشـاء، وكـذلك أورد فـي كتابـة كنـى أصـحاب السـيوف والأقـلام والأعمـال، والخلفـاء والملـوك وألقـابهم، كمـا تنـاول بـلاد الشـام والبلـدان بمصـر فـي عصـره، وقـد افـادت منـه الدراسـة فـي جميـع فصـول الدراسـة سـواء فـي الزراعـة مـن حيـث ذكـره للجسـور والتـرع والخلجـان التـي أقيمـت فـي مصـر، ومقيـاس النيـل وأثـره علـى مصـر، وأنـواع الصـناعات التـي قامـت فـي عصـر المماليـك، والتجـارة وطرقهـا ومـن الوثـائق والمكاتبـات والمعاهـدات التـي قامـت بـين مصـر والـدول الأخرى.

القلقشـندي فـي جمـع مادتـه علـى مصـادر عـدة، أحـد مـن بينهـا: محفوظـات ديـوان الإنشـاء مـن الوثـائق والمراسـلات السـلطانية والدبلوماسـية، . وكمـا اعتمـد علـى : أمهـات الكتـب والمصـنفات فـي مختلـف ميـادين العلـم والأدب التـي ذكرهـا فـي كتابـه، وكـان هنالـك المشـاهدة العيانيـة والمعايشـة للأحـداث التـي شـاهدها وعـاش أحـداثها بنفسـه، وقـد قـدم لنـا مـن مشـاهداته ومعايشـته للأحـداث مـادة هامـة تضـمنها كتابـه، وقـد أفـادت الدراسـة منـه فـي

جميع فصولها وذلك لتناوله الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كما تناول الزراعة ومقياس النيل، وهو من المصادر المهمة لدراسة الحياة الاقتصادية في مصر، إلى جانب تعريفه للكثير من مصطلحات العصر المملوكي.

٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) وهومن الكتب التاريخية المهمة، و يتكون الكتاب من أربعة أجزاء، وكل جزء مقسم إلى ثلاثة أقسام، يؤرخ الكتاب لمصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، وهي فترة مهمة من التاريخ الإسلامي ، لما رافقتها من أحداث مثل توسع المغول وسقوط الخلافة في بغداد، وصد الغزو المغولي، وهو كتاب تاريخي يعتبر من أبرز مؤلفات المقريزي، وأهم الكتب التي كتبت عن تاريخ مصر الوسيط.

وفي هذا كتاب ذكر المصنف مَن ملك مصر من الملوك الأكراد الأيوبية، والسلاطين المماليك التركية والجركسية، وحصر أخبارهم الشائعة، ولم يعتن فيه بالتراجم والوفيات، لأنه أفرد لها مؤلفًا آخر، واعتمد المقريزي على المصادر التي سبقت زمانه، مثل مؤلفات ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) و ابن أيبك والدوادارى (ت ٧٣٦هـ / ١٤٣٢م) و بيبرس(ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م) والنويري(ت بعد ١٣٧٢/٧٧٥م)، و محيى الدين بن عبد الظاهر(ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) و غيرهم.

المقريزي صنف هذا الكتاب على منهج الحوليات و دون أحداث كل سنة في فصل مستقل و ختم كل سنة بذكر الوفيات والترجمة للمتوفين باختصار، ففي الجزء الأول يتحدث عن الفترة الممتدة من سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، إلى سنة ٧٠٣ه / ١٣٠٣م، كل سنة على حدة، وفي الجزء الثاني يتحدث عن الفترة الممتدة من ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م، إلى سنة ٧٥٤ ه/ ١٣٥٣م، أما في الجزء الثالث فيتحدث عن الفترة الممتدة من ٧٥٥ه/١٣٥٤م، إلى سنة ٨٠٧ه / ١٤٠٤م، وفي الجزء الرابع يتحدث عن الفترة الممتدة من سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م إلى سنة ٨٤٤ هـ/١٤٤٠م، علما أن الكاتب يستعمل نفس المنهاج التاريخي في جميع كتبه التاريخية.

وأهم ما يميز منهج المقريزي عن غيره من الكتاب أنه لم يكتفي بعرض الأحداث التاريخية، إنما كان يحلل هذه الأحداث، وينتقد بعض أعمال المسؤولين، وهو بذلك يكون مؤرخاً، ومحللاً وناقداً، في نفس الوقت، وقد أفادت منه الدراسة في جميع فصولها لتناولة أعمال السلاطين بشكل مفصل ويومي.

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، بدأ المؤلف كتابة منذ الفتح العربي لمصر سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م وينتهي في تدوين إلى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م وتحدث فيه عن مصر، ومحاسنها، وأحوال النيل و تقلباته و وفاءه و شحته من عام إلى عام، وتكلم فيه عن خراج مصر، وتحدث عن النشاط العمراني فيها، توسع في حديثه عن مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، و بعد أن سرد أخبار الدولة المملوكية ووصل لعصره، بدأ الكتاب يأخذ شكل سجل يومي حولي من عهد الناصر فرج بن برقوق تقريباً حتى عهد الأشرف قايتباي.

اتبع ابن تغري بردي نظام الحوليات في تدوين مادته التاريخية، إلا أن ابن تغري بردي خالف منهج أستاذه تقي الدين المقريزي حيث وضع كل فترة من فترات السلاطين فصل في حد ذاته و ثم كتب السنين و أحداثها تباعاً داخل الفصل حتى يصل إلى وفاة السلطان و يتكلم عنه على شكل ترجمة منفصلة يتخللها أحداث أحياناً ثم يرتب سنين عهد السلطان ترتيباً عددياً، وكان من المصادر المهم للدراسة لما فيه من ذكر للأسواق، والضرائب، وأعمال السلاطين.

٥- كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، (ت ٧٣٣ه / ١٣٣٢م) يقع هذه الكتاب في ٣٣ جزءا، مقسما على خمسة فنون الأول يتحدث فيه عن السماء والأثار العلوية والأرض والأثار السفلية وهو قسم جغرافي فلكي عام، والفن الثاني يتكلم فيه عن الإنسان وما يتعلق به، والفن الثالث عن الحيوان، والفن الرابع عن النبات، والفن الخامس عن التاريخ، هذه الأقسام الأربعة تشغل عشرة مجلدات. أما القسم الخامس وهو التاريخ، فيشغل ما تبقى من هذه الموسوعة، وذلك أن النويري في الأساس مؤرخٌ عظيم، وقد سرد فيه تاريخ الإنسانية بدءاً من أبى البشر أدم مروراً بالأنبياء حتى سيد الرسل محمد ومراحل التاريخ الإسلامي المتعددة إلى سنة ٧٢١ه/ ١٣٢١م.

واستقى مادته من مصادر متنوعة ، وقد ذكرها في كتابه، مثل كتاب إحياء علوم القران، للغزالي، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، وفقه اللغة للثعالبي، ونزهة المشتاق للإدريسي، وغيرها من الكتب الأدبية والتاريخية، إضافة لمشاهداته للأحداث التي عاصرها، وخصوصا في عصر الدولة المملوكية الأولى، وبذلك يكون شاهد عيان على ما يكتبه في ذلك العصر.

ومنهجه في الكتابة التاريخية هو المنهج الحولي، حيث كان يذكر السنة، ثم يدون الأحداث التاريخية تحتها. وقد أخذت الدراسة من الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب وذلك لتناولها العصر المملوكي، وهو موضوع الدراسة، وخاصة فيما يتعلق في مقياس النيل، وفيضانه.

٦- كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، أبي البركات محمد بن أحمد بن إياس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، يتألف الكتاب من خمسة أجزاء، الجزء الأول مقسم إلى قسمين، وقسم خاص بالأعلام والفهارس، وبهذا يكون هذا الكتاب مكون من خمسة أجزاء في ثمان مجلدات.

يتحدث الكتاب عن تاريخ مصر من بداية التاريخ إلى سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م ، وهو بهذا قد عاصر دولتين هما دول المماليك، وبداية الدولة العثمانية، وكان منهجه كسابقيه منهج الحولي حيث يذكر السنة ثم يورد الأحداث التي مرت بها، والوفيات من الأعيان والأمراء، وقد أفاد الدراسة في جميع فصولها، لأنه في حديثه عن مصر، كان يتطرق إلى الأوضاع الاقتصادية، وكذلك عند ذكر مدينة يتناول منتجاتها، والصناعات التي توجد فيها وغلى غير ذلك من أحداث، وأفادت الدراسة، من حيث ذكره للمراكز الصناعية التي كانت في مصر، والصناعات التي كانت منتشرة فيها.

٧- معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ه/١٢٢٩م) ، ويعد كتاب معجم البلدان كتاب جغرافي تعرض فيه المؤلف لبيان الأقاليم الجغرافية وما تحتوي عليه من مدن ، كما ذكر فيه كثير من الجوانب الأدبية والتاريخية، وقد أفادت الدراسة منه في التعريف بالمدن والقرى وتحديد مواقعها الجغرافية ، والتعرف على بعض الجوانب الاقتصادية، التي تناولها عند حديثه عن مدينة معينة، وقد أفادت الدراسة منه في التعرف بالمدن والقرى وتحديد مواقعها الجغرافية.

٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٣هـ/١٤٤٩م) ، ويوفر كتاب الدرر تراجم للعديد من أهل مصر خلال القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر الميلادي ، كالفقهاء والعلماء والقضاة والمحدثين والأدباء والشعراء والتجار وغيرهم ، وهذا ما أغنى الدراسة في ترجمة كثير من الشخصيات المهمة.

٩- كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٣٨م) كتاب موسوعي، وكانت الفائدة من هذا المصدر في جميع فصول الدراسة لما تضمنه من معلومات عن جغرافية مصر وأمصارها، والمحاصيل التي تزرع فيها،

وكذلك الإقطاع ، وأعطيات الجند، حيث يعطينه تفاصيل دقيقة عنها، وما كانت عليه قبل الروك الناصري وما آلت إليه بعده .

١٠-تحفة النظار في غرائب الأمصار، المعروفة برحلة ابن بطوطة، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم المعروف بابن بطوطة(ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) فقد بدأ رحلته عام ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م فزار بلاد الشام ومصر، ووصف بعض مدنها وقراها، وترك وصفا جغرافيا مهما اعتمد على مشاهداته، وكانت الإفادة من هذا الكتاب في جميع فصول الكتاب، ففي الفصل الأول كانت الإفادة فيما يذكره عن محاصيل كل مدينة مرة فيها ، وفي الفصل الثاني كان يورد معلومات عن الصناعات التي كانت تشتهر فيها كل مدينة مصرية، وكذلك يعطي وصف للطرق التي مر بها في رحلته ومن هذا تم الفائدة عند تناول الطرق التجارة العالمية.

هذا بالإضافة إلى العديد من المراجع العربية الحديثة والأجنبية المعربة التي أفادتني في إعطاء صورة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية آنذاك منها كتاب (دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص) لمحمد جمال الدين سرور، وكتاب (العصر المماليكي في مصر والشام) لسعيد عبد الفتاح عاشور، وكتاب (نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة للنظم السياسية) لعبد المنعم ماجد، وكتاب (التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار) لعبد المنعم ماجد، وكتاب (النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك) للبيومي إسماعيل، وكتاب (النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك) لقاسم عبدة قاسم، وكتاب (المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري) لفالتر هنتس ، الذي أفاد في المكاييل والأوزان الواردة في الدراسة ، وكتاب (معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي) لمحمد احمد دهمان ، وقد أفاد الدراسة بتعريف الكثير من المصطلحات التاريخية السائدة في عصر المماليك البحرية، وكتاب (النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى)، لإبراهيم علي طرخان، فقد أفادني عن الحديث عن النظام الإقطاعي الذي كان سائدا في تلك الفترة، وفتح السبيل أمامي للعديد من المصادر التي أخذ منها مؤلف هذا الكتاب فأطلعت عليها وأخذت منها.

التمهيد

قيام الدولة المملوكية البحرية

المماليك: أصلهم، ومناطق وجودهم

المماليك جمع مفردها مملوك، والمملوك عبدُ يباع ويُشترى وأكثرهم من الأتراك، تم شرائهم من قبل السلاطين والأمراء والخلفاء من أسواق النخاسة البيضاء لإنشاء وتأسيس الجيوش وإعدادهم للغزو والجهاد[١]، والكثير منهم تم جلبهم من الصحاري في جهة الشمال في أواسط وغرب آسيا (القبجاق)[٢]، ويقطنها الكثير من الناس وهم من جنس الأتراك يسكنون في تلك الصحاري، وهم كعادات البدو أهل حلٍ وترحال من أجل العيش بسبب فقرهم والصعوبات التي تواجههم في معيشتهم وكانت بلادهم من أهم البلاد لفرص العيش وذلك للاتجار بالرقيق من جنس أبنائهم من الأتراك[٣].

وقد اشتهرت مناطق كثيرة بتجارة الرقيق من الأتراك، وأهم تلك المناطق أقاليم ما وراء النهر، حيث كانت مصدراً هاماً للرقيق الذي أصبحت تجارته مهنة عظيمة ومربحة تدر أموالاً طائلة على ممتهنيها، وصارت أقاليم أعالي نهر (جيحون)[٤]، من أهم المراكز لقوافل الرقيق من الأتراك الآتية من غرب وأواسط آسيا، وأصبح أهل (خوارزم)[٥] أثرياء بسبب متاجرتهم بالرقيق من الأتراك، الذين يجلبون إلى أقاليمهم ويقومون بتربيتهم تربية إسلامية، وبعد ذلك يقومون ببيعهم إلى التجار فيقوموا التجار بإيصالهم وبيعهم إلى الخلفاء والوزراء والسلاطين والأمراء في المدن الإسلامية[٦]،

---

(١) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **المختصر في أخبار البشر**، تحقيق زينهم محمد عزب يحيي سيد حسين، ٤ ج، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص٢١٥. وسيشار إليه فيما بعد ، أبو الفداء، **المختصر**.

(٢) القبجاق، إقليم بحوض نهر الفولجا بالجنوب الشرقي في روسيا الحالية وشمال البحر الأسود والقوقاز، وأهلها من الترك، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد ، (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ١٥جزءاً، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٨٧، ج٤ ، ٤٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: **القلقشندي، صبح الأعشى**.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٥٧.

(٤) إقليم نهر جيحون، من الشرق جعله متصلاً بتركستان الشرقية وأواسط آسيا ومن الشمال الغربي تجعله متصلاً بجنوب روسيا وشرق أوروبا، ويتجه غربا إلى إيران والخليج العربي. ابن حوقل، أبو القاسم (٣٦٨هـ/٩٧٨م)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طبعة ١٩٩٢، ص٣٨٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حوقل، **صورة الأرض**.

(٥) خوارزم، مدينة خوارزم أو مدينة خيوة كانت قديماً تابعة لإقليم مدينة خراسان الكبرى وتحدها من الشرق بلاد الروس وسبب تسميتها بهذا الاسم لأنها بلاد طيبة وأهلها علماء وفقهاء أذكياء وأغنياء. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ط ٢، ٧ أجزاء ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص ٣٩٥. وسيشار إليه فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان.

(٦) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص٣٧٦-٣٧٧.

وتعتبر (سمرقند)[1] من الأقاليم التي اهتمت بتربية الرقيق، واتخذ أهلها ذلك صنعة يعيشون منها وأيضاً إقليم (نيسابور)[2]، وإقليم (مرو)[3] حتى بلغت أثمان الرقيق مبالغ خيالية، حيث بلغ ثمن الغلام أو الجارية من الأتراك ما يزيد على ثلاثة آلاف دينار[4]، تلك وغيرها من المدن الرئيسية تعتبر من المراكز لتجارة الرقيق، التي كان يصلها من غرب وأواسط آسيا، وأصبحت طرق للقوافل التي تحمل أفواجاً من الرقيق سواء كان من آسيا الوسطى أو من الأراضي الشمالية الغربية معروفةً بالطرق التجارية في العصور الوسطى[5].

دولة المماليك البحرية:

من قيام الدولة التي أسسها المعز آيبك[6] سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م حتى سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م سميت بدولة المماليك البحرية نسبة إلى بحر النيل الذي أحاط بثكناتهم في جزيرة الروضة وهناك رأي آخر يقول أن التسمية جاءت نسبة الى الطريق البحرية الذي سلكه المماليك من أسواق النخاسة في بلادهم إلى شواطئ البحر الأسود إلى مصر حتى الإسكندرية ودمياط[7].

اهتم السلطان الأيوبي الصالح أيوب (٦٣٧ – ٦٤٧هـ / ١٢٤٠- ١٢٤٩م) منذ توليه عرش مصر بالإكثار من شراء المماليك الأتراك إلى حد لم يبلغها غيره من أهل بيته وصار أغلب جيشه منهم، والسبب من وراء ذلك يعود إلى خوف الصالح أيوب من اجتماع الملوك الأيوبيين ضده بزعامة عمه إسماعيل، وخشية من انقلاب المماليك

---

(١) سمرقند، بلدة مشهورة، تقع في آسيا الوسطى. ياقوت، **معجم البلدان،** ج٣، ص٢٤٦.

(٢) نيسابور، تقع في الشمال الشرقي من بلاد فارس (إيران الشمالية). ياقوت، **معجم البلدان،** ج٥، ص٣٣١.

(٣) مرو، تقع شمال بلاد ما وراء النهر. ياقوت، **معجم البلدان،** ج٥، ص١١٢.

(٤) ابن حوقل، **صورة الأرض،** ص٣٥٥.

(٥) **المصدر نفسه،** ص٣٤٠.

(٦) لفظة أيبك يتركب من كلمتين هما آي ومعناها القمر، وبك ومعناها الأمير ، فمعنى الاسم (الأمير القمر). وكان في الأصل مملوك لأولاد التركماني، وهم بنو رسوم في اليمن فعرف أيبك التركماني ،ثم انتقل لخدمة الملك الصالح أيوب. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٧ ، ص ١٩. وسيشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**.

(٧) العبادي، احمد مختار، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،** دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م،ص١١. وسيشار إليه فيما بعد. العبادي، قيام دولة المماليك؛ طقوش ، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام،** ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٩م، ص٢٣. وسيشار إليه لاحقاً. طقوش، تاريخ المماليك.

الكاملية والأشرفية عليه إذا رجحت لديهم كفة [1]، جاءت الفرصة المناسبة للمماليك في مصر للتدخل في الحكم عند قدوم الحملة الفرنجية الصليبية بقيادة الملك لويس التاسع، فبالرغم من التدابير الدفاعية المتخذة من قبل الأيوبيين أستطاع الجيش الصليبي من النزول إلى دمياط وأستولى عليها سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م وفي هذه الظروف الحرجة توفي الصالح أيوب، وهنا برزت شجرة الدر، واستطاعت أن تتلافى الموقف حيث عملت على إخفاء موت زوجها خشية تضعضع أوضاع المسلمين، وأرسلت في الوقت نفسه تدعو ابنه الوحيد توران شاه من حصن كيفا، وهنا برز المماليك البحرية الذين أخذوا على عاتقهم إنقاذ الموقف، وفي هذا الأثناء وصل توران شاه، وأعلنت عن وفاة الصالح أيوب، وسلمت شجرة الدر مقاليد الأمور إليه، وأستطاع أن ينتصر على الصليبيين بفضل جهود المماليك، وتسلم مقاليد الحكم في مصر وتلقب بالسلطان الملك المعظم توران شاه [2].

وما أن استلم الملك المعظم توران شاه (٦٤٧ – ٦٤٨هـ / ١٢٤٩ – ١٢٥٠م) السلطة تنكر للمماليك البحرية وفقد الثقة بهم، وأبعدهم عن المناصب الكبرى، وجردهم من مظاهر السلطة، وأمر باعتقالهم، كما تنكر لشجرة الدر، واتهمها بإخفاء ثروة أبيه، ونتيجة لهذه السياسة، حنق عليه المماليك البحرية، وتخوفوا من نواياه، واستقر رأيهم بالاتفاق مع شجرة الدر على قتله سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م [3].

وعندما نزل الملك المعظم توران شاه في فارسكور[4]، وأمر الأمراء بأن يقفوا أمامهم ويشير عليهم بعصا من ذهب، فتقدم إليه أحد الأمراء المماليك البحرية وبيده السيف وهو بيبرس البندقداري، وضربه بالسيف وتلقاه بيده فقطع أصابعه وهرب إلى برج الخشب الذي بناه له في فارسكور وأغلقه على نفسه، وعندها اجتمع أمراء المماليك على إنهاء أمره والتخلص منه إلى الأبد، وأضرموا النيران بالبرج وخرج منه والنيران تلتهمه حتى وصل إلى البحر ولحقوه وهو يستغيث ويستنجدهم على من يجيره ويقول: "

---

(١) العبادي، **قيام دولة المماليك**، ص ٩٤.

(٢) العبادي، **قيام دولة المماليك، ص ٩٥**؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٣٢.

(٣) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٣٣؛ العبادي، **قيام دولة المماليك، ص ١١٢.**

(٤) فارسكور، وهي من قرى مصر قرب دمياط وهي من كورة الدقهلية. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٢٢٨.

دعــوني لا أريـد ملكـاً دعــوني أعــود إلــى الحصـــن يــا مسـلمين"، وعنـدها كــان الأمــراء يرمونه بالنشاب ولحقوه في البحر وقطعوه بالسيوف حتى مات[١]،

ويقــول المقريــزي "مـــات جريحـــاً حريقـــاً غريقـــاً"[٢]، وعنـــدها هـــرب أصـــحابه واختفوا جميعاً، وأخرجوه من البحر وظل مرمياً على شاطئ البحر ثلاثة أيام بلياليها ولم يدفنه أحد، وبعد ذلك دفن على شاطئ البحر ولا علم لأحد بقبره[٣].

كانت فترة سلطانه قرابة الأربعين يوماً وهو آخر ملوك بني أيوب منذ أن قامت دولتهم بقيادة الناصر صلاح الدين الأيوبي، وقد دامت دولة بني أيوب قرابة الست وثمانين سنة وبهذا انتهى عصر الدولة الأيوبيه وبدأ عصر دولة المماليك البحرية [٤].

وقع اختيار المماليك على شجرة الدر لتكون سلطانة على عرش مصر، وأخذت البيعة في صفر سنة ٦٤٨ه / ١٢٥٠م، وعهد إلى عز الدين أيبك بأتابكية العسكر، ومدبرا للمملكة، واجه حكم شجرة الدر معارضة من الأيوبيين في الشام، وكذلك من الخليفة العباسي المستعصم بالله(٦٤٠ ــ ٦٥٦هــ / ١٢٤٢ ــ ١٢٥٨م) [٥] عندما كتبوا إليه يطلبون منه تأييد سلطنة شجرة الدر فكان جوابه: " إن كان الرجال قد عدمت عندكم فاخبرونا حتى نسير إليكم رجلا " [٦]، بعد هذا الجواب من قبل الخليفة عزلت شجرة الدر نفسها، وتزوجت عز الدين آيبك الصالحي، وبذلك أبقت على السلطة الفعلية في يدها[٧].

---

(١) أبو الفداء، **المختصر**، ج٣، ص٢١٩، المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٤ أجزاء ، صححه وضبط حواشي(الجزئيين الأول والثاني): محمد مصطفى زيادة، وحقق(الجزئيين الثالث والرابع) سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢،ج١، ق٢، ص٣٦٣. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، **السلوك**؛ ابن إياس، محمد بن أحمد،(ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص٧٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن إياس، **بدائع الزهور** ؛

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص٣٦٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ج١، ق٢، ص٣٦٣.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ص٧٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣٣١.

(٥) العبادي، **قيام دولة المماليك، ص ١١٨**؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٤٣.

(٦) المقريزي ، **السلوك** ، ج١، ق٢ ،ص ٣٦٨؛ ابن أياس ، **بدائع الزهور**، ج١، ص٧٣ ؛

(٧) العبادي، **قيام دولة المماليك، ص ١٢٣**؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٤٣.

ويقسم المماليك إلى[1]:

١. الخاصكية: وهي فرقة ينتخبها السلطان من بين المماليك ويشكل منها حرسه الخاص الذي يلازمه أفرادها، واليهم توكل المهام التشريفية من تنفيذ الأحكام الخطيرة كإعدام الأمراء الخارجين على السلطان.

٢. القرانيص: وهم مماليك السلطان القدامى، وينقسمون إلى قسمين مماليك السلطان المتوفي منذ أمدٍ بعيدٍ وهم عادة كبار السن، ومماليك السلطان الذي توفى منذ فترة قصيرة، وهم اصغر سناً وأقوى شكيمة ويمثلون القوة الحقيقية للدولة عند تولي السلطان الجديد الحكم[2].

٣. السيفية: وهم مماليك الأمراء الذين توفوا أو قتلوا أو سجنوا وأسقطت عنهم الإمارة لذلك فهم مشابهون للقرانيص من حيث التركيب لتعدد انتماءاتهم، وقد اختلف السيفية في كونهم ليسوا كطبقة عند أمير واحد، لذلك كانوا غرباء بعضهم عن البعض الآخر، مما جعلهم أقل خطراً من الطبقتين السابقتين، ورضوا بما يهبه لهم السلطان.

٤. الأجلاب: وهم رقيق يشتريهم السلطان بواسطة تجار خاصين به أو عن طريق التجارة الحرة التي قام بها التجار الأجانب، ويختلف الأجلاب عن الجلبان لان الجلبان يكونوا قد بلغوا سن الرجولة والبلوغ في حين يكون الأجلاب من صغار السن.

انتقال الحكم من أسرة بيبرس إلى أسرة قلاوون:

حاول السلطان الظاهر بيبرس أن يجعل الحكم في مصر وراثيا في أبنائه، وقد مهد لذلك بأخذ قسم يمين الطاعة من الأمراء لابنه الملك السعيد سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٠م، ثم ولاه عهد السلطنة عندما خرج إلى الشام لملاقات التتار الذين قدموا إلى بلاد الشام سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٢م لينوب عنه في مصر، وقد قام احتفالاً كبيراً لهذه المناسبة، وقرئ فيه تفويض عهد السلطنة ، بحضور الأمراء وقاضي القضاة والعلماء[3].

---

(١) حسن، طه صفوان، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، دار الفكر، عمان،٢٠١٠م، ص١٤١. وسيشار اليه فيما بعد: حسن، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**.

(٢) ابن اجا، محمد بن محمد الحلبي،(ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م)، **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك،مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار**، تحقيق: محمد احمد الدهمان، دار الفكر للطابعة والنشر، دمشق،١٩٨٦م،ص١٨٥.وسيشار إليه فيما بعد: ابن اجا، العراك بين المماليك

(٣) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب،(ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ٣٣ جزءاً، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ج٣٠، ص ١٠١.

وعندما توفي السلطان الظاهر بيبرس بدمشق سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م جدد للملك السعيد البيعة بالسلطنة، وبايعه كذلك جميع العسكر، والقضاة والأعيان(١)، قرب الملك السعيد جماعة من المماليك الخاصكية (٢) إليه، وكانوا هؤلاء يتدخلون في تعيين نواب السلطنة وعزلهم، وفي توزيع الإقطاعات، وادى الأمر إلى حصول نزاع بين الملك السعيد والمماليك الخاصكية، ونائب السلطان الأمير سيف الدين كوندك الساقي، الذي أستطاع من كسب جماعة من الأمراء إلى جانبه(٣)، ذكر النويري أن من أسباب الفتنة التي وقعت بين السلطان ونائبه: " أن السلطان أكثر من الإنعام على الخاصكية، وأوسع في العطاء لهم" (٤).

وعندما ازداد النفور بين السلطان والأمراء، حاول التخلص منهم وذلك بسجن بعضهم، نفر الأمراء منه وخاصة الأمير سيف الدين قلاوون، فاجتمع الأمراء مع أجنادهم وأتباعهم ومن انظم إليهم من العسكر وأرسلوا رسالة إلى الملك السعيد هددوه فيها، وطلبوا منه الإقلاع عن هذه الأعمال ضدهم، ونص الرسالة: " إنك قد أفسد الخواطر، وتعرضت إلى أكابر الأمراء فإما أن ترجع عما أنت عليه وإلا كان لنا ولك شأن"(٥)، واستمرت الرسائل بينهم حتى تقرر الصلح، إلا أن الملك السعيد مال إلى جانب خاصكيته، الذين أشاروا إليه بإقصاء الأمراء عنه، فأرسلهم لغزوا سيس، بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون، ولم تكتف الخاصكية بذلك، بل طلبوا من الملك السعيد القبض عليهم عند عودتهم من سيس(٦).

لما عاد الأمراء عرفوا بنواية الملك السعيد والخاصكية، فطلبوا من الملك السعيد بأقصاء الخاصكية عنه، حتى لا يكون لهم أي نفوذ في الدولة، رفض الملك السعيد

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق ٢، ص ٦٤٢؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٣٠، ص ٣٧٠. سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ١٩.

(٢) المماليك الخاصكية: وهم المماليك السلطانية الذين كانوا أعظم الأمراء شأنا وأرفعهم قدرا، وأشدهم إلى السلطان قربا' وأوفرهم إقطاعا، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة، وهم في العدد بحسب ما يؤثره السلطان من الكثرة والقلة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ١٥-١٦.

(٣) النويري، **نهاية الأرب**، ج٣٠، ص٣٩٣؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص٢٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٣٠، ص ٣٩٣.

(٥) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص ٦٤٥-٦٦٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٧، ٢٦٦.

(٦) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص ٦٥١؛ سرور، محمد جمال الدين، **دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عصرها بوجه خاص**، د. ط، دار الفكر العربي، د. م، د. ت ، ص ٢٠. وسيشار إليه فيما بعد: سرور، دولة بني قلاوون.

طلبهم، لذلك قام الجند بمحاصرة القلعة بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون، وقطعوا عنها الماء[1]، ولما اشتد الحصار، أرسل السلطان إلى الأمراء يعرض عليهم تنازله عن بلاد الشام لهم، فرفض الأمراء هذا العرض، وأصروا على أن يخلع نفسه من السلطنة، فطلب منهم أن يعطوه الكرك، ووافق الأمراء على ذلك، فخلع الملك السعيد نفسه من السلطنة، وذهب إلى الكرك، وذلك سنة ٦٧٨ه / ١٢٧٩م [2]، ونصب أخاه بدر الدين سلامش على العرش، ولقب بالملك العادل بدر الدين وجعلوا سيف الدين قلاوون أتابكا ومدبر للمملكة[3].

ولما تنازل الملك السعيد عن العرش، وذهب إلى الكرك، عرض كبار الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون ورفض قبولها وقال: " لم أخلع الملك طمعا فى السلطنة إلا حفظا للنظام، وألفة لأكابر الأمراء أن يتقدم عليهم الأصاغر، والأولى ألا تخرج السلطنة عن الذرية الظاهرية " [4]، إن رفض قلاوون للسلطنة ليس لأنه لم يكن راغب فيها كما ادعى إنما كان يريد القضاء أولا على المعارضين له، لأنه معظم العسكر كان من المماليك الظاهرية ، والقلاع بيد نواب الملك السعيد[5] .

وبعد تقلد الملك العادل سلامش سلطنة مصر، طلب الأتابكي قلاوون، من الأمراء أن يقسموا للسلطان يمين الطاعة، وضربت السكة باسمهما، على أحد الوجهين باسم الملك العادل سلامش، وعلى الوجه الأخر اسم الأتابكي قلاوون، وخطب لهما على المنابر[6].

استغل قلاوون صغر سن الملك العادل سلامش، فقبض على زمام الأمور في البد، فقبض على أعيان الأمراء الظاهرية، واستمال المماليك الصالحية وأعطاهم الإقطاعات والأموال فقوى بهم جانبه، وجمع الأمراء في رجب ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م وتحدث معهم عن صغر سن السلطان وقال لهم" قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل

---

(١) **المصدر نفسه،** ج١، ق٢، ص ٦٥٢-٦٥٣.

(٢) المقريزي، **السلوك،** ج١، ق٢، ص ٦٥٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ص ٢٦٦ ـــ ٢٦٩؛ سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٢١.

(٣) المقريزي، **السلوك،** ج١، ق٢، ص ٦٥٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ص ٢٦٦ ـــ ٢٦٩

(٤) النويري، **نهاية الأرب،** ج٣٠، ص ٣٩٨؛

(٥) المقريزي، **السلوك،** ج١، ق٢، ص ٦٥٧؛ سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٢١.

(٦) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج٧' ص ٢٨٦.

كامل " فاتفق رأيهم على خلع الملك العادل بدر الدين سلامش فخلعوه وأرسلوه إلى الكرك وتولى قلاوون سلطنة مصر في سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م وبذلك انتقل الحكم من بيت بيبرس إلى بيت قلاوون [١].

على الرغم من أن المماليك لم يؤمنوا بمبدأ وراثة العرش إلا أن أسرة قلاوون استطاعت أن تحتفظ بمنصب السلطنة في ذرية السلطان قلاوون حوالي قرن من الزمن (٦٧٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٧٩ – ١٣٨٢م) ويمثل عصر حكم أسرة قلاوون عصر الازدهار في الدولة المملوكية، إذ استطاع سلاطين هذه الأسرة أن يقفوا بوجه الأخطار الكبرى التي هددت مصر والشام في ذلك العصر[٢]، ومن ابرزها الخطر الفرنجي، حيث استطاع الوقوف بوجههم، وتحقيق العديد من الانتصارات عليهم، فألحق المنصور قلاوون الهزيمة بهم في المرقب سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، واللاذقية ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م، و طرابلس سنة ٦٨٨هت / ١٢٨٩م، وأخيرا تكللت هذه الجهود بفتح عكا على يد الأشرف خليل سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م وتطهير الساحل الشامي نهائيا من الوجود الصليبي، كما استطاع من هزيمة المغول في حمص سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م وهو الخطر الثاني الذي كان يهدد حدود الدولة المملوكية[٣].

وبذلك استطاع سلاطين أسرة قلاوون أن يوحدوا البلاد، ويحققوا الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد، وكان من نتيجة ذلك ، التطور والازدهار في المجالات الاقتصادية المختلفة، فقد رعى سلاطين أسرة قلاوون الزراعة، حيث عنوا ببناء جسور جديدة وتصليح ما خرب منها، وبناء السدود والقناطر، وشق الترع، لإيصال الماء وسقي أكبر مساحة ممكنة من الأرض[٤].

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص ٦٥٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص ٢٨٧. سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٢.

(٢) عاشور، سعيد عبد الفتاح، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٩٠، وسيشار إليه فيما بعد: عاشور مصر والشام.

(٣) الحجي، حياة ناصر، **بعض الأبعاد الاقتصادية لسلطنة المماليك**، حوليات الأداب والعلوم الإجتماعية، الحولية الثالثة والعشرون، ٢٠٠٢م، ص ١٨. وسيشار إليه فيما بعد: الحجي بعض الأبعاد الاقتصادية.

(٤) قاسم، قاسم عبده، **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، د. م، ١٩٧٨م ، ص ٢٣. وسيشار إليه فيما بعد: قاسم، **النيل والمجتمع المصري**.

كما ازدهرت الصناعة في عهد أسرة قلاوون، وذلك للاهتمام الكبير الذي أولوه سلاطين هذه الأسرة بالصناعة ورقيها، حيث احتلت صناعة المنسوجات بمختلف أنواعها على شهرة عالمية كبيرة.

وكذلك كان للتجارة الحصة الأكبر من الاهتمام من لدن سلاطين أسرة قلاوون، ومن عوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة في مصر إضافة إلى موقع مصر، الدور الذي لعبه سلاطين أسرة قلاوون في إغراء تجار الشرق والغرب على جلب بضائعهم إلى موانئ وأسواق مصر، وذلك من خلال التسهيلات التي كان يقدمها سلاطين المماليك للتجار، من إعفاءات من بعض الضرائب وإلى غير ذلك، مما أدى إلى ازدياد عدد التجار القادمين إلى الأسواق المصرية، وكذلك تنافس الدول على الحصول على امتيازات من سلاطين المماليك، وعقد المعاهدات التجارية معهم [(١)].

---

(١) سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٣٣٧ – ٣٤٣؛ عاشور، **العصر المماليكي،** ص ٢٩٩ – ٣٠٧؛ الحجي، **بعض الأبعاد الاقتصادية،** ص ٢٦ -٢٧.

الفصل الأول

الزراعة والثروة الحيوانية في عهد أسرة قلاوون

أولا: رعاية سلاطين أسرة قلاوون للزراعة:

أولى حكام مصر منذ القدم اهتماماً كبيراً بالزراعة كونها مصدر ثروة البلاد، فإنشأوا الجسور وشقوا الخلجان والترع لإيصال ماء الري للأراضي التي تعذر وصول المياه إليها، وكانوا ينفقون أموالاً طائلةً على إقامة الجسور وشق الخلجان، لإحياء أراضي مهملة، بسبب بعدها عن مصدر المياه، حيث يذكر المقريزي أنه كان" يصرف على الجسور ربع الخراج(١)" (٢)، وكان هذا قبل الفتح الإسلامي ، واستمر ذلك في عصر سلاطين المماليك (٣) ، ولولا اهتمام الدولة بالجسور وإتقانها وحفر الترع والخلجان لقلت الاستفادة من ماء النيل(٤) " وكان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج"(٥).

من الجدير بالذكر إن أرض مصر ذات طبيعة متفاوتة في الارتفاع والانخفاض، فمنها أراضي مرتفعة لا يصل إليها الماء إلا إذا ارتفع منسوب المياه بشكل كبير، ومنها أراضي منخفضة تروى بمناسيب مياه منخفضة، لذا تطلبت الحاجة إلى حفر الجداول والترع، وعمل الجسور، ليحبس الماء كي تروي أهل النواحي على قدر حاجتهم إليه (٦).

وقد أدرك سلاطين المماليك أهمية الجسور والخلجان في زيادة واردات الأرض لذا عنوا بإنشاء العديد من الجسور، وشق الخلجان على نهر النيل لري أكبر مساحة ممكنة من الأرض على جانبي نهر النيل، واستصلاح أراضي كانت مهجورة أو

---

(١) الخراج: هي الضريبة السنوية التي تجبى من الأراضي التي فتحت عنوة أو صلحا وأقر أهلها عليها . إسماعيل، البيومي، **النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م، ص ١٥٦. وسيشار إليه فيما بعد: إسماعيل، **النظم المالية**.

(٢) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيه**، ٤ أجزاء، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،١٩٩٨م، ج١، ص ١١٥.وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، **الخطط**.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٤٠؛ المناوي، **نهر النيل في المكتبات العربية**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٣٧. وسيشار إليه فيما بعد: المناوي، **نهر النيل**؛ ناصر، عامر نجيب موسى، **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، ٢٠٠٣م، ص ١٧٣. وسيشار إليه فيما بعد: ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج١، ١١٥.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١١٥؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري** ، ص٢٢.

(٦) **المصدر نفسه**، ج١، ص١٠٦.

سباخ، وعمارة القرى على هذه الجسور والخلجان، وتخزين المياه الزائدة للحيلولة دون غرق الأراضي الزراعية والمدن والقرى (١).

أما الجسور(٢) فتنقسم في مصر إلى قسمين:

١ – الجسور السلطانية: وهي الجسور التي تكون عامة النفع للناس، ويكون تشييدها والإشراف عليها وصيانتها من قبل السلطان، ويصرف عليها من الديوان السلطاني، ولها رسوم مقررة على البلاد، يصرف عليها والباقي يحمل إلى بيت المال، ولها معدات من محاريث، وجرافات وأبقار(٣)، ويترتب على كل ناحية إما تقديم ما يقرر عليها من مؤنة وعلوفة وأتبان وحشيش، أو يدفع عشرة دنانير عن كل قطعة (٤)، وقد بلغ مصروف هذه الجسور زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ربع خراج الإقطاعيات(٥) . وقد وصف ابن مماتي هذه الجسور بأنها" جارية مجرى سور المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارته والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر التفكير فيه"(٦).

٢ – الجسور البلدية: وهي الجسور التي يكون نفعها خاصاً بناحية دون ناحية، ويتولى عمارتها والعناية بها أصحاب الإقطاعات من أموال إقطاعاتهم، فاذا ما أنفق المقطع شيئا من مال إقطاعه في صيانة هذه الجسور في سنة ما وخرج الإقطاع من يده لغيره في هذه السنة جاز له استرداد ما أنفق من المقطع الجديد، وكذلك كل ما أنفقه من مال

---

(١) العزام، عيسى محمود، **الزراعة في مصر خلال العصر الأيوبي**، مجلة سبأ، العدد الثاني عشر، د.ت، ص١٥٣. : وسيشار إليه فيما بعد: العزام ، **الزراعة في مصر**.

(٢) الجسور : مفرده جسر هو القنطرة ونحوه مما يعبر عليه، والجمع أجسُرُ، والكثير جُسور، ويرى الدكتور مصطفى زيادة، أن الجسر هنا الطريق المبني على حافة النهر أو الترعة لحفظ المياه، وضبطها لأغراض الري، ولوقاية البلاد المجاورة من الفيضان ، ونستطيع القول بأنه أشبه بالنواظم والسدود في عصرنا الحاضر. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، (المتوفى: ٧١١هـ /١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٥جزءاً، ط٣، دار صادر، بيروت،١٩٩٣م، ج٤، ص١٣٦. : وسيشار إليه فيما بعد: ابن منظور، **لسان العرب؛** المقريزي، **السلوك** ج١،ق٢، ص٦٣٨، حاشية محمد مصطفى زيادة رقم(٣).

(٣) ابن مماتي، أسعد بن المهذب بن أبي مليح الأيوبي، (ت٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، **كتاب قوانين الدواوين**، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٣٢: وسيشار إليه فيما بعد: ابن مماتي، **قوانين الدواوين**. ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى** ، ج٣، ٥١٥؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ١٨٩. ؛ العزام ، **الزراعة في مصر**، ص١٥٤.

(٤) المناوي، **نهر النيل**، ص ١٣٦.

(٥) ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ١٧٢.

(٦) ابن مماتي ، **قوانين الدواوين**، ص٢٣٢.

سنة في عمارة سنة غيرة كان له استرداد نظيره[1]، ويصف ابن مماتي هذه الجسور بقوله " جارية مجرى الدور التي داخل السور كل صاحب دار منها ينظر في مصلحتها، ويلتزم تدبير أمره فيها"[2]، وكان يعين لكل عمل من الأعمال في كل سنة أمير يعرف بكاشف الجسور، لصيانتها وتجديد ما قد تهدم منها، وله أعوان من خوله ومهندسون لكل عمل إلى أن ينتهي العمل، ولهذه الجسور كاتب خاص بها، ومقرّر في ديوانه ما على كل بلد [3].

ويتبين من ذلك عناية سلاطين أسرة قلاوون بالجسور؛ لما لها أهمية في سقي الأرض وحبس المياه في الخلجان حتى يستوفي أهل النواحي ري مناطقهم والتغلب على تفاوت الأرض الزراعية، وحماية الأرض المنخفضة من التحول إلى مستنقعات، ففي سنة ٧١٣هـ /١٣١٣م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأعمار جسور وقناطر في الجيزة وكلف الأمير بدر الدين بن التركمان لعمل هذه الجسور والقناطر، وأستدعى المهندسين فعمل لكل بلد جسرا متقناً ، وعمل جسر من نهر النيل إلى أم دينار ، وكان السلطان يشرف على هذا العمل حتى تم [4].

وكان اهتمام السلطان الناصر محمد بن قلاوون كبيراً بعمارة جسور نواحي مصر وترعها، وقد وصف المقريزي ذلك بقوله: " وفيهَا اهتم السُّلْطَان بعمارة جسور نواحي أَرض مصر وترعها وَندب الْأَمِير عز الدّين أيدمر الخطيري إِلَى الشرقية، والأمير عَلَاء الدّين أيدغدي شقير إِلَى البهنساوية، والأمير شرف الدّين حُسَيْن بن حيدر إِلَى أسيوط ومنفلوط والأمير سيف الدّين آقول الْحَاجِب إِلَى الغربية، والأمير سيف الدّين قلي أَمِير سلَاح إِلَى الطحاوية وبلاد الأشمونين، والأمير بدر الدّين جنكلي بن البابا إِلَى القليوبية، والأمير عَلَاء الدّين التليلي إِلَى الْبحيرَة، والأمير بدر الدّين بكتوت الشمسي إِلَى

---

(١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص٢٣٢؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٤٤٩؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٨٩؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص٢٤؛ المناوي، **نهر النيل**، ص ١٣٦؛ العزام ، **الزراعة في مصر**، ص٥٤.

(٢) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص٢٣٢.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٥١٥.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٣٠.

الفيوم، والأمير سيف الدّين بهادر المعزي إِلَى إخميم، والأمير بهاء الدّين أصلم إِلَى قوص"[١].

كما أقام الأمير سيف الدين بكتمر سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م جسرا بأرض الطبالة[٢] وكان يفصل بين بركة الرطلي[٣] والخليج الناصري وسمح للناس في البناء عليه، وبنيت فوقه الدور وصار من المناطق التي تزورها الناس للنزهة[٤].

ومن الجسور ما كانت تنشأ لدرء خطر الفيضانات عند زيادة النيل في وقتها، وهذا يؤدي إلى تدمير المباني والبساتين وغيرها، ففي سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م أقام جسر من بولاق إلى منية الشيرج، وكان سبب عمل هذا الجسر هو زيادة النيل زيادة أدت إلى غرق العديد من البساتين والدور في بولاق والجزيرة، حتى صار ما بين ذلك مقلة واحدة، وخربت عدة بساتين وهدمت الدور، وبعد نزول الماء أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعمل هذا الجسر الذي امتد من بولاق إلى منية الشيرج، واستغرق العمل به عشرين يوما وبلغ ارتفاعه أربع قصبات حاكمية[٥]، وعرضه ثمان قصبات حاكمية، وأنتفع الناس به انتفاع كبيرا[٦].

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٣٨.؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ٣٣.

(٢) أرض الطبالة: نسبة إلى جارية اسمها نسب الطبالة كانت مغنية للخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٣٦هـ / ١٠٣٦ – ١٠٤٥م)، وسألة أن تقطع الأرض المجاورة للمقس، فأقطعها هذه الأرض. وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص١٤.

(٣) بركة الرطلي: هي جزء من أرض الطبالة عرفت ببركة الطوابين حيث كان يعمل بها الطوب، وعندما حفر الخليج الناصري، طلب الأمير بكتمر الحاجب، من المهندسين أن يمر الخليج بجانب هذه البركة فوافقوا، فعرفت بعد ذلك بركة الحاجب نسبة إلى بكتمر الحاجب، وكان في شرق البركة زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التي يزن بها الباعة، فسماها الناس بركة الرطلي نسبة لصانع الأرطال. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٨٧.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص٢٩٣.

(٥) القصبة الحاكمية: هي وحدة قياس الأطوال في مصر ، وعرفت بالحاكمية نسبة إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله التي حررت في عهده وكان طولها ستة اذرع بالهاشمي وخمسة اذرع بالنجاري، وثمانية اذرع بذراع اليد. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥١٣؛ هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة: كامل العسلي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ص ٩١. وسيشار إليه فيما بعد: هنتس، **المكاييل**.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٩٣؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٢٥١.

ومن الجسور المهمة التي أقامها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م ، جسر شيبين، وكان سبب إقامته أن إقليم الشرقية(١) كانت لها سدود جميعها تقع على فتح بحر أبي المنجا(٢) وفي بعض السنين أمحلت جهة شيبين وجهة مرصفا، التي كانت أرضها عالية فشكا الأمير بشتاكمن تشرق بعض بلاده، فركب السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومعه المهندسين وخولة البلاد، لكشف تلك النواحي

وتوصلوا إلى عمل جسر من عند شيبين على بنها، فحصل بهذا الجسر نفع كبير للبلاد(٣).

والجسر الذي أنشيء في وسط النيل سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، كان سببه الحفاظ على ساحل بولاق من البر الشرقي الذي كان يتأثر بقوة تيار الماء مما أدى إلى هدم أجزاء منه، فطلب السلطان الناصر محمد بن قلاوون المهندسين من دمشق وحلب والبلاد الفراتية، وكذلك جمع المهندسين من أعمال مصر فقاموا بجولة مع السلطان على شواطئ النيل وقرروا أن يعمل فيما بين بولاق وأنبوبة، وندب السلطان الأمير اقبغا عبد الواحد، و الأمير برصيغا الحاجب، بالأشراف على العمل، وبدأ العمل فيه يوم العاشر من ذي القعدة، وانتهى في النصف من ذي الحجة، كما حفر خليج في الجزيرة ليمر الماء فيه أيام الفيضان فلا يتأثر الجسر من قوة التيار(٤).

---

(١) إقليم الشرقية: يقع في الوجه البحري من مصر، إلى الشرق من الفرع الشرقي من **نهر النيل**. المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ١٣٧؛ ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر،** ص ٥٣، وقد قسمت أرض مصر إلى قسمين أو وجهين وجه بحري، وسمية بذلك لوقوعه إلى الشمال من مدينة القاهرة، وبسبب الرياح البحرية ، لأن أهل مصر كانوا يطلقون على الرياح التي تهب من الشمال البحرية، ووجه قبلي، الوجه القبلي: وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر، وأطلق علية العرب منذ الفتح الإسلامي بلاد الصعيد. المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ١٣٦ – ١٣٧؛ ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر،** ص ٥٢ – ٥٩.

(٢) بحر أبي المنجا: حفره الأفضل بن أمير الجيوش سنة ١٥٦هـ/٧٧٢ م لإيصال الماء إلى الشرقية وكان يشرف على حفره أبو المنجا اليهودي، فعرف به. المقريزي، **الخطط،** ج٢، ص ٤٣٢.

(٣) المقريزي، **الخطط،** ج٣، ص ٢٩٩؛ سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٢٨٧؛ المبارك، حصة ناصر،(١٩٨٧م)، **الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عصره ٦٩٣ / ٧٤١هـ - ١٢٩٣ / ١٣٤١م،** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، ص٣٨. وسيشار إليه فيما بعد: المبارك، **الناصر محمد** ؛ خطاطبة، أنعام بسام عبد القادر،(١٩٩٨م)، **النفقات في العصر المملوكي الأول(٦٤٨ – ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٨٢م)،** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ص ١٨٩. وسيشار إليه فيما بعد: خطاطبة، **النفقات في العصر المملوكي.**

(٤) المقريزي، **الخطط،** ج٣، ص٢٩٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج٩، ص ٩٧-٩٨؛ المبارك، **الناصر محمد** ، ص٣٧.

وكان إنشاء بعض الجسور لتحويل مياه النهر إلى الجهة التي انحسر منها الماء لسبب ما، ومثال على ذلك الجسر الذي عمل بين الجيزة والروضة، وكان سبب إنشائه هو عندما أقام السلطان الناصر محمد بن قلاوون جسراً بين بولاق وأنبوبة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م ، ابتعد ماء النيل عن بر القاهرة وانكشفت أراضي كثيرة، وأصبح الماء قليل، ووجد الناس مشقة في الحصول عليه، وغلت راويات الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين، وكانت قبل ذلك بنصف وربع درهم، فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلائي والي السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد، فامر ببناء جسر، وبدأ العمل به إلا أنه لم يكتمل بسبب زيادة ماء النيل فصعد الماء إليه وخربه، ولم يتم بنائه إلا في عهد السلطان الناصر بن محمد بن قلاوون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م حيث اهتم بعمل هذا الجسر ، وقدروا كلفته بحوالي ١٥٠٠٠٠درهم وكلف الأمير منجك بعمل الجسر، وتم أنجازه في أربعة أشهر، كما حفر خليج يجري الماء فيه عند زيادة النيل لتخفيف قوه التيار عن الجسر، وبلغ طول الجسر مائتان وثلاثون قصبة حاكمية[١].

وأنشيء جسر الخليلي سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، لنفس السبب وهو انحسار الماء عن بر القاهرة، وجاءت تسميته نسبة إلى الأمير جهاركس الخليلي الذي أقامه، إلا أنه لم يؤدَّ الغرض الذي بني من أجله[٢].

أما الخلجان[٣] فقد عني سلاطين المماليك بالخلجان كما في الجسور لما لها من أهمية في زيادة واردات الدولة من الأموال، وذكرت المصادر سبع خلجان في مصر[٤]. إلا أن المقريزي ذكر أكثر من هذا العدد، وقسمها إلى قسمين، القسم الأول : الخلجان التي شقت من النيل وهي: خليج منف، وخليج المنهى، وخليج أشمون صناح،

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٩٥-٢٩٦.؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢،ق٣، ص ٧٠٤ و ٧٦١.؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٠، ص ١٢٥.؛ المبارك، **الناصر محمد** ، ص٣٨.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص٢٩٨. المبارك، **الناصر محمد** ، ص٣٨.

(٣) الخلجان: كلمة خليج مأخوذة من فعل خلج أي انتزع، وقد عرفه ابن منظور" بانه نهر يقتطع من النهر الأعظم إلى موضع ينتفع به فيه". وعرفه المقريزي" أن الخليج جمعة خلجان وهو نهر صغير يختلج من نهر كبير أو من بحر". ابن منظور، **لسان العرب** ، ج٢، ص ١٥٦؛ المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٤٨.

(٤) ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، ، **فتوح مصر وأخبارها**، د.ط تحقيق: محمد صبحي، ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، د.م، د.س، ص١٦. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الحكم، **فتوح مصر**.؛ المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي،(ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، أعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية ، بيروت، ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٥٩. وسيشار إليه فيما بعد: المسعودي، **مروج الذهب**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١، ص٥٦.

وخليج سردوس، وخليج الإسكندرية ، وخليج دمياط، وبحر أبي المنجا[١]، والقسم الثاني: الخلجان التي بظاهر القاهرة وهي: خليج مصر ، وخليج فم الخور، وخليج الذكر، والخليج الناصري، وخليج قنطرة الفخر[٢].

وتركزت هذه الخلجان في منطقة الوجه البحري بسبب اتساع أرضها وانبساطها مقارنة ببلاد الصعيد التي تمتد أرضها الزراعية ضمن شريط ضيق من الأرض الخصبة المنتشرة على ضفاف نهر النيل[٣].

إن الذي يعنينا في هذا المقام أهم ما حُفر وجدد حفره من الخلجان في فترة حكم أسرة قلاوون المملوكية، ومن هذه الخلجان.

خليج الإسكندرية: تجدد حفره مرات عديدة في زمن الدولة المملوكية، ففي سنتي ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م و ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م في عهد السلطان الظاهر بيبرس جدد حفره، عندما سُدَ منبعه بالترسبات الطينية، ثم توقف جريان الماء فيه واحتاج أهل الإسكندرية إلى الماء حتى شربوا من الصهاريج التي يخزن فيها الماء حتى سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م عندما أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإعادة حفر الخليج بترغيب من والي الإسكندرية الأمير بدر الدين بكتون، وذكر له ما في ذلك من منافع ، وكلف السلطان الأمير بدر الدين محمد بن الوزيري مع بكتون للعمل فيه وبدأ العمل في شهر رجب من سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م [٤].

وبالانتهاء من حفره كانت الفائدة منه كبيرة ولم تقتصر على الري والسقي بل حتى استخدم للملاحة إذ سارت فيه المراكب الكبار، فضلا عن استصلاح مساحات واسعة من الأراضي الزراعية تقدر بحوالي مائة ألف فدان [٥]، واستجدت عليه عده

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٥٦.

(٢)**المصدر نفسه**،ج٣، ص٢٤٨.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٠٦؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٣٢؛ المناوي، **نهر النيل** ، ص ١٧٤.؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٢٩؛ ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص١٧٤؛ كوكش، احمد يحيى، (١٩٩٩م)، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية في مصر في عصره**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن، ص٥٩. وسيشار إليه فيما بعد: كوكش، **المقريزي مؤرخا**.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٣١٨؛ **السلوك**، ج٢، ق١، ص١١١.؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص١٥٤.؛المناوي، **نهر النيل**، ص١٢٦؛ المبارك، **الناصر محمد** ، ص٤٠.

(٥) الفدان: مقياس المساحة المصري المفضل وكان يساوي (٤٠٠) قصبة مربعة، والقصبة تساوي (٣٩٩) سم لذلك تقدر مساحة الفدان في العصور الوسطى بـ (٦٣٦٨) متر مربع. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥١٣؛ هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٩٨.

سواقي وبساتين، وعمرت قرية الناصرية نسبة إلى السلطان الناصر محمد ، وعمرت عدة بلاد واستغنى أهل الإسكندرية عن شرب ماء الصهاريج[1].

خليج الطبرية: حفر هذا الخليج السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م وقد تم إنجازه في عشرة أيام وكان طوله ستة آلاف وخمسمائة قصبة حاكمية، وعرضه ثلاث قصبات حاكمية، وعمقه أربع قصبات حاكمية، فحصل منه منافع كثيرة وسقى العديد من الضياع [2]، وكان السلطان بنفسه يباشر بالعمل، ويقسم العمل على الناس[3].

خليج الذكر: ينسب حفرة إلى كافور الاخشيدي[4] (٣٥٥- ٣٥٧هـ / ٩٦٥ - ٩٦٧م)، وكان يروي بستان المقسي، ويستمد مائه من خليج فم الخور، حتى حُفر الخليج الناصري، فصار يدخل الماء إليه من تحت الدكة بين الأزبكية وباب الحديد، واستمر على هذه الحالة إلى عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م عندما أوصله السلطان الناصر محمد بن قلاوون بخليج أمير المؤمنين، أما

---

(١)المقريزي، **السلوك**، ج١، ق١، ص١١٢؛ **الخطط**، ج١، ص٣١٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص١٥٤.

(٢) ابن عبد الظاهر، محيى الدين،(ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، د. ط، تحقيق مراد كمال، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١، ص ٢٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور. ؛ الدواداري، ركن الدين بيبرس المنصوري،(ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)**زبدة الفكرة في تاريخ الهجر**، (تحقيق دونالد س. ريتشارد)، مطبعة مؤسسة حسيب درغام وأولاده، ١٩٩٨م، ص٢٣١. وسيشار إليه فيما بعد: الداوادار، **زبدة الفكرة**.

(٣) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٢٥.

(٤) أبو المسك كافور بن عبدالله الإخشيدي، كان عبدا لبعض أهل مصر أشتراه حاكم مصر أبو بكر محمد بن طغج الإخشيدي سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م، وترقى عنده إلى أن أصبح أتابك ولديه، ولما توفي أبو بكر الإخشيدي، تولى الحكم ابنه الأكبر أبو القاسم أنوجر، واصبح كافور نائبه ومدبر أمور الدولة، وعندما توفي أنوجور تولى الحكم أخيه أبو الحسن علي واستمر كافور على نيابته وتدبير شؤونه وعندما توفى أبو الحسن علي، سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م أستقل كافور بالمملكة وحكم مصر والحجاز والشام، إلى أن توفي سنة ٣٥٧هـ ٩٦٧م وكان عمرة حوالي ٦٥سنة. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، د.ط، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٤، ص ١٠٤-١٠٥. سيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**.

تسميته بخليج الذكر نسبة إلى أحد أمراء الظاهر بيبرس واسمه شمس الدين الذكر الكركي(١).

خليج فم الخور: تم حفرة من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م لإيصال الماء إلى سرياقوس التي بنى فيها السلطان الناصر محمد بن قلاوون القصور وزرع فيها البساتين والمناظر(٢).

الخليج الناصري: عندما بنى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الخانقاه بسرياقوس سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م أمر بحفر هذا الخليج لإيصال الماء اليها، وذلك حتى يمكن للمراكب أن تحمل فيه الغلال إلى قصور السلطان بسرياقوس، واستمر العمل فيه شهرين، ولما تم حفره سكن الناس شاطئيه وعمرت ضفافه بالمزارع والحقول والبساتين والسكن(٣).

وفي سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بحفر خليج من نهر النيل إلى حائط الرصد(٤) ببركة الحبش لإيصال الماء من النيل إلى القناطر التي

---

(١) النويري، **نهاية الأرب،** ج ٣٣، ص ٥٢ ؛ المقريزي، **الخطط،** ج٣، ص ٢٥٧؛ القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج٣، ص ٣٦١، المناوي، **نهر النيل،** ص ١٣٢.

(٢) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تاريخ ابن الوردي،** جزءان، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦م، ج٢، ص ٢٦٦. سيشار إليه فيما بعد: ابن الوردي، **تاريخ** ؛ المقريزي، **الخطط،** ج٣، ص٢٥٧. خطاطبة، **النفقات في العصر المملوكي،** ص ١٨٥.

(٣) المقريزي، **السلوك،** ج٢، ق ١، ص ٢٦١- ٢٦٢.؛ **الخطط،** ج٣، ص ٢٥٨.؛ ابن أيبك الدوادار ، أبي بكر بن عبدالله بن أيبك ، (ت ٧٣٦هـ / ١٤٣٢م)،**الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر(وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر)**، د.ط، عدد الاجزاء ٩، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.م، ١٩٦٠م، ج٩، ص٣١٩.وسيشار إليه فيما بعد: ابن أيبك، **الدر الفاخر**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج٩، ص ٦٦ – ٦٧.؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،** جزءان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ،د. م، ١٩٦٧ م، ج٢، ص٣٨٩. وسيشار إليه فيما بعد: السيوطي ، **حسن المحاضرة.**

(٤) سمي حائط الرصد لبناء الأفضل بن بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستعلي الذي جعله مرصد لرصد الكواكب قرب مسجد ابن طولون. المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ٢٣٦.

حمل الماء إلى القلعة، وندب لهذا العمل الأمير أقبغا عبد الواحد[١]، فحفر هذا الخليج من بحر رباط الأثار مرورا ببستان الصاحب تاج الدين بن حنا[٢].

أماالقناطر[٣]: ذكر المقريزي عدد من القناطر في مصر بقوله: " اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدّتها الآن أربع عشرة قنطرة، وعلى خليج فم الخور قنطرة واحدة، وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة، وعلى الخليج الناصريّ خمس قناطر، وعلى بحر أبي المنجا قنطرة عظيمة، وبالجيزة عدّة قناطر "[٤].

وقد أولى سلاطين بني قلاوون عناية بعمارة وتجديد ما خرب من القناطر، ففي سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون القنطرة الجديدة على الخليج الكبير ليتوصل منها إلى أرض الطبالة ومنية الشيرج، وكذلك في نفس السنة أنشأ قناطر الأوز، للعبور من الحسينية إلى أرض البعل وبالعكس، وهذه القناطر كانت من أحسن المتنزهات في القاهرة أيام فتح الخليج الكبير عند وفاء النيل، ولما على حافته الشرقية من البساتين[٥].

ومن القناطر التي كان لها أهمية زراعية قنطره الأميرية، التي أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م حيث كان يسد ماء النيل عند هذه القنطرة إذا فتح الخليج الكبير، عند وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وذلك لسقي الأراضي الزراعية، ويبقى الماء عند سد قنطرة الأميرية إلى يوم النوروز[٦]، فيخرج والي القاهرة إليه

---

(١) آقبغا عبد الواحد الناصري تقدم عند الناصري في الجمدارية من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاون، وأخو زوجته خوند طغاي، كان أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ثم صار استدار ومقدم المماليك السلطانية وولي مع ذلك شاد العمائر مات سنة ٧٤٤هـ- ١٣٤٣م . ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني،(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط٢، ٦ أجزاء، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد، الهند،١٩٧٢م، ج١، ص ٤٦٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حجر، **الدرر الكامنة**.

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق ٢، ص ٥١٤؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص ٣٩٠.

(٣) القنطرة: الجسر وهو أزج يبنى بالأجر أو الحجارة على الماء يعبر عليه. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص ١١٨.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٥٩.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٦٢.

(٦) نوروز أول نيروز: تعني بالسرياني العيد وبالفارسي اليوم الجديد، ويروى أن أول من اتخذا هذا اليوم عيدا من ملوك الفرس الملك جمشيد أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس ، والسبب أن الدّين كان قد فسد قبله، فلما ملك جدّده وأظهره، و وهو أوّل يوم من شهر توت من الأشهر القبطية وأوّل السنة القبطية بمصر، وسنتهم فيه إشعال النيران، والتراش بالماء. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٣؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ٤٤٦.

ويشـهد علـى المشـايخ أهـل الضـواحي بكمـال ري أراضـي نـواحيهم[1]، وبهـذا فـإن هـذه القنطـرة إلـى جانـب أنهـا ممـر منهـا إلـى ضـفتي الخلـيج فإنهـا جسـر يسـد لسـقي الأراضـي الزراعيـة، وكـان للسـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون اهتمـام كبيـر بـبلاد الجيـزة، حيـث أمـر بعمـل جسـر وقنطـرة علـى كـل بلـد للانتفـاع بهـا فـي الـري والزراعـة، ولتـوفير الميـاه طيلـة العـام، فـإنتفع بهـا جميـع أهـل الجيـزة وتـم زراعـة أرض واسـعة كانـت لا يصـل اليهـا المـاء[2]. وهـذه الأمثلـة وغيرهـا تـدل علـى مـدى اهتمـام سـلاطين أسـرة قـلاوون بالزراعـة وخاصـة السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون، فـإن أغلـب مـا عمـل مـن جسـور وشـق مـن خلجـان وعمـر مـن قنـاطر كانـت فـي عهـده، وهـذا كلـه نتيجـة للاسـتقرار السياسـي والأمنـي التـي كانـت تتمتع به البلاد في عهده.

ثانيا: مقياس النيل وأثرة على الزراعة بخاصة والحياة الاقتصادية بعامة:

المقياس

المقيـاس: عمـود مـن الرخـام أبـيض مـثمن، ينقسـم إلـى عـدد مـن القطـع قـدر كـل واحـدة منهـا ذراع ويختلـف عـددها ، فيـذكر ابـن دقمـاق إنهـا تسـعة عشـر ذراعـا[3] وذكـر المقريـزي، أنهـا أثنتـان وعشـرون ذراعـا [4] بينمـا يـرى ابـن إيـاس أنهـا عشـرين ذراعـا [5] ويبلـغ طـول كل ذراع من الاثنتي عشر الأولى ثمانية عشر أصبعا[6]، والتي تليها أربعة وعشرين

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٦٣.

(٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ١٤٢.

(٣) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ص ١١٤. والذراع: مقياس للطول وهو أنواع كثيرة منها الذراع السوداء العباسية التـي كانـت تسـتخدم فـي قيـاس منسـوب النيـل وتبلـغ (٥٤,٠٤)سـم. القلقشـندي، **صـبح الأعشـى**، ج٢،ص ١٥٧؛ هنتس، **المكاييل**، ص ٨٣.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١١١.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق١، ص ١٥٤

(٦) الإصبع: وحدة مقياس للطول، ويساوي (٢٤/١) من الذراع، ويساوي حوالي(٢,٢٥٢) سم . هنتس، **المكاييل**، ص٨١.

اصـبعا[١]، وطـول قاعـدة المقيـاس حـوالي ذراع، ويـدخل بوسـط عمـود الرخـام عمـود مـن الحديد يمسك قطع الرخـام وبـأعلى السقالة وهـي مـن الخشـب المجـوف ومحشـوة بالرصـاص كـي تعطـي عمـود الرخـام المطلـوب لتثبيتـه، ويـدخل المـاء إلـى فسـقيه المقيـاس بواسـطة ثلاثـة فتحـات بعضـها فـوق بعـض يبلـغ طـول الواحـد منهـا سـبعين ذراعـا، وذلـك حتـى يظـل المـاء ساكنا داخل الفسقيه بعيدا عن أمواج النهر ومن ثم يمكن قياسه[٢].

وتقـع دار المقيـاس فـي الطـرف الجنـوبي مـن جزيـرة الروضـة، وصـفتها أنهـا بـرج عظـيم، وحولـه بسـطتان تـردان منـه ميـاه النهـر، وفـي داخـل البـرج ابنيـه كثيـرة علـى عمـد، وفـي الناحيـة الشـرقية مـن هـذا المبنـى الشـباك الكبيـر الـذي كـان يعلـق عليـه السـتار الخليفتـي للدلالـة علـى وفـاء النيـل، وبجـوار هـذا المبنـى فسـقية كبيـرة فـي وسـطها المقيـاس، وبينهـا وبين دار المقياس باب فقط[٣].

ذكـر القلقشـندي أن أول مـن وضـع مقيـاس للنيـل خصـليم السـابع مـن ملـوك مصـر بعـد الطوفـان[٤]، كمـا وينسـب المؤرخـون إلـى نبـي الله يوسـف ﷺ بنـاء أول مقيـاس للنيـل

---

(١) هناك رويتان حول السبب الذي من أجله قسم عمود المقياس على هذا النحو، تقول الرواية الأولى: أنه لما فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقاه أهلها من القحط عند قصور النيل فاقترح عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبني مقياسا ويقسمه على هذا النحو. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٢٩٩.

بينما تقول الرواية الثانية: إن المهندسين حين اجتمعوا لعمل قانون الري لمصر، أخبروا الخليفة المتوكل أن كفايتها من ستة عشر ذراعا، ولكنهم حين أعادوا النظر اكتشفوا أن الكفاية في ثمانية عشر ذراعا وخشوا أن يتهمهم الخليفة بالعجز فنقصوا الذراعين على الاثنتي عشر ذراعا الأولى لتكون كل منها ثمانية وعشرون إصبعا. قاسم ، **النيل والمجتمع المصري**، ص٤٢، هامش١.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ١١٤؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٢٩٩.؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق١، ص ١٥٤.؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١١١.؛ سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي،، المجلد السابع وهو القسم الأول من الجزء الرابع**، دار الحمائي للطباعة، د. م، ١٩٦٥، ج٤، ق١، ص ١٤٦-١٤٧. وسيشار إليه فيما بعد: سليم، **عصر سلاطين المماليك**.

(٣) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي،(ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها** ، د.ط، قسمان، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د.س، ق١، ص١١٤. وسيشار إليه فيما بعد: ابن دقماق، **الانتصار** ؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٤٢؛ ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ١٦٩.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٢٥. ؛ قاسم ، **النيل والمجتمع المصري**، ص٤٠.

بمنف[١]، ثم بنت العجوز دلوكة[٢] مقياسا بأنصينا وأخر ببلاد أخميم[٣]، وكانوا يقيسون ارتفاع الماء قبل وضع المقياس بالرصاصة[٤]، هذه المقاييس التي كانت موضوعة قبل الفتح الإسلامي، وقد أستمر استعمال المقياس بمنف إلى أن بنى عمرو بن العاص مقياس بأسوان ثم مقياسا أخر بدندرة، كما بنى معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠هـ / ٦٦١ – ٦٨٠م) مقياسا بأنصنا[٥]، وظل هذا المقياس حتى بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م ، ثم أنشأ أسامة بن زيد التنوخي[٦] مقياسا في جزيرة الصناعة (الروضة) سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م[٧]، ذكر المقريزي " إنه كسر فيه ألفي أوقية "[٨]، وهو أكبر هذه المقاييس جميعا[٩]، قال المسعودي: " ... هو أكثرها استعمالا ... وهو المقياس الذي يعمل عليه في الوقت هذا سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م بالفسطاط "[١٠].

وفي سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١ م بنى الخليفة العباسي المتوكل بالله (٢٢٨-٢٤٨هـ/ ٨٤٢ – ٨٦٢م) مقياسا في جزيرة الروضة، في ولاية يزيد بن عبدالله التركي على مصر، وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد، وأمر الخليفة المتوكل، بعزل النصارى

---

(١) المسعودي ، **مروج الذهب**، ج١، ص٢٥٩.؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ط ٢، ٧ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٥، ص ١٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: ياقوت، **معجم البلدان**؛ ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٧٦؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٠٨.

(٢) أوّل من حكمت مصر بعد فرعون وطالت مدّتها في الملك حتّى عرفت بالعجوز، وإليها ينسب حائط العجوز المبنيّ بالطوب (اللّبن المستدير) على بلاد مصر في لحف الجبلين: الشرقيّ والغربيّ، وأثره باق بالوجه القبليّ زمن القلقشندي، وهي التي بنت البرابي بمصر. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣،ص ٤٧٤.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٧٦؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٠٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج٣،ص ٣٢٦.؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٧٨.

(٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٢، ص ٣٧٢ ؛ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٧٨.

(٥) أنصنا: مدينة قديمة من نواحي الصعيد تقع على الشرق من نهر النيل. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ٢٦٥.

(٦) عامل الخراج بمصر في سنة ٩٧هـ/٧١٥ م في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان. المقريزي، **الخطط**، ج١، ١٠٨.

(٧) المسعودي، **مروج الذهب**، ج١' ص ٢٥٩.؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ١٧٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٢٩٨.قاسم ، النيل **والمجتمع المصري**، ٤١،

(٨) المقريزي، **الخطط**، ج١، ١٠٨.

(٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٢٩٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص ٣٧٤؛ قاسم ، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٤١.

(١٠) المسعودي ، **مروج الذهب**، ج١، ص ٢٥٩.

عن المقياس وجعل أبا الرداد[١] عليه، وصرف له راتباً مقداره سبع دنانير في كل شهر، وتوارثها أولاده من بعده حتى بعد نهاية عصر المماليك، وقد أصلحه أحمد بن طولون في سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م[٢]، وأستمر استخدام هذا المقياس طيلة عهد سلاطين المماليك، قال ابن تغري بردي: " وهذا المقياس هو المعهود الآن وبطل بعمارته كل مقياس كان بني قبله"[٣] .

فيضان النيل:

يعد النيل الشريان الحيوي للزراعة في مصر لأن أرضها بشكل عام تعتمد على الري من نهر النيل، باستثناء بعض المناطق، ولهذا عنى المسؤولون في مصر بقياس ارتفاع النهر عند بدء الفيضان، أما طريقة القياس ووقته وكيفية إعلانه وهو ما يعرف بالنداء على الزيادة، فقد ذكرت المصادر أن بداية زيادة النيل في الخامس من بؤون (حزيران) من الأشهر القبطية[٤] ومدة موسم الفيضان ثلاثة اشهر وخمسة وعشرين يوما، هي أبيب (تموز) ومسرى (أب) وتوت (أيلول)، وينتهي في الثامن من بابه(تشرين الأول)[٥]، قال ناصر خسرو عن فيضان النيل: " يتزايد الماء أربعين يوما من بدء الفيضان إلى أن يبلغ ثمانية عشر ذراعا، ويبقى على هذا أربعين يوما لا يزيد ولا

---

(١) أبو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن البصري ، كان رجلاً صالحاً ، وتوفي في سنة٢٦٦هـ/٨٧٩م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص ١١٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**،ج٢،ص ٣٧٣.

(٢) ابن مماتي ، **قوانين الدواوين**، ص ٧٦؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ١٧٨؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٠٩؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٢٩٩.

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٢، ص ٣٧٤.

(٤) وكان أهل مصر يحسبون زيادة ماء النيل، ونقصانه بأشهر القبط، وكذلك خراج الأرض و زراعتها. المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٣. ولما كانت الزراعة ومواعيدها مرتبطة بالتقويم الشمسي، فقد جعل المصريون السنة الشمسية (أو التقويم القبطي) تبدأ في الخريف عند بداية القيضان وقسموها ثلاثة فصول كل فصل أربعة أشهر اطلق عليها أسماؤها التي لازالت تعرف بها اليوم في شهور السنة القبطية، وهي : توت وبابة وهاتور وكهيك لفصل الفيضان، وطوبه وامشير وبرهمات وبرموره لفصل الزرع، وبشنس وبؤونه وابيب ومسرى لفصل الحصاد. المبارك، **الناصر محمد** ، ص ٣٣.

(٥) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ٧٤؛ المسعودي **مروج الذهب**، ج١، ص ٢٥٧؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١١٢-١١٣.؛ العزام، **الزراعة في مصر**، ص ١٥٠.

ينقص، ثم يتدرج نحو النقصان مدة أربعين يوما أخرى حتى يصل إلى الذي كان عليه في الشتاء"[١].

أما طريقة القياس ووقته، فالذي يهمنا كيف كان يقاس في عصر المماليك حيث ذكرت المصادر أنه ابتداء من عصر يوم السادس والعشرين من بؤونه (حزيران) يؤخذ قاع النيل وتقاس عليه قاعدة المقياس التي تبنى عليها الزيادة، وفي السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة أي متولي المقياس يعرف الزيادة عصر كل يوم ويعلن عنها في اليوم التالي[٢]، ويكون إعلان الزيادة لعامة الشعب بالأصبع دون الأذرع خشية حدوث اضطرابات بين العامة[٣] أذا كان النيل ناقصا، في حين يكتب للأعيان من الأمراء وأصحاب السيف والقلم، كقاضي القضاة وكاتب السر، وناظر الخاص[٤]، وناظر الجيش[٥]، والمحتسب، أوراقا بمقدار الزيادة في ذلك اليوم من الشهر العربي، وما وافقه من القبطي، وما بلغ عليه النيل من الأذرع والأصابع وما كان عليه في السنة الماضية من اليوم نفسه والفرق بينهما زيادة أو نقصان، وصرح بالمناداة في كل يوم للعامة والخاصة بما زاد من الأصابع وما صار إليه من الأذرع اذا ما وفّى النيل ستة عشر ذراعا[٦]، وعلامة الوفاء أن يسدل الستار الخليفتي على الشباك الكبير في صدر دار المقياس فاذا شاهده الناس استبشروا بالوفاء وكسر الخليج[٧].

ويقام في هذه الليلة احتفالا كبيرا، حيث يوقد فيها الناس الشموع والقناديل ويتحول ليل القاهرة إلى نور من كثرة الأضواء، ويستأجرون المراكب بأجور باهظه، وتزين حراريق الأمراء ويجعل فيها الطبلخانات والنفط، وأنواع الزينة، ويحضر كبار الأمراء ومعهم الأستادار بالخلع التي توزع عادة في هذه المناسبة، ويحضر مقرئو

(١) خسرو، أبو معين الدين ناصر (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفر نامه**، ط٣، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٨٣. وسيشار إليه فيما بعد: خسرو، **سفر نامه**.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ٤١٥.

(٣) قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٣٩.

(٤) ناظر الخاص وهو الذي ينظر في خاصّ أموال السلطان. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص ٤٣٧.

(٥) ناظر الجيش وظيفته التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطه، وهي وظيفة جليلة رفيعة المقدار، وديوانها أوّل ديوان وضع في الإسلام بعد النبيّ ﷺ في خلافة عمر ﷺ سنة ٢٠هـ/٦٤١م. ولناظر الجيش أتباع بديوانه يولون عن السلطان، كصاحب ديوان الجيش، وكتابه، وشهوده. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٣١.

(٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ٤١٦؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١١٣؛ المناوي، **نهر النيل**، ص ١٤٣؛ ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ١٧٠.

(٧) قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٤٠.

القرآن الكريم يبيتون بدار المقياس ويتناوبون القراءة طوال الليل، أما المغاني فيستمرون في الغناء لمن يكون حاضر في دار المقياس[١]، وفي صباح اليوم التالي يعمل سماط من الشواء والحلوى والفاكهة ويحضره السلطان، أو من ينوب عنه من الأمراء، فاذا تناول الكبراء ما يشتهون يسمح للعامة باختطاف ما تبقى من الطعام، ولا يمنع أحد من ذلك، وبعد الانتهاء من السماط يبدأ الاحتفال بتخليق المقياس وكسر سد الخليج[٢]، وكان كسر السد يتم في اليوم الثالث أو الرابع من التخليق أيام الفاطميين، أما عند المماليك صار يتم في يوم واحد[٣]، وبعد الفراغ من الطعام يذاب الزعفران في ماء الورد في إناء من الفضة ويتناوله صاحب المقياس وهو ابن الرداد، ويسبح في فسيقة المقياس بملابسه حتى يأتي عمود المقياس وإناء الزعفران بيده، فيخلق العمود، ثم جوانب الفسيقة، ثم يخرج السلطان أو نائبه فيجلس بالشباك الكبير تحت الستر، ويفرق الخلع على أربابها ويخلع على والي الفسطاط وعلى رئيس الحراقة السلطانية، ورئيس حراريق الأمراء، ويؤتى بحراقة السلطان إلى ذلك الشباك فينزل غليها السلطان ويسبح بها وحوله حراريق الأمراء المزينة، ويسير السلطان في حراقته حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ثم ينصرف إلى القلعة[٤].

أثر فيضان النيل على الزراعة والحياة الاقتصادية:

أن لفيضان النيل زيادة أو نقصان أثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر، لأن أرض مصر تعتمد في سقي الأراضي الزراعية على نهر النيل باستثناء بعض المناطق[٥]، وتربة مصر تتجدد سنويا من خلال ما يحمل نهر النيل من الطمى عند الفيضان، ذكر البغدادي:" إن أرضها رملية لا تصلح للزراعة لكن يأتيها طين أسود يملك فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز، يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل، وعند

---

(١) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ص ١١٤-١١٥؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢١٩. وسيشار إليه فيما بعد: عاشور، المجتمع المصري ؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٤٣.

(٢) خليج أمير المؤمنين.

(٣) ابن دقماق ، **الانتصار**، ق١، ص ١١٥؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٥٩٠ -٥٩١.؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص٤٤.

(٤) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ص ١١٥، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥٩٢؛ عاشور، **المجتمع المصري**، ص ٢١٩-٢٢٠؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٤٣-٤٤.

(٥) دمياط، والإسكندرية وما داناهما فهي غزيرة المطر. العزام، **الزراعة في مصر**، ص ١٥٠.

مده يستقر الطين وينضب الماء فيعرض ويزرع، وكل سنة يأتيها طين جديد، ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شيء منها"[١]، فبفضل الفيضان لا يكون هناك دورات زراعية أو تناوب في الزراعة؛ لأن أرضها متجدده.

أما من ناحية وفاء النيل، فاذا وفّى النيل ستة عشر ذراعا أوجب الخراج، وكان يطلق على الستة عشر ذراعاً ماء السلطان؛ لأنه يجبى خراج أرض مصر[٢]، فإذا زاد عن الستة عشر أصبعا واحدا أزداد في الخراج مائة ألف دينار مما يروي الأرض العالية[٣] ، أما إذا ازداد النيل زيادة مفرطة، فإنه يؤدي إلى استبحار الأراضي، وإغراق البلاد وفوات أوان الزراعة وتأخرها، وما يتبع ذلك من فساد وبالتالي يؤدي إلى حدوث غلاء ومجاعة[٤]، وإذا ما قصر النيل ولم يوفي الستة عشر ذراعاً، فإنها كذلك تؤدي إلى حدوث غلاء ومجاعة بسبب استشراق[٥] الأرض، وأزمات اقتصادية، ولعل أسوأ هذه الأزمات في عهد حكم أسرة قلاوون تلك المجاعة التي حدثت في سنتي ٦٩٤- ٦٩٥هـ /١٢٩٤-١٢٩٥م في عهد السلطان العادل زين الدين كتبغا[٦] (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م)، ففي هذه السنة وفّى النيل ستة عشر ذراعاً وسبع عشر اصبعا ثم هبط من ليلته، فتشرقت البلاد وحلت بالبلاد كارثة المجاعة التي أعقبها الوباء الذي أدى إلى هلاك ألوف من الناس، فتزايد السعر حتى وصل سعر القمح إلى مائة وسبعين درهما

(١) البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص ٥٧.

(٢) البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ص٢٥؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١١٢-١١٣؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٢٠؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ٣٤٨.

(٣) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ص ٣٤٨. وعند ابن مماتي اذا زاد ذراعا عن الستة عشر زاد الخراج مائة الف دينار. ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٧٤.

(٤) بحر، مجدي عبد الرشيد، **القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، ١٩٩٩م، ص ١٩١. وسيشار إليه فيما بعد بحر ، **القرية المصرية**.

(٥) شرقت مشتقة من قول شرقت الشمس اذا لمعت وظهرت. البغدادي، **الإفادة والاعتبار**، ١٢٥.

(٦) كتبغا: كان جنديا في جيش المغول ، وقع في الأسر عند المماليك وأشتراه الأمير قلاوون وجعله من مماليكه فلما تولى قلاوون السلطنة اعتقه وأنعم عليه بالإمارة فاصبح أمير، وبعد وفات السلطان قلاوون وتولى ابنه الأشرف خليل سجنه، ثم أفرج عنه، ولما قتل السلطان الأشرف خليل ونصب إخيه محمد بن قلاوون وكان صغير السنة تقلد كتبغا منصب نائب السلطنة، ومدبر الدولة ، وبذلك إنفرد بالسلطة وخلع السلطان الناصر محمد واستولى على السلطة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م حكم نحو السنتين تعرض إلى محاولة أغتيال من قبل بعض الأمراء هرب على أثرها إلى الشام ، ثم عاد إلى مصر ، عينه الناصر محمد نائبا على حماة فظل هناك إلى أن مات سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م. ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق١، ص ٣٨٦- ٣٨٧.

لـلأردب[1]، والشـعير إلـى مائـة وعشـرين درهمـاً لـلأردب، ورطـل اللحـم إلـى سـبعة دراهـم، والفروج خمسة عشر درهماً، والبيضة الواحدة بأربعة دراهم[2].

وتزايـد مـوت النـاس بسـبب هـذا الوبـاء حيـث ذكـر المقريـزي" ... وتزايـد مـوت النـاس حتـى بلـغ عـدة مـن أطلـق مـن الـديوان فـي شـهر ذي الحجـة سـبعة عشـر الـف وخمسـمائة، سـوى الغربـاء والفقـراء وهـم أضـعاف ذلـك، واكـل النـاس مـن شـدة الجـوع الميتات والكلاب والقطط و الحمير وأكل الناس بعضهم بعض"[3].

وفـي سـنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م شـحت ميـاه النيـل وتشـرقت الـبلاد ممـا أدى إلـى وقـوع غـلاء بسـائر الـبلاد المصـرية واضـطربت أحـوال الـبلاد[4]، وكـذلك فـي سـنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م وقـع غـلاء فـي مصـر عقـب نقـص ميـاه نهـر النيـل[5] وعـز القمـح وبيـع كـل أردب مـن القمـح بسـبعين درهمـا، والفـول بخمسـين، والخبـز كـل خمسـة أرطـال بـدرهم، والنـاس متزاحمـون علـى آلافـران طلبـا للخبـز، ممـا اضـطر الـوالي إلـى تعيـين حـراس علـى كـل حـانوت يبيـع الخبـز لـئلا ينهـب، فضـج النـاس للسـلطان واسـتغاثوا [6] ممـا دفـع السـلطان إلـى التـدخل لحـل هـذه الأزمـة حيـث ذكـر المقريـزي " ... فجمـع الأمـراء وقـال لهـم: يـا أمـراء: شـهر علـيكم، وشـهر علـي، وشـهر علـى الله، ففـتح الأمـراء الشـون[7]، وبـاع كـل أردب

---

(١) الأردب : مكيال مصري للحنطة يتألف من (٦) ويبات، كل ويبه (٨) أقداح كبيرة أو (١٦)قدحا صغير ويساوي الأردب (٦٩,٦) كغم من القمح. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ا البشاري(ت٣٨٠ هـ/٩٩٠ م) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٠٤. وسيشار إليه فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم؛ هنتس، **المكاييل والأوزان** ، ص٥٨.

(٢) المقريـزي، السـلوك، ج١، ق٣، ص ٨١٠ ؛ **إغاثـة الأمـة بكشـف الغمـة**، تحقيـق كـرم حلمـي فرحـان، عـين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٧م، ص ١٠٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٩٠؛ النويري، **نهاية الإرب**، ج٣١، ص ١٨٢-١٨٥؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٤٦.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق ٣، ج٨١٠.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق١، ص ٤٥٧.

(٥) قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص٥٦.

(٦) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ١١٣؛ ابن إياس، ابن إياس، محمد بن أحمد،(ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، **المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور**، د.ط، مطابع الشعب، د.م، ١٩٦٠م، ج١، ١٤٤. وسيشار إليه فيما بعد ابن إياس، **المختار من بدائع الزهور**؛ قاسم ، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٥٦؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص٤٨.

(٧) الشون : مفرده شونة وهو مخزن الغلة. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، د.ط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٩٣م، ص ٢٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: الخطيب، **معجم المصطلحات**.

بخمسة وعشرين درهما"[١]. وانخفضت الأسعار ولم يأتِ شهر رمضان إلا وشدة الغلاء قد زالت عن الناس[٢].

ووقع غلاء في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م بسبب قصور النيل حيث ارتفع الماء خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر أصبعاً[٣]، ولم يوفَّ الستة عشر ذراعا فقلق الناس ونودي في القاهرة للناس بالخروج لصلاة الاستسقاء، فخرج السلطان والقضاة والعلماء والصلحاء والناس قاطبة إلى صلاة الاستسقاء، وهم حفاة ومشاة ومعهم أطفال و بهائم، وخرج كذلك طائفة من اليهود ومعهم التوراة، وطائفة من النصارى ومعهم الإنجيل، وضج الناس بالدعاء إلى الله، وفي اليوم التالي فتح السد من غير وفاء فلم يجر الماء في الخلجان إلا قليلا، فعند ذلك وقع القحط في القاهرة، وارتفعت الأسعار حيث بلغ سعر أردب القمح مائة وعشرين درهما، وإردب الشعير ثمانين درهما، وسعر رغيف الخبز أربعة دراهم، ورطل لحم الضأن درهمين، ورطل لحم البقر درهم ونصف، وبلغ ثمن البيضة الواحدة عشرة دراهم، ومات فيها من الدواب ما لايحصى من الجوع وقلة العلف[٤]، وفي ذلك ذكر المقريزي: " وعزت الأقوات، وقل وجودها، فمات الكثير من الجوع حتى امتلأت الطرقات... ودام هذا الغلاء نحو سنتين ... وظن الكثير من الناس دوام تلك الشده واستبعد حصول الفرج وهي حادثة شاهدناها ومحنة أدركناها"[٥].

ومن هذا يتبين أن لوفاء نهر النيل أثر كبير على الزراعة وانعكاسها على الحياة الاقتصادية في مصر بشكل عام وكذلك على الحياة السياسية، بما للسلطان دور في حل هذه الأزمات إذا ما وقعت وكذلك دور الأمراء في التدخل لحل هذه الأزمات والمحن.

---

(١) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ١١٣.

(٢) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ١١٣؛ ابن إياس، **المختار من بدائع الزهور**، ج١، ص ١٤٤، المبارك، **الناصر محمد**، ص٤٩.

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١١، ص ١٠٤.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج٣، ق١، ص ٢١٨؛ **إغاثة الأمة**، ص ١١٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق٢، ص ١٢٥.

(٥) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ١١٤.

ثالثا: الإقطاع وأثره على الفلاحين:

الإقطاع:

الإقطاع لغة الإباحة فيقال أقطعه نهرا وأرضا أي أباحه له ، واستقطعه إياه أي سأله أن يقطعه له(1)، يقال استقطع فلان الإمام قطيعة فاقطعه إياه ، اذا سأله أن يقطعها له ويبينها ملكا له فأعطاه إياه(2)، والإقطاع في الإسلام نوعان إقطاع تمليك وإقطاع استغلال، النوع الأول إقطاع التمليك، له شروط منها، أنه يمكن إقطاع أرض موات لم يثبت صاحبها، وبهذا جاز إقطاع وتمليك أرض الجاهلية كأرض عاد وثمود، أما اذا كانت الأرض إسلامية وبارت لا تملك عرف صاحبها أم لم يعرف، أما النوع الثاني إقطاع الاستغلال فهو أما أن يكون جزيةً أو أجر، ويقطع لسنين محددة ومعلومة ويبين فيها رزق المقطع والخراج، فإن توفي المقطع يعود الإقطاع حكماً لبيت المال، ولا يجوز إقطاع الأرض مدة حياة المقطع(3)، قال القلقشندي: " هذا حكم الإقطاع في الشريعة، وعليه كان عمل الخلفاء والملوك في الزمن السالف؛ أما في زماننا فقد فسد الحال وتغيّرت القوانين، وخرجت الأمور عن القواعد الشرعية، وصارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال "(4).

ظهرت البدايات الأولى للإقطاع في الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ حيث أقطع رسول الله ﷺ الزبير(5) من أموال بني النضير يقال لها الجرف(6)، وسال أبو ثعلبة

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص ٢٨١؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٨٠.

(٢)ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص ٢٨١.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص١٢٠ – ١٢١؛ ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ١٢٩٠-١٤٢٢**، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩٧. وسيشار إليه فيما بعد: ضومط، **الدولة المملوكية**.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص ١٢٤.

(٥) الزبير بْن العوام بْن خويلد بْن أسد ابن عبد العزى بْن قصي بْن كلاب أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رَسُول ﷺ فهو ابن عمة رَسُول اللَّهِ ﷺ أسلم وهو ابن ثماني سنين، وكان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وهاجر إِلَى الحبشة وَإِلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ ﷺ بدر، وأحدً، والخندق، والحديبية، وخيبر، والفتح، وحنينًا، والطائف، وشهد فتح مصر، وجعله عمر بْن الخطاب ﷺ في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفي رَسُول اللَّهِ ﷺ وهو عنهم راض، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قتل سنة ٣٦هـ /٦٥٦م. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ٨ أجزاء، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م، ج٢، ص ٣٠٧. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، **أسد الغابة**.

(٦)المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٨٠.

الخشـني[1] رسـول الله ﷺ أن يقطعـه أرضـا كانـت بيـد الـروم فكتـب لـه بـذلك كتابـا[2]، كمـا قطـع ﷺ تمـيم الـداري[3]أرضـاً بالشـام وكتـب لـه بهـا كتابًـا، وتبعـه فـي ذلـك الخلفـاء الراشـدون كمـا توسـع فيـه الأمويـون والعباسـيون[4]، ذكـر المقريـزي: " وقـد كـان خلفـاء بنـي أميـة وخلفـاء بنـي العبـاس يقطعـون الأراضـي مـن أرض مصـر، النفـر مـن خواصـهم لا كمـا هـو الحـال اليـوم (زمـن المقريـزي)، بـل يكـون مـال خـراج أرض مصـر يصـرف منـه أعطيـة الجنـد، وسـائر الكلـف، ويحمـل مـا يفضـل إلـى بيـت المـال، ومـا أقطـع مـن الأراضـي فإنـه بيـد مـن أقطعـه. وأمـا منذ كانـت أيـام السـلطان صـلاح الـدين يوسـف بـن أيـوب إلـى يومنـا هـذا. فـإن أراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده"[5].

كـان بـدايات ظهـور النظـام الإقطـاعي بالشـكل المعـروف زمـن المماليـك فـي أواخـر القـرن الرابـع الهجـري / العاشـر المـيلادي، عصـر الدولـة العباسـية، فـي عهـد السـيطرة البويهيـة حيـث أقطـع معـز[6] الدولـة البـويهي قادتـه وأصـحابه مـن أهـل عصـبته وخواصـه

(١) أبو ثعلبة: صحابي مشهور روى عن النبي ﷺ أحاديث، سكن الشام، وممن بايع تحت الشجرة، أرسله الرسول ﷺ إلى قومه فاسلموا، مات وهو ساجدا سنة ٤٥هـ/٦٦٥م . ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، **الطبقات الكبرى**، عدد الأجزاء ٨، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٠م، ج٧، ص٣٩١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**.

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن القيم، الكويت، ١٩٨٩م، ص ٢٥٠. وسيشار إليه فيما بعد: الماوردي، **الأحكام السلطانية**.

(٣) وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن دارع بْنِ عَدِيِّ بْنِ الدَّارِ بْنِ هَانِئِ بْنِ حبيب بن نمارة بن لخم بن كعب. وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ومعه أخوه نعيم بن أوس فأسلما وأقطعهما رسول الله ﷺ حبرى وبيت عينون بالشام. وَلَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قطيعة بالشام غيرها. وصحب تميم رسول الله ﷺ وغزا معه وَرَوَى عَنْهُ وَلَمْ يَزَلْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. وكان تميم الداري يكنى أبا رقية، مات في فلسطين سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م . ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٧،ص ٢٨٦؛ الزركلي، **الأعلام**،ج٢، ص ٨٧.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص ١٢١.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٨٢.

(٦) ينتسب البويهيون إلى جدهم أبي شجاع بويه، وهو من فقراء العامة من الفرس، غير أن ابناءه الثلاثة علي، و الحسن، وأحمد، عملوا أجنادا عند بعض حكام العجم الذين استقلوا ببعض الولايات الخاصة للخلافة، ثم أصبح علي حاكما على بلاد الكرج، بعد تقلبه على مراد ويج الديلمي، ثم أشتهر اسمه واستولى على جزء من بلاد فارس كما أن أخاه أحمد الملقب بمعز الدولة أصبح صاحب الأمر والنهي في الخلافة العباسية في بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، د.ط، ١٤ مجلد، دار الكتب المصرية، القاهرة، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ١٩٩٩م، مج ٦، ص ٨٢٦-٨٢٧. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، **العبر**. المقريزي، **السلوك**، ج١، ق١، ص ٢٦.

وأتراكه جميع ما امتدت إليه يده من ضياع الخلافة العباسية وأراضي بيت المال، وكان هذا الأمر أول خروج على مفهوم الإقطاع في الإسلام(١).

وتطور النظام الإقطاعي بمجيء السلاجقة إذ أصبحت الأراضي الخراجية تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده، مقابل الخدمة العسكرية(٢)، ثم نهج الأيوبيين في الإقطاع نهج السلاجقة حيث كانوا يقطعون الإقطاعات مقابل الخدمة العسكرية، إلا أنه كان الإقطاع وراثياً يرثه الابن عن الأب عند الأيوبيين(٣)، ثم ورث المماليك دولة أساتذتهم الأيوبيين، وأتبعوا طريقتهم في أنظمة الحكم بما في ذلك الإقطاع إلا أنه لم يكن وراثياً(٤).

عُنيَ المماليك بالنظام الإقطاعي حتى أصبح عماد الاقتصاد المملوكي، وقاموا بتوزيع الأراضي والبلاد على الأمراء والأجناد؛ ليضمنوا بذلك ولاءهم، ولإيجاد قوة دائمة في البلاد قادرة على صد الأعداء وقمع الثورات(٥)، فأصبحت أرض مصر كلها إقطاعات على حد قول القلقشندي: "واعلم أن بلاد الديار المصرية بجملتها جارية في الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا النزر اليسير مما يجري في وقف من سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها مما لا يعتدّ به لقلته "(٦).

وقد قسمت أرض مصر زمن المماليك إلى سبعة أقسام كما يقول المقريزي وهي(٧):

١ – قسم يجري في ديوان السلطان وهو ثلاثة أقسام:

أ – منه ما يجري في ديوان الوزارة.

---

(١) ضومط، **الدولة المملوكية،** ص ٩٨.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ١٨٢.

(٤) ضومط، **الدولة المملوكية،** ص٩٩.

(٥) البيومي ، **النظم المالية في مصر والشام زمن المماليك،** ص ٣٠٢.

(٦) القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج٣، ص ٥٢٢.

(٧) المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ١٨٢.

ب – ما يجري في ديوانه الخاص[١].

ج – ما يجري في الديوان المفرد[٢].

٢ – قسم أقطعه السلطان للأمراء والجند.

٣ – قسم جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك، وعلى جهات البرّ، وعلى ذراري واقفي تلك الأراضي وعتقائهم.

٤ – أرض الأحباس يجري فيه أراض بأيدي قوم يأكلونها. إما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع، وإما يكون لهم لا في مقابلة عمل.

٥ - ملكا يباع ويشتري ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال.

٦ - لا يزرع للعجز عن زراعته فترعاه المواشي أو ينبت الحطب ونحوه.

٧ - لا يشمله ماء النيل، فهو قفر لا يزال كذلك ومنه ما كان عامراً ثم خرب.

وكانت وحدة القياس المستعملة في توزيع الإقطاع القيراط[٣]، وقد قسمت الأرض في مصر بناء على ذلك إلى أربعة وعشرين قيراطا، موزعة على السلطان والأمراء والجند، أختص السلطان بأربعة قراريط، وعشرة للأمراء وعشرة للأجناد، وأستمر ذلك إلى مجيء السلطان حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م الذي أعادة مسح وتوزيع الأرض، وأرض مصر كانت متفاوتة من حيث النوعية وطريقة الري ووفرة الإنتاج، لذلك كان السلطان يراعي في توزيع الإقطاعات هذه الأمور، فيختص لنفسه وكبار أمرائه بأجود الأراضي، التي عبر عنها القلقشندي بقوله: "...البلاد النفيسة الكثيرة المتحصل..."[٤]، أما المتوسطة الجودة فتقطع للمماليك السلطانية، وأما الدرجة الثالثة فتقطع لأجناد الحلقة والعربان والتركمان، والإقطاعات المملوكية لم تقتصر على

---

(١) وهو الديوان الذي أحدثه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥٢٣.

(٢) ديوان المفرد: ترجع نشأته الأولى إلى عصر الفاطميين، وقد أعيد في عهد السلطان المملوكي برقوق، وأقامه لكي يشرف على إقطاعه الذي يملكه، وأقام فيه ناظراً، وشاهدين ، وكتاب. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٨٩.؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥٢٤.

(٣) القيراط: وحدة مساحة مصر تساوي اليوم قسما من أربعة وعشرين قسما من الفدان. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٩٨.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥٢٥.

الأرض الزراعية فقط، بل شملت جميع موارد الدولة، بما في ذلك الضرائب والمكوس، والمعادن(١)، قال القلقشندي: " وصارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال: من خراج الأراضي، والجزية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغير ذلك. ثم تفاحش الأمر وزاد حتّى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها "(٢).

وقد أطلق على الإقطاع في عهد المماليك أسماء أخرى، مثل عبرة، بمعنى دخل سنوي، أو خبز، جمعها أخباز لما فيها معنى التعيش منه(٣)، وكان للسلطان فقط حق توزيع الإقطاعات على الأمراء والأجناد وتحديد أنصبتهم، وكان السلطان بنفسه يوزع المثالات(٤) على الأمراء والأجناد، أما فيما يتعلق بمقدار الإقطاع في عصر المماليك، فكانت الدولة تقوم بتقدير قيمة الإقطاع الممنوح لكل أمير حسب قواعد وضعت في ديوان النظر، حيث المجتمع المملوكي مقسم إلى فئات هم رجال السيف(٥)، ورجال القلم(٦)، والمتعممين(٧)، وعامة الناس، والذين شملهم الإقطاع جميع رجال السيف وبعض رجال القلم والمتعممين(٨)، وكان مقدار الإقطاع الذي يحصل عليه المقطع يتوزع حسب

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ٥٢٦.؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٠١؛ طرخان، إبراهيم علي، **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، د.ط، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٦٥. وسيشار إليه فيما بعد: طرخان، **النظم الإقطاعية**.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص ١٢٤.

(٣) ماجد، عبد المنعم، **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة للنظم السياسية**، ط٢، جزءان ، مكتبة الانكلو مصرية، د. م ، ١٩٧٩م، ج١، ص ٦٩. وسيشار إليه فيما بعد: ماجد، نظم دولة سلاطين **المماليك**.

(٤) المثال: عبارة عن ورقة أي وثيقه رسمية من ديوان الخراج لكل جندي أو مملوك تبين مقدار ماله من الفدادين من الأرض الزراعية التي يستثمرها وحدودها واسم الإقليم ، والقرية . القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣، ص ١٥٩.

(٥) وهم المماليك الذي على رأس السلم ، والمناصب التي كانت بأيديهم السلطنة، إمرة السلاح ، والدوادارية، والحجوبية ، وإمرة جاندار، والأستاذدارية، ونقابة الجيش، والولاة. العمر، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى،(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دولة المماليك**، تحقيق دورتيا كراڤولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٩. وسيشار إليه فيما بعد: العمري، **مسالك الأبصار**.

(٦) وهم كبار موظفي الدولة والمناصب التي كانت بأيدهم، الوزارة، وكتابة السر، ونظر الجيش، ونظر الأموال، و نظر الخزانة، ونظر البيوت السلطانية، ونظر بيت المال. ونظر الإصطبلات. العمري، **مسالك الأبصار**، ص٥٠.

(٧) وهم العلماء وفي مقدمتهم القضاة، والخطباء ووظيفتا الحسبة ووكالة بيت المال. العمري، **مسالك الأبصار**، ص٥٠.

(٨)ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٠٥-١٠٦.

الرتبة العسكرية، ومدى علاقة المقطع بالسلطان؛ لذلك لم يكن هناك تساوي بين أمراء الفئة الواحدة في مقدار الإقطاع، حيث كانت تتراوح إقطاعات أمراء المئة[١] ما بين ٢٠٠ألف دينار جيشية، إلى (١٨٠) ألف دينار جيشية، وأمراء الطبلخانة [٢]من (١٣٠) الف دينار جيشية إلى(١٢٣) ألف دينار جيشية، وأمراء العشرات من(٧) آلاف دينار جيشية فما دون، أما الأجناد فبلغ أقطاع الجندي من (١٥٠٠) دينار دينار جيشية إلى(٢٥٠) دينار جيشية، [٣] وكان المقطع من الأمراء يحصل ما بين القرية الواحدة إلى العشر قرى، قال القلقشندي: " تقطع للأمراء على قدر درجاتهم، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة "[٤].

أثر الإقطاع على الفلاحين:

كان الفلاحون وهم السواد الأعظم من أهل البلاد يعانون من الاحتقار والإهمال في العصر المملوكي[٥]، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " إنها معاش المستضعفين ويختص أهلها بالذلة"[٦]، وهناك أمثله كثير تدل على مدى احتقار المماليك للفلاحين فإذا صادف وأرتقى رجل أصله من الأرياف إلى بعض وظائف الدولة الكبيرة، غضب المماليك وصاحوا،" ما كان في مماليك السلطان من يعتمد عليه إلا هذا الفلاح"[٧]، واذا تجاوز أحدا على أحد المماليك قالوا له " أخرس يا فلاح يا كلب"[٨]، واذا تولى أحد أمراء

---

(١) عدة كل منهم مائة فارس، وله التقدم على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الامراء ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوضائف والنواب. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ١٤.

(٢) الطبقة الثانية- أمراء الطبلخاناه، وعدّة كل منهم في الغالب أربعون فارسا، وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا، بل اصبح فيما أن يكون للواحد منهم ثمانون فارسا ، وهذه الطبقة لا ضابط لعدّة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخاناه فجعلت إمرتي عشرين أو أربع عشرات، أو ضم بعض العشرات ونحوها إلى بعض وجعلت طبلخاناه، ومن أمراء الطبلخاناه تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشّاف بالأعمال، وأكابر الولاة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ١٥.

(٣) العمري، **مسالك الأبصار**، ص ٩٤؛ المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص٣٧٦.؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص٥٢.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥٢٥.

(٥) عاشور، **المجتمع المصري**، ص ٥٦.

(٦)ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص ٣٤٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، **المقدمة**.

(٧) عاشور، **المجتمع المصري**، ص٥٧.

(٨) **المرجع نفسه**.

المماليك المتشددين على أحد الأقاليم فإنه يُحرم على الفلاحين لبس المئزر الأسود ولا يركب فرساً أو يتقلد سيفاً ويحرم عليه حمل العصا المجلبة بالحديد[١].

وعاش المزارعين حياة صعبة حيث كانوا يجبرونهم على عمل السخرة، ففي سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأنشاء جسر بالنيل، أرسل أقبغا عبد الواحد إلى والي القاهر بتسخير العامة للعمل فيه، فقبض الوالي على عدد كثير منهم، بل كانوا يأخذون الناس من الأسواق والمساجد والجوامع للعمل، مما دفع الناس إلى التستر في بيوتهم خوفا من السخرة[٢]، وكان يرى الأمير اقبغا عبد الواحد مكرمة في تحديد يوم واحد للسخرة في كل أسبوع في بناء مدرسة الأقبغاوية[٣] سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م [٤].

ونجم عن سيادة النظام الإقطاعي والأوضاع السيئة للفلاح المصري خضوع الفلاح إلى نوع جديد من العبودية فصار قناً دائماً، عليه العمل في خدمة الإقطاعي[٥]، وقد أشار المقريزي لهذا الوضع بقوله: " لا يعرف هذه إلّا بذة التي يقال لها اليوم الفلاحة، ويسمى المزارع المقيم بالبلد: فلاحا قرارا، فيصير عبدا قنا لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق بل هو قنّ ما بقي، ومن ولد له كذلك "[٦].

لذلك ليس من الغريب ألا يجد الفلاح ما يستر به عورته، ولا يأكل إلا الشعير والجبن القريش والبصل، ومما زاد حالة الفلاحين سوءاً كثرة المغارم والمظالم التي كانت تنزل بهم من قبل الولاة، والحكام الذين كانوا يأخذوا منهم أكثر من المستحق، إضعافا مضاعفة، كذلك سن الولاة على أهل القرية الواحدة نظام المسؤولية المشتركة

(١) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٣، ص ٩٤٦؛ المقريزي، **الخطط** ج٨، ص ١٦٣.

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق٢، ص ٤٥٠.

(٣) الأقبغاوية: وهي المدرسة التي بناها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون، بجوار الجامع الأزهر سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م وسميت باسمه. المقريزي، **الخطط**، ج٤، ص ٢٣٣.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٤، ص ٢٣٣؛ **السلوك**، ج٢، ق٢، ص ٤٨٨.

(٥) ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ٣٥٢.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٦١.

فيما يستحق عليهم من أموال[1]، فضلاً عن ذلك فإن الفلاحين لم يسلموا من سطو العربان (البدو)، الذين كانوا يغيرون على القرى للنهب والسلب وكانوا يكررون هذه الأغارات بين فتره وأخرى[2].

إن هذه المظالم دفعت كثير من أهالي القرى إلى هجرة قراهم إلى المدن، وكان لهذه الهجرة أثر كبير على الزراعة، حيث أدت إلى نقص الأيدي العاملة في الزراعة مما أدى إلى تدهورها وقلة انتاقها، مما دفع سلاطين المماليك إلى إجبار أهالي الريف على العودة إلى بلادهم[3].

رابعا: أصناف الأراضي الزراعية وتنوع المحاصيل الزراعية:

أصناف الأرض الزراعية:

كانت الزراعة هي عصب الحياة الاقتصادية في مصر، ولهذا أقبل المصريون على الزراعة وتنوعوا فيها، وتميزت تربة مصر بالخصوبة؛ لأنها تتجدد سنويا، من خلال الطمى الذي يحمله مياه النيل عند الفيضان[4]، وهذا أدى إلى تنوع الأرض الزراعية، وبالتالي تنوعت المحاصيل الزراعية التي تزرع فيها، كما أن قيمة الأرض الزراعية بمصر تختلف باختلاف ما يزرع فيها من المحاصيل التي تؤثر على درجة خصوبتها في العام التالي، وكانت للظروف الطبيعية من قرب الأرض وبعدها من النهر، واقترابها من المياه المالحة، وحواف الصحراء أثر على جودة الأرض الزراعية، وتحديد نوع المحصول الذي يزرع فيها، وعلى هذا الأساس قسم المعاصرون الأرض الزراعية إلى أصناف هي[5]:

---

(١) عاشور، **المجتمع المصري**، ص ٥٨.

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٥٩.

(٣) ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ٣٥٢.

(٤)العزام، **الزراعة في مصر**، ١٥٠؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٧٣.

(٥) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٠١؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٨٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥١٦.

١ – الباقي: وهي خير الأراضي وأغلاها قيمةً وأوفاها سعراً وهي التي زرعت قرط ومقاثي[١] في العام السابق، وتصلح لزراعة القمح والكتان في العام الجديد.

٢ – ري الشراقي: هي الأرض التي شرقت في العام الماضي، فلما رويت بعد أن أريحت عاماً كاملاً حصل لها من الري بقدر ما حصل لها من الظمأ، فإنجب زرعها وهي تساوي الباقي بالجودة.

٣ – البروبية أو البرايب: وهي الأرض التي زرعت قمحاً أو شعيراً في السنة الماضية، فإن زرعت كذلك في السنة التالية لم تنجب مثل الباق، وأصلح ما يزرع في هذه الأرض القرط والقطاني، والمقاثي، لراحة الأرض فتصير باق في السنة التالية .

٤ – البقماهة أو السقماهية: وهي الأرض التي زرعت كتاناً، فإن زرعت قمحاً في السنة الجديدة جاء صغير الحب أسود اللون، نظرا لما يترتب على زراعة الكتان من إجهادٍ للتربة.

٥ – الشتونية: قال القلقشندي،" وأهل زماننا يقولون الشتاني"[٢]، وهي الأرض التي رويت وبارت في العام الماضي، وهي دون ري الشراقي.

٦ – شق شمس السلايح: وهي الأرض التي رويت ثم بارت، فحرثت وتركت مكشوفة للشمس، وهي مثل ري الشراقي فإن زرعت يكون ناجباً. .

٧ – البرش النقاء: وهي الأرض التي خلت من أثر ما زرع فيها في العام الماضي ولم يبق بها ما يمنع زراعتها من أنواع المحاصيل.

٨ – الوسخ المزروع: وهي الأرض التي استحكم وسخها، ولم يتمكن المزارعون من أزالته كله، بل حرثوا الأرض وزرعوا فيها فجاء الزرع مختلطاً بالحلفاء ونحوه.

٩ – الوسخ الغالب: وهي أرض حصل فيها من نباتات منع كثرته من زراعتها وصارت مراعي.

١٠ – الخرس، وهي الأرض التي لا يصلح فيها زراعة أي نوع من المحاصيل، وتستخدم مراعي للدواب.

---

(١) المقاثي: من المحاصيل الزراعية تشمل الخيار والبطيخ وما شابهه مما يمتد زراعته على الأرض. ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٤٤٩.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥١٨.

١١ – الشراقي: وهي الأرض التي لم يصل إليها الماء لقصور مياه نهر النيل أو أرتفاعها أو لسد طريق الماء عنها وغير ذلك.

١٢ – السباخ: وهي كل أرض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها في زراعة الحبوب، وربما زرع فيما لم يستحكم السبخ منها الهليون، والباذنجان، والقصب الفارسي.

وكان النظام المتبع في الري في غالب أرض مصر نظام الحياض، وذلك لتباين تضاريس الأرض الزراعية منها المرتفعة ومنها المنخفضة، وقسمت الأرض إلى أحواض صغيرة وكبيرة، تتراوح بين (٢٠٠٠ – ٥٠٠٠) فدان [١] وتصل إليها المياه بواسطة إحدى القنوات، أو عند فيضان النيل، ويوجد في نهاية الأحواض مصاريف تفتح عند الحاجة للتخلص من المياه الزائد[٢]، وكانت تروى بعض الأراضي بطريقة السواقي التي تدار بواسطة الحيوانات لقربها من مجرى النيل، كأرض الدلتا الواقعة بين فرعي النيل، وفي بلاد الصعيد في سنين الجدب[٣]، وتزرع هذه الأرض بالمحاصيل الصيفية التي تحتاج إلى الماء دائما، ولا يزرع في مصر على الأمطار إلا القليل جدا بأطراف البحيرة[٤].

المحاصيل الزراعية:

تقسم المحاصيل التي كانت تزرع في مصر إلى قسمين: محاصيل شتوية والتي كانت تزرع في فصل الخريف والشتاء، والمحاصيل الصيفية التي كانت تزرع في فصل الربيع والصيف.

---

(١) الفدان: مقياس المساحة المصري المفضل وكان يساوي (٤٠٠) قصبة مربعة، والقصبة تساوي (٣٩٩) سم لذلك تقدر مساحة الفدان في العصور الوسطى بـ (٦٣٦٨) متر مربع. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٥١٣؛ هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٩٨.

(٢) ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ١٧٧؛ قاسم، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٢٠؛ بحر، **القرية المصرية**، ص ١٧٩.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٤٤؛ قاسم ، **النيل والمجتمع المصري**، ص ٢١؛ شطناوي، عدنان على طه، (٢٠٠١م)، **دولة المماليك الأولى في مصر والشام في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين**(٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ص ١٨٢. وسيشار إليه فيما بعد: شطناوي، **دولة المماليك الأولى**.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٤٤؛ بحر، **القرية المصرية**، ص ١٨٠.

أ – المحاصيل الشتوية:

وهي المحاصيل التي يكون موسم زراعتها في فصلي الخريف والشتاء ويجنى ثمارها في نهاية فصل الربع وبداية فصل الصيف ومن اهم هذه المحاصيل: القمح، والشعير، والفول، والعدس، والحمص، والجلبان، والكتان، والقرط، والبصل والثوم، والترمس.

١ – القمح: وكان يفضل زراعته في الأرض التي لم تزرع في السنة الماضية لعدم وصول المياه أليها والتي تسمى الشراق، وكذلك الأرض التي زرعت قرط ومقاثي، والتي تسمى الباق، وفي الصعيد كان يزرع في الأرض التي زرعت قمحاً في السنة الماضية وذلك لكثرة الطرح[١]، وموعد زراعته من نصف شهر بابه (كانون الأول) إلى أخر هتور (كانون الثاني) هذا في الأرض العالية، أما البحائر أي الأرض المنخفضة التي يبقى فيها الماء فترة أطول فيمتد وقت زراعته إلى أخر كيهك (تشرين الأول)، ومقدار ما يحتاج أليه الفدان من البذور يختلف حسب قوة الأرض وضعفها، إلا أنه على الغالب يكون مقدار البذور من أردب إلى أربع أو خمسة ويبات[٢]، ويحصد في شهر بشنس(أيار)[٣].

٢ – الشعير: يزرع الشعير في الأراضي التي سبق أن زرعت قمحاً، أو في الأرض التي زرعت بأي محصول أخر شرط أن تكون هذه الأرض رطبة، ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام، وكذلك حصاده، وكمية ما يحتاج الفدان الواحد من بذور الشعير

---

(١) الطرح من السياسات الاقتصادية في العصر المملوكي يقصد به الإجبار بشراء البضائع العائدة لرجال الدولة بسعر يزيد عن سعرها الحقيقي . أنظر: صالحية، محمد، **ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي،** أبحاث اليرموك، مج٣، ع ٩، الأردن ١٩٩٣، ص ٥١ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد: صالحية، **ظاهرة الطرح والرمي** . وقد ارتبطت كثرة طرح القمح وغيره من الحبوب بطبيعة النظام المملوكي المالي، حيث أقتضى هذا = = النظام أن تدفع أجزاء من رواتب المماليك عينية على شكل سلع شملت الحبوب مما شكل مخزونا كبيرا من هذه المواد لدى المماليك. أنظر: العيني، بد الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)**السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي،** تحقيق محمد شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، د. ط ، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٢٦٧. وسيشار إليه فيما بعد: العيني **السيف المهند؛** صالحية، **ظاهرة الطرح والرمي،** ص ٦٥.

(٢) الويبة: مكيال مصري كان يعادل في القرنين الثامن والتاسع الهجري (١٦) قدحا صغيرا، كل قدح منها يساوي(٢٣٢) درهما ويساوي(١١,٦) كغم قمح. القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج٣، ص ٥١٢؛ هنتس، **المكاييل والأوزان،** ص٨٠.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين،** ص٢٥٩؛ المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ١٩٠؛ كوكش، أحمد يحيى،(١٩٩٩م) **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية في مصر في عصره،** جامعة مؤتة، الأردن، ص ٦٦. وسيشار إليه فيما بعد: كوكش، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية.**

تختلـف بـاختلاف الأرض كمـا فـي القمـح، ويكـون حصـاده فـي شـهر برمـوده (أذار)[١]، وينتج الفدان المزروع شعير أكثر مما ينتج الفدان المزروع بالقمح[٢].

٣ – الفـول: يـزرع الفـول فـي أرض البرايـب، ووقـت زراعتـه أول شـهر بابه(تشـرين الأول) ويؤكـل وهـو أخضـر فـي شـهر كيهـك (كـانون الأول)، ويحتـاج الفـدان مـن البـذور نحـو ثـلاث ويبـات، ويحصـد فـي شـهر برمـوده (نيسـان)، ويحصـل مـن الفـدان مـا يقـارب عشرين أردبا وما دون[٣].

٤ – العـدس والحمـص: يـزرع كـل مـن العـدس والحمـص فـي شـهر هتور(تشـرين الثـاني) إلـى شـهر كيهـك (كـانون الأول)، ويحتـاج الفـدان مـن الحمـص مـن أردب إلـى ثمـان ويبـات، ومـن العـدس مـن ويبتـين إلـى مـا دون، وتحصـد هـذه الأصـناف فـي شـهر برمـوده (نيسـان)، ومقـدار مـا يتحصـل مـن العـدس مـن خمسـة أردب إلـى عشـرين، والحمـص مـن أربعـة أرادب إلى عشرة أرادب[٤].

٥ – الجلبـان: هـو حـب يشـبه المـاش والكرسـنة، يوكـل مطبوخـا وأجـوده الهنـدي، ثـم اليمنـي، وأردؤه الشـامي،[٥]، ولا يـزرع إلا فـي الأرض المحروثـة الرقيقـة، أو الأرض الخـرس، ومقـدار مـا يحتـاج إليـه الفـدان مـن البـذار مـن أردب إلـى سـبع ويبـات، وموسـم حصـاده فـي شهر برموده (نيسان) ومقدار ما يتحصل منه، نحو عشرة أرادب[٦].

٦ – الكتـان: يفضـل زراعـة الكتـان فـي أرض البـرش، ويحتـاج إلـى السـماد إذا مـا زرع فـي أرض السـبخ، وموعـد زراعتـه فـي شـهر هتور(تشـرين الأول)[٧]، ويقلـع قضـباناً ويسـمى أشـلافاً[٨]، وينشـر فـي مكـان حتـى يجـف، فـاذا جـف حمـل وهـدر وعـزل جـوزه، ويحتـاج الفـدان مـابين أردب واحـد وثلـث الأردب مـن البـذار، إلـى مـا دون ذلـك، ووقـت حصـاده فـي

---

(١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٥٩؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٩٠؛ بحر، **القرية المصرية**، ص١٨٢.

(٢) كوكش، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية**، ص٦٧.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٠؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٩٠؛ كوكش، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية**، ص٦٧.

(٤) ابن مماتي ، **قوانين الدواوين** ، ص ٢٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٤٤.

(٦) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦١؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٠.

(٧) كوكش، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية**، ص٦٨.

(٨) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ٢٦١. عند المقريزي: اسلافا. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٩١.

شهر برموده(نيسان)، ومقدار ما يتحصل من الفدان الواحد ما يقارب ثلاثين أردبا، ومن البذور، من ثلاثة أرادب إلى ستة أرادب[١].

٧ – القرط[٢]: ويزرع عند بداية فيضان النيل عن الزيادة، ويكره تأخير زراعته إلى وقت هبوب الريح الجنوبية المسماة بالمريسية، ووقت زراعته في شهر بابه (تشرين الأول) وفي الأرض المحروثة كما يزرع في شهري كيهك (كانون الأول) وطوبة (كانون الثاني)، ويحتاج الفدان الواحد من البذور حوالي ويبتين ونصف، ويحصد الأخضر منه في أخر شهر كيهك (كانون الأول) ويتحصل من الفدان الواحد ما بين أردبين إلى أربع ويبات[٣].

٨ – البصل والثوم: يزرعا في شهر هتور (تشرين الأول) إلى نصف كيهك (كانون الأول) ويحتاج الفدان الواحد من البذور، من البصل نصف وربع ويبه إلى ويبه، والثوم من مائة حزمة إلى مائة وخمسين حزمة، ويقطف في شهر برموده(نيسان) ومقدار ما يتحصل من الفدان عشرة دنانير إلى عشرين دينار[٤].

٩ – الترمس: يكون وقت زراعته في شهر طوبه (كانون الثاني) ومقدار ما يحتاج الفدان الواحد من البذور للفدان الواحد، أردب واحد، وموعد أدراكه في شهر برموده (نيسان) ومقدار ما يتحصل منه الفدان الواحد حوالي عشرين أردب[٥].

ب – المحاصيل الصيفية:

سميت بالمحاصيل الصيفية لانها تزرع في فصل الصيف ويكون جني ثمارها في نفس الفصل، ومن اهم المحاصيل الصيفية: البطيخ الأصفر والأخضر، والسمسم،

---

(١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**،ص٢٦٢؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٩١.

(٢) القرط: بالكسر نوع من الكراث يعرف بكراث المائدة، وبالضم نبات كالرطبة . الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، ط٨، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ م، ص ٦٨٢. وسيشار إليه فيما بعد: الفيروز آباد، **القاموس المحيط**.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٢؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩١.

(٤) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٣؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩١.

(٥) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٤؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩١.

والقطن، وقصب السكر، والقلقاس، والباذنجان، والسمسم النيلي، والنيلة، والفجل، واللفت، والخس، والكرنب، والبصل.

١ – البطيخ الأصفر والأخضر واللوبيا:موعد زراعة البطيخ واللوبيا من نصف شهر برمهات (أذار) إلى النصف من برموده (نيسان) ويحتاج الفدان الواحد من البذور قدحان[١]، ويقطف ثماره في شهر بشنس (أيار)، ومقدار ما يتحصل عليه من الفدان من دينار إلى عشرين دينار[٢].

٢ – السمسم: يزرع السمسم في شهر برموده (نيسان) ومقدار ما يحتاج إليه الفدان الواحد من البذور حوالي ويبة[٣]، ويحصد في شهر أبيب ومسرى (تموز وأب) ومقدار ما يتحصل عليه من الفدان الواحد، ما بين أردب إلى ستة أرادب[٤].

٣ – القطن: موعد زراعة القطن في شهر برموده (نيسان) ومقدار ما يحتاج إليه الفدان الواحد من البذور أربع ويبات حب، ويدرك في شهر توت (أيلول) ومقدار ما يتحصل من الفدان الواحد من ثمانيةٍ قناطر بالجروي[٥]، إلى ما دونها[٦].

٤ – قصب السكر: ويزرع في الأرض التي زرعت قرطاً ومقاثي، ويتم زراعة القصب بعد تنظيف الأرض وحرثها ست مرات وجرفها ثم تمهيدها وحرثها ست مرات أخرى، وبالمقلقلان[٧]، وتقسم الأرض إلى أحواض يصل إليها الماء من خلال جداول، ثم توضع فيها الأقصاب وهي ملقاه حتى أوائل الربيع، وعندها تبدأ سقاية القصب مرة واحدة كل

---

(١) القدح : مكيال مصري له حجمان صغير كل ستة عشر واحدا منه يساوي ويبة، وكبير كل ثمانية منه تساوي ويبة، ويساوي (١١,٦) كغم . هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٦٥.

(٢) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٥؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩١.

(٣) عند المقريزي، ربع ويبة. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩١.

(٤) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٥.

(٥) القنطار: وحدة وزن، عرفت مصر منه في العصور الوسطى عدة أنواع أشهرها الفلفلي الذي أستخدم لوزن البهارات والتوابل ويساوي (٤٦٤,٤٤) كغم، والليثي ويزن (٦٢) كغم، والجروي (٩٦,٧) كغم، وقنطار المن، ويزن (٢٥,٨١) كغم، وهناك آخر كان يزن (١٢٠) كغم. هنتس، **المكاييل** والأوزان، ص ٩٨.

(٦) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٥؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩١.

(٧) وهي محارث كبيرة. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢.

سبعة أيام وذلك بإغراقها بالماء لمدة ساعتين أو ثلاث، فاذا أورق القصب تعزق[١] أرضه حتى يقوى، ويعالج القصب بالقطران قبل أن يحلو حتى لا يصيبه السوس، وموعد زراعته شهر برمهات (أذار)، وقت إدراك المحصول ، الرأس في طوبه (كانون الثاني) والخلفة في النصف من هتور (تشرين الثاني)، ومقدار ما يتحصل من الفدان من أربعين إلى ثمانين ابلوجة[٢].

٥ – القلقاس: وقت زراعته نصف برمهات (أذار) ويحتاج الفدان الواحد إلى عشرة قناطير جروية، ويقطف في شهر هتور (تشرين الثاني) ومقدار ما يتحصل من الفدان الواحد من خمسة دنانير إلى أربعين دينارا[٣].

٦ – الباذنجان: ويزرع في شهر برمهات (أذار) وبرموده (نيسان) وبؤونه (حزيران) ومقدار ما يحتاج الفدان من تقاوى الشتل بين دينارا إلى دينارين، ويقطف في شهر بؤونه (حزيران) وأبيب (تموز) ومسرى (أب) ومقدار ما يتحصل من الفدان الواحد حوالي ثلاثين دينارا[٤].

٧ – السمسم النيلي: يزرع في أواخر شهر بؤونه (حزيران) ويحتاج الفدان الواحد من البذور ربع ويبه، ويدرك في شهر توت (أيلول) ومقدار ما يتحصل منه أردب إلى خمسة أرادب[٥].

٨ – النيلة: وقت زراعتها بشنس (كايس) وبؤونه (حزيران) ومقدار ما يحتاج الفدان الواحد من البذور بين ربع ويبة إلى ويبة، ويدرك في شهر أبيب (تموز)، وتحصله حوالي ستة وعشرين دينارا[٦].

---

(١) العزق: ومعناه أن تنكش أرض القصب، وينضف من ما ينبت مع القصب من النباتات الطبيعية. المقريزي، **الخطط**، ج١، ١٩٢.

(٢) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٦؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢.والإبلوجة: مكيال يسع قنطارا فما حوله، والقنطار عدة أنواع ويساوي بالأساس (١٠٠) رطل، وإذا كان الرطل في مصر في العصور الوسطى يساوي (٤٥٠) غراما ٤٥٠ × ١٠٠ = ٤٥٠٠٠ غراما. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢؛ هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٤٠، ٨٠.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٧؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢.

(٤) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٧؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢.

(٥) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٨؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢.

(٦) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٨؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٢.

٩ – الفجل: ويزرع طوال السنة، ومقدار ما يحتاج إليه الفدان الواحد من قدح إلى قدحين ووقت أدراك المحصول على طول السنة، ومتحصل الفدان الواحد منه من أربعة دنانير إلى ستة دنانير[١].

١٠ – اللفت: وقت زراعته أبيب (تموز)، ومسرى (أب)، وتوت (أيلول)، وبابه (تشرين الأول)، ومقدار ما يحتاج إليه الفدان الواحد من البذور، قدح واحد ، وقت أدراك المحصول بعد أربعين يوماً من زراعته، ومتحصله من أربعة دنانير إلى ستة دنانير[٢].

١١ – الخس: موعد زراعته في شهر طوبه (كانون الثاني) ويزرع شتلاً، ومقدار ما يحتاج إليه الفدان الواحد من الشتل، بين ربع ونصف دينار، وأدراكه بعد شهرين من زراعته، ومتحصله حوالي عشره دنانير[٣].

١٢ – الكرنب: وقت زراعته في شهر توت (أيلول)، ويزرع شتلاً، ويحتاج الفدان الواحد إلى حوالي دينارين من الشتل، ويكون قطف ثماره في شهر هاتور (تشرين الثاني) ومتحصله حوالي عشرين دينارا[٤].

١٣ – البصل: ويزرع طوال السنة، ويحتاج الفدان الواحد من البذور من ستة إلى سبع أرادب، ويدرك بعد شهر من زراعته، ومقدار أنتاج الفدان الواحد حوالي أربع دنانير[٥].

ج – أشجار الفاكهة:

انتشرت زراعة الأشجار المثمرة والفواكه في جميع أنحاء مصر، مع غلبة أصناف معينة في كل وجه، حيث تزرع النخيل في أنحاء مصر، وقدرت المساحة المزروعة بها في بلاد الصعيد حوالي عشرين ألف فدان[٦]، ومن المراكز المهمة

---

(١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٩؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٣.

(٢) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٦٩؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٣.

(٣) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٧٠؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٣.

(٤) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٧٠؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٩٣.

(٥) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٧٠.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٥٠.

لزراعة النخيل مدينة أسوان[1]،حيث يبلغ إنتاجها السنوي حوالي ثلاثين ألف أردب[2]، ويكثر النخيل كذلك في مدينة إسنا[3] حيث كان يبلغ إنتاجها السنوي حوالي أربعين ألف أردب تمر[4]، ويزرع النخيل أيضا في الواحات، قال أبو الفداء: " وهي كثيرة النخل"[5].

أما العنب فإنه يأتي بالمرتبة الثانية بعد النخيل من حيث الانتشار[6]، ويزرع في جميع أراضي مصر، ومن أشهر المناطق في إنتاج الأصناف الجيدة من العنب قوص[7]، وإسنا التي يبلغ إنتاجها أثنتي عشر ألف أردب من الزبيب[8]، ويزرع العنب في منطقة الواحات[9].

وهناك أنواع أخرى عديدة من الفواكه حيث ذكر القلقشندي، وأبي فضل العمري، أنواع منها مثل: "التّين، والرّمّان، والخوخ، والمشمش، والقراصيا، والبرقوق، والتّفّاح، والكمّثرى، والسّفرجل بقلّة، واللّوز الأخضر، والنّبق «١» ، والتّوت، والفرصاد، والموز، الجوز، والفستق، والبندق، وأشجار الزيتون لكنها قليلة"[10].

---

(١) وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ١٩٢.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، ق٢، ص ٣٤؛ أبي الفداء، عماد الدين أسماعيل بن محمد بن عمر(ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، **تقويم البلدان**، د. ط، أعتنى به رينود و البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م، ص ١١٣. وسيشار إليه فيما بعد أبي الفداء، **تقويم البلدان**.

(٣) مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا أدفو وأسوان ثم بلاد النوبة، وهي على شاطئ النيل من الجانب الغربي . ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ١٨٩.

(٤) ابن دقماق، **الانتصار**، ق٢، ص ٣٠؛ أبي الفداء، **تقويم البلدان**، ص١١٥.

(٥) أبي الفداء، **تقويم البلدان**، ص١٠٥.

(٦) ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ص ٢٦٣.

(٧) قوص: هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وهي محطّ التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة، وهي شديدة الحرّ لقربها من البلاد الجنوبية، وبينها وبين قفط فرسخ وهي شرقي النيل، بينها وبين بحر اليمن خمسة أيام أو أربعة . ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤١٣.

(٨) ابن دقماق، الانتصار، ق٢، ص٣٠؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ٣٧٤؛ ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر**، ٢٦٣.

(٩) ابن دقماق، **الانتصار**، ق٢، ص ١٢.

(١٠)القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٤٤؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ص ٨٣.

وقد أهتم سلاطين أسرة قلاوون بإنشاء البساتين، حيث بلغ عدد البساتين التي أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون في جزيرة النيل ما يقارب من ١٥٠ بستاناً[١]، وفي قرية النحريرية[٢] أُنشيء فيها أكثر من ثلاثين بستاناً في عصر الناصر محمد بن قلاوون[٣]، وكان في القاهرة وضواحيها، الكثير من البساتين، منها بستان السراج في

أرض اللوق[٤]، وبستان ابن ثعلب[٥]، حيث كانت مساحته خمسة وسبعون فداناً وكان يغرس فيه النخيل والكروم والنرجس والخوخ وغيرها[٦]، وتكثر البساتين في مدن مصرية عديدة، مثل إسنا، وأسوان، وبلبيس[٧]، والروضة[٨]، ذكر القلقشندي، محاسن فاكهتها بقوله: **" لا يدوم نوع منها في جميع السنة فيُمَّل بل يأتي كل نوع منها في وقت دون وقت فتشوق النفوس إلى طلبه، ويكون لقدومه بهجة"**[٩].

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢٣٥.

(٢) النحريرية: قرية من الأعمال الغربية أسس حكرها الأمير شمس الدين سنقر السعدي، نقيب الجيش في أيام الناصر محمد بن قلاوون، وبالغ في عمارتها، فبلغت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة، ثم خرج عنها، فعمرت للسلطان. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٧.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٧.

(٤) حكر الخليلي: هذا الحكر هو الخط الذي بقرب سويقة السباعين وجامع الست مسكة، وهو بجوار حكر الزهريّ، وكان بستانا يعرف ببستان أبي اليمان، ثم عرف ببستان ابن جن حلوان، وهو الجمال محمد بن الزكي يحيى بن عبد المنعم بن منصور التاجر. في ثمرة البساتين عرف بابن جن حلوان، في سنة إحدى وتسعين وستمائة، وحدّ هذا البستان القبليّ إلى الخليج، وكان فيه بابه والهماليا والحدّ البحريّ ينتهي إلى غيظ قيماز، والشرقيّ إلى الآدر المحتكرة، والغربيّ ينتهي إلى قطعة تعرف قديما بابن أبي التاج. ثم عرف ببستان ابن السراج، واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور في سنة ثمان وثمانين وستمائة، فعرف به. المقريزي، **الخطط**، ج٣،ص ٢٠٧.

(٥) ابن ثعلب هو الشريف الأمير الكبير فخر الدين إسماعيل بن ثعلب الجعفريّ الزينبيّ، أحد أمراء مصر في أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢١٢.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٢١٢؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص٢٨٤.

(٧) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، يسكنها عبس ابن بغيض، فتحت في سنة ١٨ أو ١٩ على يد عمرو بن العاص. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١،ص ٤٧٩.

(٨) أبي الفداء، **تقويم البلدان**، ص١١٥؛ ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله(ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة**، د. ط، ٦ أجزاء، تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٩٧م،ج١، ص ٢٣١. وسيشار اليه فيما بعد: ابن بطوطة، رحلة.؛ ابن دقماق، **الانتصار**، ق٢، ص ٣٠؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٥٠.

(٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٤٥.

خامسا: أعادة توزيع الأراضي في عهد الناصر محمد بن قلاوون(الروك الناصر)

أن الزراعة في مصر كما ذكرنا سابقاً كانت معتمدة بالدرجة الأولى على فيضان نهر النيل المعروف بوفاء النيل، وعند فيضانه فإنه يغمر مساحات من الأرض، وهذا يؤدي إلى تغيير في مظاهر الأرض، ويزيل حدود كانت قد وضعت بين الأقطاعات، كما أن عدم وفاء النيل قد لا يغمر الأرض كلها فتبور ما لم يصلها الماء، أو يظل الماء في الأرض المنخفضة بعد نزوله فلا تزرع، وإن ارتفاع النيل إلى حد يغمر معه أرضاً لم يكن يصلها وبذلك تدخل في نطاق الأرض الزراعية، فكان من اللازم معرفة مساحة الأرض المزروعة بين فترة وأخرى(١).

إضافة إلى ذلك فإن النظام الإقطاعي الذي كان متبع في زمن المماليك أوجب على السلطان إعادة توزيع الأقطاعات كلما دعت الحاجة، وقد جرت العادة أن يقوم كل سلطان جديد عند تسلمه الحكم بأجراء تعديلات في توزيع الأقطاعات، قد تكون محلية على نطاق محدود، أو عامة شاملة(٢).

أن عملية مسح الأرض وحصرها وإعادة توزيع الأقطاعات من جديد عرفت باسم الروك(٣)، وقد أصطلح على استعماله في مصطلح الإدارة المالية في مصر والشام في العصور الوسطى، للدلالة على عملية قياس الأرض وحصرها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها، مرة كل ثلاثين سنةً تقريباً(٤).

وقد تم مسح أرض مصر منذ الفتح الإسلامي إلى عصر المماليك خمس مرات، أولها حوالى سنة ٩٧هـ / ٧١٥م، على يد ابن رفاعة(٥)، والي مصر في عهد الخليفة

---

(١) المناوي، **نهر النيل**، ص ١٨٤.

(٢) طرخان ، **النظم الإقطاعية**، ص٩٥.

(٣) والروك كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الحبل ثم استعملت لتدل على قياس الأرض بالحبل، ومشتقة من اللفظ الديموطيقي (روخ) ومعناها تقسيم الأرض، وفي كتب المؤرخين مصدر الفعل الثلاثي راك، ومعناه مسح الأرض الزراعية في بلد من البلدان، لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال. المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص ٨٤١؛ طرخان، **النظم الإقطاعية**، ص ٩٦.

(٤) .المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٤٦؛ طرخان، **النظم الاقتصادية**، ص٩٦.

(٥) عبد الملك بن رفاعة بن خالد الفهميّ: أمير مصر. كان على شرطتها سنة ٩١هـ/٧٠٩م وولي إمارتها سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م واستمر إلى سنة ٩٩هـ/٧١٧م وعزل، فرحل إلى الشام. وأعيد في أول سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م فدخل مصر، وهو مريض، فلبث ١٥ ليلة وتوفي. كان عادلا عفيف النفس فاضلا. من كلامه: " إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الطاق! " ينهى الموظفين عن قبول الهدية . الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص ١٥٨.

سليمان بن عبد الملك، وثانيها سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م، على يد ابن الحبحاب[١]، عامل الخراج في مصر زمن الخليفة هشام بن عبد الملك، وثالثها حوالى سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م، وقد تم أيام ابن المدبر[٢]، عامل الخراج بمصر في خلافة المعتز بالله العباسي، ورابعها الروك آلافضلي سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م نسبة إلى آلافضل[٣] ابن أمير الجيوش في عهد الخليفة الآمر الفاطمي، وخامسها الروك الصلاحي نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[٤].

أما زمن سلاطين المماليك فقد جرى مسح الأرض مرتين الأول في عهد السلطان المنصور حسام الدين لاجين والمعروف بالروك الحسامي، سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م[٥]، وكان وراء القيام بهذا الروك أسباب سياسية ، ومالية، واجتماعية، والتي كانت تعود إلى تظلم الأمراء من تراكم الخراج عليهم، وإلى تظلم الفلاحين من شدة المغارم التي كان يفرضها عليهم أولو الأمر، واستحداث مكوس جديدة كان يصيب الناس بسببها الظلم والحيف على أيدي مقطعيها أو ضمانها ومن شدة وطأتهم وطرق جبايتها، ولإعادة النظر فيما طرأ على الأرض من إصلاح أو إعادة عمارة أو إهمال لإنقاص الخراج أو زيادته، وكذلك لإعادة توزيع الإقطاعات على الموالين للسلطان بدلا من

---

(١) عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي: أمير، من الرؤساء النبلاء الخطباء. كان مولى لبني سلول، ونشأ كاتبا، وولي مصر زمنا. ونقله هشام بن عبد الملك إلى إفريقية، فسار إليها وضبط أمورها وسير الغزاة إلى صقلّيّة والسوس وأرض السودان، واتخذ بتونس " دار صناعة " لإنشاء المراكب البحرية، وأنشأ الجامع الأعظم بتونس، جامع الزيتونة ، توفيه بعد سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١ م. الزركلي، **الأعلام،** ج٤، ص ١٩٢.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله ابن المدبر، أبو إسحاق، وزير، من الكتاب المترسلين الشعراء. من أهل بغداد. تولى ولايات جليلة، وتوفي ببغداد متقلدا ديوان الضياع للمعتضد سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م . الزركلي، **الأعلام،** ج١، ص ٦٠.

(٣) أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل: ولد سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م -) وزير، مولده بعكا، خلف أباه في إمارة الجيوش المصرية. أرمني الأصل. داهية فحل الرأي شهم جيد السياسة. وطد دعائم الملك للآمر بأحكام الله العبيدي صاحب مصر، ودبر شؤون دولته فنقم عليه الأمراء أمرا فدس له من قتله على مقربة من داره في القاهرة. سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م وكانت ولايته ثمانية وعشرين سنة. الزركلي، **الأعلام،** ج١، ص ١٠٣.

(٤) المقريزي ، **السلوك،** ج٢، ق١، ص ١٤٦، هامش (١) ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج٨، ص ٧٤، هامش (٢) ؛ طوسون، عمر ، **مالية مصر من عصر الفراعنة إلى الأن،** ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٩٦-١٩٧. وسيشار إليه فيما بعد: طوسون، **مالية مصر** ؛ طرخان، **النظم الإقطاعية،** ص٩٦.

(٥) المقريزي، **السلوك،** ج١، ق٣، ص٨٤١ ؛ المقريزي، **الخطط،** ج١، ص١٦٥ ؛ الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري، (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،** تحقيق: دونالد س. ريتشاردز، ، مطبعة مؤسسة حسيب درغام وأولاده، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٢٠ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج٨، ص٧٤. ؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب،** ج٣١، ص٢١٧.

معارضيه، وكذلك اتخذ السلطان من الروك وسيلة من وسائل التقليل من نفوذ كبار الأمراء اذا ما اتسعت إقطاعاتهم وقويت شوكتهم(١).

إلا أن الروك الحسامي لم يحقق الغاية التي قام من أجلها، بسبب الأخطاء التي ارتكبها السلطان المنصور لاجين ونائبة منكوتمر(٢)، حيث أدى هذا الروك إلى تناقص إقطاعات الجندي عما ما كانت عليه زمن السلطان المنصور قلاوون، حيث كان متحصل الإقطاع زمن السلطان المنصور قلاوون من عشرة آلاف درهم إلى ثلاثين ألف، فصار أكثرها يبلغ عشرة آلاف، وعندما أظهر بعض الأجناد عدم الرضا ورموا مثالاتهم وقالوا: " إنا لم نعتد بمثل هذا فإما أن تعطونا ما يقوم بكفايتنا، وإلا فخذوا أخبازكم"(٣)، فأمر منكوتمر الحجاب فضربهم وأخذ سيوفهم وسجنهم، وبعدها لم يجرء أحد على الاعتراض(٤)، كما اختص السلطان ونائبة بالأراضي الخصبة، وعدم وفاء السلطان ومنكوتمر بما التزما به من إنشاء جيش قوي(٥)، بل كان هذا الروك سببا في إضعاف الجند بديار مصر وإتلافهم(٦)، وكان سبباً في مقتل السلطان لاجين ونائبة منكوتمر(٧).

أما الروك الناصري ، وهو الروك الثاني في عصر سلاطين المماليك والأخير، فقد أمر به السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، وكان من أسباب القيام بهذا الروك هو الصراع على السلطة بين المماليك(٨)، حيث أدى الروك الحسامي إلى اشتداد العداء العنصري بين المماليك من الترك البرجية والجراكسة، إذ ارتفع شأن المماليك البرجية بفضل زعيمهم الأمير بيبرس الجاشنكير، فشرعوا في اخذ

---

(١) طرخان، **النظم الإقطاعية**، ص ٩٧-٩٨ ؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٣٥- ١٣٦.

(٢) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٣٧.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٣، ص٨٤١.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٣، ص٨٤١. ؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٦٦، ابن تغري بردي، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، جزءان، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز احمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧، ج٢، ص ٥٢. :وسيشار إليه فيما بعد :ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**.

(٥) العريني، السيد الباز، **المماليك**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٧م، ص١٧٥. وسيشار إليه فيما بعد : العريني، **المماليك**.

(٦) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٨، ص٧٨.

(٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٨، ص٧٨؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٣٧ ؛ سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، ط٢، المطبعة النموذجية، د. م، ١٩٦٢م، ص٣٢.

(٨) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص١٣٨.

الإقطاعـات وصــارت لهـم الحمايـات الكثيـرة ، وتـردد النــاس إلـيهم فــي الأعمــال وتــأمر عـدد كبيـر مـنهم[١]، وأن هـذا الأمـر أدى إلـى قسـمة الجـيش المملـوكي بـين جركسـي، وبرجـي، كمـا قــام بيبــرس الجاشــنكير بعــد توليــه الســلطنة ســنة ٧٠٨هــ/ ١٣٠٨م، بقطــع أخبــاز حــوالي ثلاثمائـة مملـوك مـن مؤيـدي السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون، وأسـتولى علـى إقطاعـات المماليـك الـذين كـانوا ينسـحبون مـن القـاهرة ويلتحقـون بالناصـر محمـد فـي الكـرك[٢]. وبعـد عـودة السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون إلـى السـلطنة مـرة ثالثـة سـنة ٧٠٩هــ/ ١٣٠٩م، أدرك خطــورة سياســة بيبــرس الجاشــنكير والأميــر ســلار، وأن كثيــر مــن الأخبــاز تركــزت فــي يــد مماليــك بيبــرس الجاشــنكير والأميــر ســلار، وكــانوا مــن المماليــك البرجيــة، حيــث تراوحـت إقطاعـاتهم بـين ألـف دينـار، وثمانمائـة دينـار[٣]، وفـي الوقـت نفسـه خشـي مـن وقـوع الفتنــة أذا مــا أخــذ أقطاعــاتهم لمــا بلغـوا مـن القـوة، فقـرر السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون بعــد التشــاور مــع الفخــر محمــد بــن فضــل الله[٤] نــاظر الجــيش روك الــبلاد، فــأمر الســلطان الناصـر بخـروج الأمـراء إلـى الأعمـال فقسـم الـبلاد إلـى منـاطق وأرسـل إلـى كـل منطقـة منهـا أميرين، ومعهما كاتب من كتاب الديوان ومستوفين وقياسين[٥].

وعند نزول كل أمير بالبلد المخصص له، عمل على طلب مشايخها، ودُلائها[٦]،

---

(١) المقريزي ، **السلوك**، ج١، ق٣، ص ٨٧٥ ؛ العريني، **المماليك**، ص١٧٧.

(٢) العريني، **المماليك**، ص١٧٧؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص١٣٨.

(٣) في السلوك، والنجوم، مـا بين ألف مثقـال فـي السنة إلـى ثلاثمائـة مثقـال : المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص ١٤٦ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ٣٥.

(٤) محمد بن فضل الله، الملقب بفخر الدين: ولده سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، محسن، كثير الآثار، من أهل مصر. كان قبطيا، من كتّاب دولة المماليك، وارتقى إلى أن ولي نظر الجيش، وعلا شأنه. أسلم وحج وأكثر من التصدق وبنى عدة مساجد بمصر، منها (جامع الفخر) في بولاق، وجامع الفخر في الروضة. وبنى مارستانا (مستشفى) بمدينة الرملة، وآخر بمدينة بلبيس. وعظم مقامه في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، وله معه أخبار. وتوفي بمصر٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م. :ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي، (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ٤ أجزاء، دار الجيل، ١٩٩٣، ج٤، ص١٣٨ : وسيشار إلية فيما بعد: ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ؛ الزركلي، **الإعلام**، ج٦، ص ٣٣٠.

(٥) المقريـزي، **الخطـط**، ج١، ص١٦٦ ؛ المقريـزي، **السـلوك**، ج٢، ق١، ص١٤٦ ؛ابـن تغـري بـردي، **النجـوم الزاهرة**، ج٩، ص ٣٥.

(٦) أي الأدلاء، والدليل من موظفي المساحة بعمل الفنادق والسجلات والقوانين ويفصل الأرض بيقاعها وأصناف مزروعاتها وقطايعها وأسماء المزارعين ويكتب خط بالالتزام الدرك فيه : ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٣٠٥. أما الفناديق جمع فنداق، يقول القلقشندي: " ... فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرون فيمسحون أرض تلك البلد في كل قبالة بأسماء المزارعين ويكتب أصل ذلك في أوراق تسمى الفنداق. : القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص٥٢٥.

وعـدولها[١] وقياسـيها، وقضـاتها، وسـجلاتها التـي بأيـدي مقطعيهـا، وعـرف متحصـلها ومقدار فدنها ومبلغ عيرتها، وما يتحصل منها للجند من العين والغلة والإوز، والدجاج، والخراف، والكشك، والبرسيم، والعدس، والكعك، وغير ذلك من الضيافة، فإذا حرر ذلك كله، أبتدأ بقياس تلك الناحية وغنداقها[٢]، وفصل ما فيها من الخاص السلطاني و بلاد الأمراء وإقطاعات الأجناد والرزق، وكتب بذلك عدة نسخ[٣].

وبعد خمسة وسبعين يوما من العمل عاد الأمراء، وقدمت الكشوفات بحال جميع ضياع مصر ومساحتها وعبر أراضيها وما يتحصل عن كل قرية من عين، وغلة، وصنف، فتسلمها ناظر الجيش الذي تولى بمساعدة التقي الأسعد بن أمين[٤] الملك المعروف بكاتب سرلغي مستوفي الدولة، فقاموا بتحرير أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني التي عينها لهم السلطان، وعلى إقطاعات الأمراء، وطلب إليهم السلطان أن يضيفوا إلى عبرة كل بلد ما هو مقرر على فلاحيها من ضيافة لأرباب الإقطاع فضلا عما بها من الجوالي[٥]، وكانت الجوالي قبل ذلك إلى وقت الروك الناصري ديوان خاص، فأضيف جوالي كل بلد إلى متحصل خراجها[٦].

وتحررت مثالات للأجناد بإقطاعات على هذا الحكم فاعتدّ منها بما كان يصرف في كلفة حمل الغلال من النواحي إلى ساحل القاهرة، وما كان عليها من المكس[٧]. وقد

---

(١) العدول جمع عدل، وهو في مصطلح الفقهاء والمحدثين الرجل الصحيح الرواية، والمقصود هنا بالعدول جماعة الشهود الذين يختارهم القاضي لمعاونته في أعماله، ومن أعمالهم، أولا: تزكية الشهود الذين يشهدون لدى القاضي، ثانيا: كتابة العقود بين الناس في معاملاتهم. : المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص٦، ١٤٩.

(٢) مساحة الأرض المزروعة. العريني، **المماليك**، ص١٧٨.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٦٦ ؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٤٩ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٣٦.

(٤) اسلم على يد يزلغي، واستقر في نظر الدولة سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، هو الذي منع أرباب المرتبات من مرتباتهم وأحالها إلى الجهات التي لا يتحصل منها إلا دون الشهرين، وهو الذي كان سبب في الروك الناصر، مات سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج١، ص٣٥٩

(٥) الجوالي ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة على رقابهم. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص**٥٣٠.** ؛ ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٣١٧.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٦٧ ؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص ١٤٩ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ٣٦ ؛ العريني، **المماليك**، ص ١٧٨.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٦٧.

ألغى السلطان الناصر عدد من الضرائب[1] الجائرة وبذلك خفف عن كاهل البلاد والعباد أعباء ثقيلة[2]، وألغي أيضا وظيفتي النظر والاستفاء من سائر الأعمال، ورسم ألا يستخدم أحد في أقليم ليس للسلطان فيه مال، ثم أمر السلطان الناصر بالتنازل عما تبقى من الأموال الديوانية والإقطاعية في سائر النواحي حتى سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م، وجعل الروك الهلالي[3] لاستقبال صفر سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، والروك الخراجي[4] لإستقبال ثلث مغل سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م[5]. وأفرد السلطان الناصر لخاصته الجيزية وأعمالها، وأفردت الجهات التي بقيت من المكوس كلها وأضيفت إلى الوزير، وأفردت للحاشية بلاد، ولجوامك المباشرين بلاد، ولأرباب الرواتب جهات، ودخل في الإقطاعات بلاد أشتراها بعض الأمراء والأجناد لأنفسهم من بيت المال ثم حبسوها، وأخرجت الجوالي من الخاصة وفرقت في البلاد[6]، وأخذ السلطان الناصر ما أشترته المماليك البرجية من أراضي الجيزة وغيرها، وجرد الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار من إقطاعاتهما، واخذ ما بيد حواشهما وجعلها كلها إقطاعات[7].

وبعد أن أبطل السلطان الناصر هذه المكوس، وفرغ من تعيين الإقطاعات والأجناد، وأفرز لخاص السلطاني من أرض مصر عدة نواحي، بلغ ما أختص به السلطان عشرة قراريط من الإقليم، وصار لإقطاعات الأمراء والأجناد وغيرها أربعة

---

(١) سوف نتناول هذه الضرائب بالتفصيل في الفصل الثالث.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٦٧ ؛ المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٥٠-١٥٤ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ٣٧- ٤١ ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣٢، ص ١٧٥.

(٣) في السلوك " المال الهلالي" والهلالي: هو الذي يستأدي مشاهرة (أي كل شهر) كأجر الأملاك المسققه من الأدر والحوانيت والحمامات والأفران وغيرها. المقريزي، **الخطط**، ج١،ص٢٠٠.

(٤) الخراجي: هو ما يؤخذ مسانهة (أي كل سنة) من الأرض التي تزرع حبوبا وغلا وعنبا وفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية كالغنم والدجاج وغيرها. المقريزي، **الخطط**، ج١،ص٢٠٠. وجرت العادة بأثبات هذا النقل في الدواوين منذ قديم الزمن على عهد الخلفاء والسلاطين والسبب هو أن أدراك الغلال واعتصار الأقصاب وفيض الخراج أنما يجري وفقا للسنة الشمسية، أما عقد الضمان وأقساط المعاملات فيسير على حكم أشهر السنة القمرية، وبين السنتين الشمسية والقمرية تفاوت في عدد السنين والحساب فإذا مضى ثلاث وثلاثون سنة زحفت السنة القمرية إلى السنة الشمسية فيتطلب ذلك تحول بالأقلام والدواوين . الداوادار، **زبدة الفكرة**، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ٤١.

(٦) المقريزي، **السلوك**، ج٢،ق١، ص١٥٣ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص ٤٢ ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٣٢، ص١٧٤.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٦٩.

عشر قيراطا[1]، ثم جلس السلطان الناصر محمد بالإيوان بالقلعة في ٢٢ ذي الحجة سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، لتفريق المثالات، ورسم السلطان أن يفرق في كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما، فكان المقدم يقدم مضافيه كل واحد باسمه إلى السلطان، فإذا حضر أمامه سأله السلطان عن اسمه، وأصله، وجنسه، ووقت حضوره إلى ديار مصر، ومع من قدم، وإلى من صار من الأمراء، وعن مشاهده التي حضرها في الغز، وعما يعرفه من صناعة الحرب، وغير ذلك، ثم يعطيه مثالا يلائمه[2]، كما إن السلطان الناصر أعطى في هذا العرض للعجزة مرتبات بدل الإقطاعات، وجعل جهة مكس قطعيا لضعفاء الأجناد ممن قطع خبزة فقرر لهم في السنة ثلاثة آلاف درهم[3]، ثم اخذ السلطان الناصر في عرض مماليك الطباق، ووفر جوامك عدة منهم، وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك إقطاعات، ومما أمر به السلطان في فترة العرض أن لا يردّ أحد مثالا أخذه من السلطان مهما قل مقداره، ولا يشفع أمير في جندي، وإنّ من خالف ذلك تعرض للضرب، والحبس، والنفي، وقطع خبزه[4]، وانتهت تفرقة المثالات في أخر محرم سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م فتوفر منها نحو مائتي مثال[5].

ووفقا لهذا الروك صار تقسيم الجيوش بالديار المصرية على النحو الآتي[6]:

١ - عدد أمراء المئة ومقدمي الأُلوف،(٢٤) أمير منهم (٨)من الخاصكية و (١٤) من الخرجية، ويضاف إليهم نائب السلطنة والوزير، عدد مماليكه (٢٤٠٠)

٢ – عدد أمراء الطبلخاناه (٣٠٠) أمير منهم (٥٤) من الخاصكية، و(١٤٦) من الخرجية، عدد مماليكهم (٨٠٠٠).

٣ – الكشاف والولاة بالأقاليم (١٤)

(١) **المصدر نفسه**، ج١، ص١٦٩ ؛ العريني، **المماليك**، ص١٨١.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٧٠؛ **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٥٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٤٣.

(٣)المقريزي، **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٥٦ ؛ **الخطط**، ج١، ص ١٧٠ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٤٤.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٧٠ ؛ **السلوك**، ج٢، ق١، ص١٥٦ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٤٥.

(٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٤٥.

(٦) العريني، **المماليك**، ص١٨٢.

٤ – أمـراء العشـرات عـددهم (٢٠٠) مـنهم (٣٠) مـن الخاصـكية و (١٧٠) مـن الخرجيـة، عدد مماليكهم (٢٠٠٠).

٥ – عدد ولاة الأقاليم ٧، عدد مماليك ولاة الأقاليم (٧٠).

٦ – عدد مقدمي المماليك السلطانية (٤٠)، عدد المماليك السلطانية (٢٠٠٠).

٧ – عـدد مقـدمي أجنـاد الحلقـة(١٨٠)المقـدم يشـرف علـى ٤٠جنـدي، وعـدد نقبـاء الحلقـة ٢٤، النقيب يشرف على (١٠٠) جندي، وعدد إجناد الحلقة (١٠٩٣٢).

أمـا مقـادير الإقطـاع وفقـا للـروك الناصـري فكـان تقـديرها بالـدنانير الجيشـية، وبلـغ إقطـاع مائـة مـن (١٠٠)ألـف إلـى (٨٥) ألـف دينـار جيشـي، أمـا الطبلخانـاه مـن (٤٠) ألـف إلـى (٣٠) ألـف دينـار، وأعلـى إقطـاع أمـراء العشـرات (١٥٠٠) دينـار إلـى (٦٠٠) دينـار فـي السـنة، وخـص جنـدي الحلقـة مـن (٩٠٠) دينـار إلـى (٤٠٠) دينـار فـي السـنة[١]، وأسـتمر العمـل بهـذا الـروك إلـى أن زالـت دولـة بنـي قـلاوون علـى يـد السـلطان الظـاهر برقـوق[٢]. ومـن المأخـذ علـى الـروك الناصـري أنـه غُـبن فـي هـذا الـروك كثيـر مـن الأجنـاد فـإنهم أخـذوا إقطاعـات دون التـي كانـت معهـم، فصـار كثيـر مـن كـان إقطاعـه مـثلا ألـف دينـار إلـى إقطـاع مـائتي دينـار[٣]، وكـذلك أنقـاص إقطـاع إنجـاد الحلقـة لصـالح المماليـك السـلطانية، وإكثـار الناصـر محمـد مـن توزيـع الإنعامـات والهبـات علـى المقـربين منـه مـن الأمـراء والمماليك السلطانية والخدم والجواري[٤].

سادسا: الثروة الحيوانية:

كـان للثـروة الحيوانيـة دور كبيـر فـي النشـاط الاقتصـادي لدولـة المماليـك، حيـث كـان فـي مصـر أنـواع مختلفـة مـن الحيوانـات، والطيـور، والأسـماك، وذكـر كـلا مـن القلقشـندي، والعمـري أنـواع مـن المواشـي منهـا الخيـول، والأبقـار، والجـاموس، والأغنـام، والجمـال، ومـن الطيـور الإوز، والـدجاج، والحمـام، ومـن الوحـوش، والغـزلان ، والنعـام،

---

(١) العريني، **المماليك**، ص ١٨٣.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص١٧١

(٣)**السلوك**، ج٢، ق١، ص١٥٦؛ **الخطط** ، ج١، ١٧٠.

(٤) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص١٣٩.

والأرانـب[1]، وذكـر الحمـوي، أنـواع كثيـرة مـن الطيـور فـي مدينــة تنـيس[2] بمصـر ولهـا مواسـم يكـون فيـه مـن أنـواع الطيـور مـا لا يكـون فـي مكـان أخـر، ويقـدرها بحـوالي مائـة وثلاثـون صـنفاً، ويعـرف بهـا مـن السـمك تسـعة وسـبعون صـنفاً[3]، كمـا تكثـر الأسـماك فـي أمـاكن مختلفـة مـن مصـر، مثـل نسـترو[4]، وقريـة قطيـة[5]، ودميـاط[6]، وترعـة عـامر[7] يكثـر فيـه الصـرائري: وهـو نـوع مـن السـمك صـغير لـيس فـي جوفـه كثيـر أذى، ويصـف الحمـوي أسـماك بحيـرة حطـين بقولـة: " يصـاد منهـا السـمك ويعـرف بـالحطيني، وهـو سـمك فاضل اذا شق عن جوفه لا يوجد فيه غير الشحم فيملح ويحمل إلى النواحي"[8].

كـان اهتمـام سـلاطين أسـرة قـلاوون بـالثروة الحيوانيـة لا يقـل أهميـة عـن اهتمـامهم بالزراعـة، فقـد أقـاموا عـدد مـن الإصـطبلات فـي الجيـزة، وأوسـيم، وسـريا قـوس، وكـان يشـرف عليهـا نـاظر الإصـطبلات، وكـان مسـؤول عـن إصـطبلات الخيـول، البغـال والـدواب والجمـال السـلطانية، وعليقهـا ، وعـدتها، ومالهـا مـن الاسـتعمالات والإطلاقـات، وكـل مـا يبتاع لها، أو تتباع بها[9].

اهـتم سـلاطين أسـرة قـلاوون بـالخيول وخاصـة السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون، فقد كـان محبـاً لهـا جيـد المعرفـة بأنسـابها، وكـان يرغـب بـالخيول العربيـة أكثـر مـن

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٣٤٦؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ص٨٣.

(٢) جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيّها. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ٥١.

(٣) ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ٥٢.

(٤) جزيرة بين دمياط والإسكندرية يصاد فيها السمك وليس عندهم ماء وإنما يأتيهم في المراكب فإذا لاحت لهم مراكب الماء ضربوا بوق البشارة سرورا ثم يأتي كلّ رجل بجرته يأخذ فيها الماء ويحملها إلى بيته يتقوّت به وقت عدمه، وقيل: هي جزيرة ذات أسواق في بحيرة منفردة. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٢٨٤.

(٥) قطية: قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما، بيوتهم صرائف من جريد النخل وشربهم من ركية عندهم جائفة ملحة ولهم سويق فيه خبز إذا أكل وجد الرمل في مضغه فلا يكاد يبالغ في مضغه، وعندهم سمك كثير لقربهم من البحر. ياقوت، **معجم البلدان**،ج٤، ص٣٧٨.

(٦) مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٧٢.

(٧) موضع بالصعيد الأعلى على النيل. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٢٣.

(٨) ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢ ، ص ٢٣.

(٩) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٩١؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٣٢؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ص١٢٢.

خيول برقة، على العكس من والده المنصور قلاوون، الذي كان يفضل خيول برقة، أما الناصر فإنه شغف بالخيول العربية التي كانت يشتريها من عرب آل مهنا وآل فضل، وكان يدفع مبالغ كبيرة في شراء الخيول، وفي هذا يقول المقريزي: " كان يبالغ في إكرام العرب ويرغبهم في أثمان خيولهم حتى خرج عن الحد في ذلك"(١)، وبلغ من عناية الناصر بالخيل أنه كان يتفقدها بنفسه وكان يعرف أنسابها وأعمارها، وكان يهتم بتضمير الخيول ويلزم كل أمير أن يضمر أربعة من الخيول، ولقد توالدت في إصطبلاته من الخيول الأصيلة ما أستغنى به عن الشراء، وبلغ عدد الخيول عند موته ما يقارب أربعة آلاف وثمانمائة فرس، وخمسة آلاف من الهجن الأصائل، ما عدى أتباعها(٢).

كما اهتم السلطان الناصر محمد بتربية الأغنام والأبقار وتحسين سلالاتها، فقد أقام مشروع هام للعناية بها، وذلك من خلال بناءه في سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م حظيرة كبيرة على قطعة من الأرض بجوار قلعة الجبل، تعرف باسم الحوش(٣)، مساحتها أربعة فدادين، وكان موضعها بركة أمر السلطان بقطع ما فيها وردمها، وأجرى إليها الماء من القلعة، وأنشأ بها بيوتاً للدواجن وأخرى للأغنام والأبقار، وأودع بها ألفي رأس من الأغنام أحضرها من بلاد الصعيد، وأربعة آلاف من الوجهة البحري، كما جلب إليها كثير من الأبقار، وبلغ من اهتمام الناصر بالإكثار من إنتاج الأغنام أنه صار يتبع مراعيها في عيذاب وقوص، كما جلب الأغنام من بلاد النوبة واليمن(٤).

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٩١.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٣٩٢؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٧٨.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٣٩٩.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٩٩؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٤؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٧٩.

الفصل الثاني

الصناعات الحرفية في عهد أسرة قلاوون

الصناعة في فترة حكم سلاطين أسرة قلاوون.

ازدهرت الصناعة في العصر ،مملوكي وبخاصة أسرة قلاوون؛ وذلك لاهتمامهم الكبير بها وحرصهم على سد حاجة المجتمع منها، وتوفر الأيدي العاملة والمواد الخام [١]، كما كان للنشاط التجاري بين مصر والبلدان المجاورة لها، فضلاً عن علاقاتها مع الهند والصين شرقاً، والأندلس غرباً أثر في تطور وازدهار الصناعة، كما أدى مرور السلع التجارية بالأراضي المصرية إلى زيادة ثراء مصر، وتأثرها في الفنون الصناعية في البلدان الأخرى[٢]، كما وكانت لهجرة الكثير من أرباب الحرف والصنائع، من إيران والعراق، وبلاد الشام بسبب الغزو المغولي في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى مصر أثراً في وفرة الصناع الأكفاء [٣]، كما كان لتنظيمات الصناع (النقابات) والطوائف الحرفية في عصر المماليك دور كبير في تطور الصناعة في مصر.

وتعود بداية هذه التنظيمات إلى بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في عهد الدولة العباسية ١٣٢ - ٦٥٦هـ / ٧٥٠ - ١٢٥م حيث هدفت إلى تجمع ابناء كل حرفة في تنظيم أو طائفة[٤]، وصار لكل طائفة رئيس أو شيخ يرأسهم، ويتم اختياره بالاختيار أو الانتخاب وبموافقة المحتسب، ولكل شيخ معاونين يساعدونه في العمل، من كبار الأساتذة [٥]، يعرفون بالاختيارية أو المخاترة (أي المسنين)[٦] ، ومن واجبات الشيخ الإشراف على شؤون أفراد الطائفة، ويجيز المبتدئين منهم إلى رتبة صانع، ويرفع

---

(١) سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٢٩٥؛ المبارك، **الناصر محمد،** ص ٨١.

(٢) عليوي، حسين عبد الرحيم، **دراسة لبعض الصناع والفنانين بمصر في عصر المماليك،** بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول للتصميم والبيئة المصرية الذي عقد بكلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، في الفترة من ٢٤-٢٦ أبريل ١٩٧٩م، وألقى بجلسة الأربعاء ٢٥/ ٤/ ١٩٧٩م. ص ٩٠. وسيشار أليه فيما بعد: عليوي، دراسة لبعض الصناع والفانين.

(٣) آ. آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى** ، ترجمة عبد الهادي أبوعبله، مراجعة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر ،د. م، ١٩٨٥م، ص ٣٧٧ – ٣٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.**

(٤) عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفنانين،** ص ٩٠.

(٥) عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفنانين،** ص ٩١.

(٦) العبادي، أحمد مختار، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية (الصناعة و الأصناف)،** عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، عدد ١١، ١٩٨٠م، ص١٣٦. وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية.**

الصانع الماهر الذي قضى مدة في الحرفة إلى درجة الأستاذ، أو الأوسطى، بعد اجتيازه اختبار يقدم فيه عملا نموذجيا من صنع يديه، ومن واجباته أيضا حل مشاكلهم، فيرجعون أليه في كل ما يهمهم، لا سيما في الوساطة بينهم وبين السلطة [١].

وكان للنقابة دور في رعاية أفرادها وحماية مصالحهم، وتوفير لهم المواد و الخامات اللازمة لحرفتهم، ومراقبة المنتجات منعاً للغش واحتكار السلع، ومن صلاحياتها طرد صاحب الإنتاج الرديء من السوق مؤقتا كعقاب له [٢]، ومن التقاليد التي كانت متبعة في نقابات الصناع احتكار الحرفة، حيث أنهم كانوا لا يدربون أحدا على طرق صناعتهم إلا أن يكون من أبنائهم، مما ترتب عليه تخصص بعض الأسر في حرفة معينة يتوارثها الأبناء عن الآباء، وكانوا لا يسمحون بدخول أحد في صفوف طائفة معينة إلا بشروط خاصة[٣].

ترك اهتمام سلاطين أسرة قلاوون في الزراعة، وتطورها أثر كبير في ازدهار الحرف وذلك بتوفير مواد الخام اللازمة لها، كالقطن، والكتان، وقصب السكر، وغيره من المواد التي تدخل في التصنيع، إضافة إلى الدور الذي لعبه الاستقرار السياسي الذي تمتعت به دولة المماليك في عهد سلاطين أسرة قلاوون مما أدى إلى ازدهار الصناعة.

ونتيجة لهذه العوامل وصلت صناعات مصر وفنونها في عصر المماليك إلى درجة كبيرة من التقدم والرقي، وذكر ابن فضل العمري في وصف مصر بأنها: **"** من أحسن البلاد، وبها من محاسن الأشياء ولطائف الصنائع ما تكفي شهرتها، وبها من أنواع الصناع من الأسلحة، والقماش، والزركش، والمصوغ، والكفت[٤]، وغير ذلك مما

---

(١) عاشور، **المجتمع المصري**، ص ٤٣.

(٢) عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفنانين**، ص٩١.

(٣) عاشور، **المجتمع المصري**، ص ٤٣؛ عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفنانين**، ص٩١.

(٤) الكفت: ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص ٣٣٤، حاشية(٢).

يكـاد يعـد تفردهـا بـه، والرمـاح التـي لا يعمـل فـي الـدنيا أحسـن منهـا"[١]، وعـد ابـن إيـاس الصناعة من محاسن مصر[٢].

اشـتهرت مصـر بالعديـد مـن الحـرف التـي كـان لهـا تـأثير كبيـر علـى الحيـاة الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعيـة، وذلـك مـن خـلال زيـادة واردات الدولـة، ورفـد التجـارة بـالمواد المعـدة للتصـدير، وديمومتهـا، وسـنتحدث عـن أبـرز الصـناعات التـي كانـت موجـودة في مصر خلال فترة حكم أسرة قلاوون وهي على النحو الأتي:

أولا - صناعة المنسوجات:

اشـتهرت مصـر بصـناعة المنسـوجات، منـذ عصـر مـا قبـل الإسـلام، وبعـد الفـتح الإسـلامي عمـل المسـلمون علـى تنميـة وتطـور الصـناعة فيهـا[٣]، وقـد اشـتهرت عـدة مـدن مصـرية فـي هـذه الصـناعة علـى اخـتلاف أنواعهـا، منهـا مدينـة شـطا[٤] التـي كانـت تصـنع الثيـاب الرقيقـة الغاليـة الـثمن حيـث بلـغ سـعر الثـوب الواحـد منهـا ألـف درهـم[٥]، وكانـت تعـرف بالثيـاب الشـطوية نسـبة إليهـا، كمـا كانـت تعمـل فيهـا كسـوة الكعبـة المشـرفة [٦]،وفـي ذلـك يقـول المقريـزي: " ورأيـت فيهـا كسـوة مـن كسـا أميـر المـؤمنين، هـارون الرشـيد مـن قبـاطيّ مصـر مكتوبـا عليهـا: بسـم الله بركـة مـن الله لعبـد الله هـارون أميـر المـؤمنين، أطـال الله بقاءه "[٧].

---

(١) العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ٢٧ جزءاً، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ج٣، ص ٤٢٩. وسيشار إليه فيما بعد: العمري، **مسالك الأبصار**.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق ١، ص ٤٥.

(٣) العبادي، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية** ، ص١٤٢.

(٤) شطا: مدينة عند تنيس ودمياط عرفت بشطا بن الهاموك الذي لحق بالمسلمين وقت الفتح واسلم ودلهم على عورات مدينـة دميـاط التـي عليهـا أبـوه الهـاموك مـن قبـل المقـوقس. يـاقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٣٤٣؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٦.

(٥) ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٣٤٣.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٦ ؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٨١.

(٧) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤١٧.

كـذلك كانـت قريـة ديبـق[١] مـن المراكـز المعروفـة بصـناعة الأقمشـة، ففيهـا تصـنع الثيـاب المعروفـة بالـديبقي[٢]، وقـد بلـغ ثمـن الثـوب منـه مائـة دينـار[٣]، وكـان يصـنع بهـا العمـائم الشـرب الملونـة، المطعمـة بنسـيج الـذهب " طـول كـل عمامـة مائـة ذراع" [٤]، ويبلـغ مـا فـي العمامـة مـن الـذهب مـا قيمتـه خمسـمائة دينـار عـدا الحريـر والغـزل[٥]، واشـتهرت تنـيس[٦] بصـناعة ثيـاب الشـروب، التـي " لا يصـنع مثلهـا فـي الـدنيا"[٧]، وثيـاب البدنـة التـي كـان ينسـج أغلبهـا مـن الـذهب[٨]، وكـان ينسـج فيهـا ثيـاب رقيقـة ملونـة تسـمى بالقصـب، يصـنع منهـا عمـائم للرجـال ووقايـات وملابـس للنسـاء، وكـان ينسـج فـي دميـاط قمـاشٌ يسـمى أبـو قلمـون[٩]، يتغيـر لونـه عـدة مـرات فـي اليـوم حسـب الوضـع الـذي يكـون فيـه[١٠]،وفـي ذلـك يقـول ناصـر خسـرو: " وينسـجون فـي مدينـة تنـيس هـذه البوقلمـون الـذي لا ينسـج فـي مكـان آخـر فـي جميـع العـالم وهـو قمـاش ذهبـي يتغيـر لونـه بتغيـر سـاعات النهـار وتحمـل أثوابـه مـن تنيس الى المشرق والمغرب "[١١].

واشـتهرت مصـر بصـناعة المنسـوجات الحريريـة، وقـد نسـبت هـذه الصـناعات إلـى عـدة مـدن مصـرية كانـت تنتجهـا مثـل قمـاش فسـتيان نسـبتها إلـى مدينـة الفسـطاط، والأقمشـة

---

(١) قرية مصرية تابعة إلى دمياط. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٧.

(٢) الديبق: العلم المذهب. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٧.

(٣) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٥؛ عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفنانين**، ص ٩٣.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤١٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤١٧؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص٨٢.

(٦) تنيس: وهي مدينة تقع على جزيرة بين الفرمان ودمياط . ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٥١؛

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٣٢٨.

(٨) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٢٨؛ كوكش، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية**، ص ١٠٢.

(٩) قيل في تفسير أبو قلمون أنه الحرباية باليونانية لأنه تتغير مثلها في الوان شتى متغيرة، وقيل كذلك أنـه اسم دابـة بحرية لها وبر في المحيط الأطلسي في غرب الأندلس، وانها كانت تحك بحجارة الشاطئ فيقع منها وبر في لين الحرير ولون الذهب فيجمع وينسج منه في مدينة شنترين ثيابا تتلون في اليوم ألوانا. العبادي، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية**، ص ١٤٢.

(١٠) خسرو، **سفر نامة**، ص ٧٧؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٥؛ العبادي، **الحياةالاقتصادية في المدينة الإسلامية**، ص ١٤٢.

(١١) خسرو، **سفر نامة**، ص ٧٧.

الحريريـة المزركشـة المعروفـة بالـديبقي نسـبة إلـى قريـة ديبقـة[١]، ومـن المـدن التـي كـان مركـزاً لصـناعة النسـيج مدينـة الإسـكندرية، وكـان يصـنع فيهـا قمـاش يسـمى شـرب، وأهـل الإسـكندرية يهتمـون بنسـجه كثيـراً، وكـان سـعره مرتفعـا[٢]، وفـي ذلـك يقـول المقريـزي عنـه: " وفـي ثيـاب الإسـكندرية مـا يبـاع الكتـان منـه أذا عمـل ثيابـا يقـال لهـا الشـرب كـان زنـة درهم بدرهم فضة، وما يدخل في الطراز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة " [٣].

وتعتبـر الإسـكندرية مركـزا مهمـا مـن مراكـز صـناعة المنسـوجات الكتانيـة، والحريريـة التـي تـدخل فيهـا خيـوط الـذهب، والتفاصـيل المنقوشـة بضـروب النقـوش، وكـان السـلطان وأهـل قصـره يلبسـونها، وتصـنع منهـا أيضـاً الخلـع والتشـاريف التـي يلبسـها أكـابر الأمـراء وأعيـان الدولـة، وترسـل هـدايا منهـا إلـى الملـوك، وكانـت تعمـل منهـا الكسـوات الفـاخرة للكعبـة[٤]، وقـد اكتسـبت الملابـس التـي كانـت تصـنع بالإسـكندرية شـهرة فائقـة فـي العصـر المملـوكي[٥]، كمـا اشـتهرت الإسـكندرية بصـناعة الوشـي[٦]، والسـقلاطون[٧] والمنمر(المخطط كجلد النمر) وغيرها [٨]، وكان فيها دار الطراز[٩].

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج٣، ص ٥٤٥؛ سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٢٩٦.

(٢) المبارك، **الناصر محمد،** ص ٨٢.

(٣) المقريزي، **الخطط،** ج١، ص ٣٠٣.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج٣، ص ٥٤٦؛ سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي،** ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٣٩١- ٣٩٢. وسيشار إليه فيما بعد: سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها.

(٥) سرور، **دولة بني قلاوون،** ص ٢٩٧.

(٦) الوشي: والجمع وشاء، نوع من الثياب ،وفيه أكثر من لون. ابن منظور، **لسان العرب،** ج١٥، ص ٣٩٢، مادة حرف الواو.

(٧) السقلاطون: نوع من الملابس الفاخرة كانت تستعمل في العهد المملوكي. ابن منظور، **لسان العرب،** ج١٣، ص ٢١١، مادة سقلطن؛ صلاق، حسان وصباغ، عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات أصول العربية والفارسية والتركية، دار العلمين للملايين، بيروت، ١٩٩٩م، ص ١١٧. وسيشار إليه فيما بعد: صلاق، المعجم الجامع.

(٨) العبادي، **الحياة الاقتصادية في المدينة المصرية،** ص ١٤٥.

(٩) دار الطراز: مصطلح يطلق في العصور الوسطى على مصنع النسيج، وكان يعمل فيها المستعملات السلطانية من الأقمشة المختلفة من حرير وغيره، التي كان يلبسها السلطان، ومنه تعمل التشاريف التي يلبسها الأمراء والأعيان وسائر أهل المملكة. القلقشندي، **صبح الأعشى،** ج١، ص ٤١٩؛ الشيال، جمال الدين، **تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي،** د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ١١٣. وسيشار إليه فيما بعد، الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية.

والبهنسا[١]، التي اشتهرت بمنسوجاتها الصوفية، حيث اشتهرت بلده القيس بصناعة الثياب الصوفية وأكسية المرعز[٢]، وينسب إليها الثياب القيسية[٣]، ويصنع بالبهنسا الستور التي يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا، والثياب المحبرة، والمقلطع السلطانية[٤]، التي كان سلاطين المماليك يخلعون بها على رجال الجيش وأمراء الدولة، وأفراد الحاشية كل منهم بما يتناسب مع مكانته[٥]، وفي هذا يقول المقريزي: " ولهم ثياب وأكسية المرعز وليس هي بالدنيا إلا بمصر" [٦].

واشتهرت أسيوط في صناعة الأقمشة الصوفية والعمائم، حيث ذكر ناصر خسرو في رحلته " وينسجون فِي أسيوط عمائم من صوف الخراف لَا مثيل لَهَا فِي الْعَالم ... وَقد رَأَيْت فِي أسيوط فوطة من صوف الْغنم لم أر مثلهَا، وَهِي من الرقة بِحَيْثُ تحسبها حَرِيرًا " [٧].

وعلى الرغم من انتشار زراعة القطن في مصر إلا أنها لم تكن من بين البلدان المنتجة للأنواع الجيدة منه، حيث كانت تصدر الكتان إلى الشام وتستورد منها القطن[٨]، وكانت الطبقات الوسطى والفقيرة في مصر يستعملون الملابس التي كانت تصنع من الكتان[٩].

واشتهرت مصر بصناعة الفرش والستور، وكانت تصنع من الديبقي، وتزخرف برسوم الحيوانات المختلفة، وقد اشتهر أهل دمياط في صناعة الفرش القلمونية

---

(١) بهنسا: مدينة من صعيد مصر تقع إلى الغرب من نهر النيل، تجاور القيس، وكان يقال لها القيس والبهنسا وبظاهرها مشهد يزار، يزعمون أن المسيح وأمه أقاما به سبع سنين. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ٥١٧؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٧٧.

(٢) نوع من الصوف الرقيق الناعم. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٣٦.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٣٦؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٨.

(٤) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٧٧.

(٥) المبارك، **الناصر محمد**، ص ٨٣.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٧٧.

(٧) خسرو، **سفر نامة**، ص١١٦.

(٨) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٨.

(٩) فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٢٤٤. وسيشار إليه فيما بعد: فهمي، طرق التجارة الدولية ؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٨٣.

المطـرزة الملونــة، وبـرع أهـل أسـيوط بصـناعة الفـرش القرمزيـة التـي كانـت تشـبه الفـرش الأرمنيـة مـن حيـث جـودة صـوفها ودقـة صـنعها، وبـرع المصـريون أيضـا بصـناعة السـتور ، التـي يبلـغ طـول السـتر البهنسـي حـوالي ثلاثـين ذراعـاً، وقيمـة الـزوج منهـا ثلاثـين دينـاراً، وكانـت السـتور والثيـاب التـي تصـنع بالبهنسـا مـن الصـوف أو القطـن يـنقش عليهـا اسـم المتخذ له[١].

وقـد امتـازت صـناعة الأقمشـة التـي صـنعت فـي مصـر سـواء مـن الحريـر أو القطـن أو الصـوف أو الكتـان، بدقـة الصـناعة وثبـات الألـوان وجـودة الخامـة ومتانـة النسيج[٢].

وقـد أقتنـى متحـف الفـن الإسـلامي فـي القـاهرة نمـاذج مـن النسـيج الـذي صـنع فـي العصـر المملـوكي، ومـن هـذه النمـاذج قطعـة مـن القمـاش علـى أرضـها الزرقـاء أغصـان ملتفـة وأوراق مشرشـره مـن الأزرق الفـاتح كتـب فـي داخلهـا، (عـز لمولانـا السـلطان الملـك الناصـر، ناصـر الـدنيا والـدين محمـد بـن قـلاوون)، ومنهـا قطعـة مـن الحريـر الأخضـر قـوام زخرفتهـا أشـرطة متعرجـة تضـم بينهـا منـاطق بيضـاوية الشـكل عليهـا رسـوم أزواج مـن الطيور متقابلة الرؤوس[٣].

وكـان فـي مصـر دور صـناعة خاصـة بالسـلاطين المماليـك تسـمى دور الطـراز الخاصـة، تصـنع فيهـا الخلـع التـي يمنحهـا السـلاطين لكبـار رجـال الدولـة، وموظفيهـا وتـنقش عليهـا أسـماء السـلاطين وألقـابهم، مثـل دار الطـرز الـذي كـان موجـودا فـي مدينـة الإسكندرية، وكان يصنع به ملابس السلطان وخاصته، وحريمه، والخلع التي يخلعها

(١) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٨.

(٢) عاشور، سعيد عبد الفتاح، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٩١، وسيشار إليه فيما بعد: عاشور، **العصر المماليكي**.

(٣) الباشا، حسن، وآخرون، **القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها**، د. ط، مطابع الأهرام التجارية، د. م، د. س، ص ٣٩٤. وسيشار إليه فيما بعد: الباشا، القاهرة تاريخها.

علـى رجـال الدولـة فـي المناسـبات الخاصـة[١] كمـا كـان يوجـد دار الطـراز فـي مـدن أخـرى [٢]، مثل مدن الصعيد، القيس[٣]، والبهنسا[٤].

ثانيا- صناعة المواد الغذائية:

انتشـرت فـي مصـر العديـد مـن الصـناعات التـي لهـا علاقـة بالاسـتهلاك البشـري، ومـن هـذه الصـناعات صـناعة السـكر التـي احتلـت مركـزاً مهمـاً مـن بـين الصـناعات فـي العصـر الإسـلامي، وعـن ذلـك يقـول ناصـر خسـرو: " وتنـتج مصـر عسـلاً وسـكراً كثيـراً " [٥]، وهـذه الصـناعة تـدر أمـوالاً طائلـة للخزانـة السـلطانية، لاحتكـار الدولـة لهـا، ولقـد اهـتم بهـا سـلاطين المماليـك لكثـرة استعمالهم لـه فـي مطـابخهم[٦]، وكـان يسـتخرج السـكر مـن نبـات قصـب السـكر الـذي يـزرع بمسـاحات شاسـعة فـي منـاطق مختلفـة مـن أرض مصـر[٧]، ولـم تـزل هـذه الصـناعة فـي تقدم حتـى أصـبح لهـا شـأن كبيـر فـي عهـد سـلاطين أسـرة قـلاوون حيـث أنهـا كانـت تصـدر السـكر إلـى الـبلاد الأوربيـة[٨]، وإن كثـرة المعاصـر التـي كـان يملكونهـا أربـاب الدولـة تـدل علـى ازدهـار صـناعة السـكر فـي مصـر حيـث ذكـر المقريـزي: أن فـي " قفـط[٩] أربعـون مسـبكا للسـكر وسـت معاصـر للقصـب "[١٠] ، واشـتهرت ملـوى[١١] بزراعـة قصـب السـكر وكـان فيهـا عـدة أحجـار لاعتصـار السـكر، ووجـد عنـد أولاد فضـيل عنـدما أمـر السـلطان الناصـر محمـد سـنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م مصـادرة أموالـه

---

(١) الشيال، **تاريخ مدينة الإسكندرية**، ص ١١٣؛ سالم ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص ٣٩٢.

(٢) الشيال، **تاريخ مدينة الإسكندرية**، ص ١١٣.

(٣) القيس : قرية من قرى صعيد مصر وقد خربت ، وسميت قيسا نسبتا إلى قيس بن الحارث الذي فتها في فترة الفتوحات الإسلامية. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٢٢؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٣٧٧.

(٤) بهنسا: مدينة من صعيد مصر تقع إلى الغرب من **نهر النيل**، تجاور القيس، وكان يقال لها القيس والبهنسا وبظاهرها مشهد يزار، يزعمون أن المسيح وأمه أقاما به سبع سنين. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ٥١٧؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٧٧.

(٥) خسرو، **سفر نامة**، ج١، ص ١٠٣.

(٦) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٦٢.

(٧) كوكش، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية**، ص ٩٨.

(٨) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٦٢.

(٩) قفط: مدينة مصرية من مدن الصعيد بناها قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام فسميت على اسمه. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٣٨٣.

(١٠) المقريزي، **الخطط** ، ج١، ص ٤٢٩.

(١١) ملوي: مدينة مصرية تقع على الجانب الغربيّ من النيل. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٧٦.

حوالي أثنين وثلاثين ألف قنطار من القند[1]، وكان للوزير علم الدين عبدالله بن زنبور خمس وعشرون معصرة وجد بها من القند ما لا يحصر وزنه[2]، وأنتجت هذه المعاصر كميات كبيرة من السكر في عصر الناصر محمد بن قلاوون حيث صار مرتب الحوائج خاناه في أيامه ألف قنطار من السكر، وأزداد في سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م حتى بلغ شهر رمضان ثلاثة آلاف قنطار[3].

وقد اهتم سلاطين أسرة قلاوون اهتماماً كبيراً بهذه الصناعة، فجعلوا لها جابي خاص بها يسمى مقرر الأقصاب والمعاصر، يقوم بأخذ الضرائب من مزارعي قصب السكر ومن معاصر السكر[4]، وهذا يدل على مدى اهتمام المماليك بصناعة السكر ورعايتها.

وعرفت مراكز صناعة السكر بالمعاصر، والمطابخ، والمسابك، كما توجد معاصر خاصة بالسلطان، ومعاصر للأمراء، منها مطبخ يسمى الذخيرة، وهو ملك لأولاد السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣- ١٣٧٦م) كان يسبك به سكر الذخيرة، ومطبخ للأمير سيف الدين أرغون الذي استمر في إدارته إلى أن مات.[5]

أما أماكن هذه المعاصر فقد انتشرت في مناطق عديدة من مصر، وخاصة في المناطق التي يزرع فيها قصب السكر، مثل الإسكندرية[6]، وكذلك دمياط الذي كان يصنع فيها السكر بكميات كبيرة ويصدر إلى المناطق الأخرى من مصر[7]،وفي الفسطاط كان يوجد ثلاثة وعشرون معصرة للسكر، وفي القاهرة كان يوجد الكثير من معاصر السكر[8]، وتوجد معاصر السكر في مناطق أخرى من مصر مثل ترنوط[9]،

---

(١) القند: هو ما يستخرج منه السكر. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط**، عدد الأجزاء: ٢، المكتبة العلمية ، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٥١٧.

(٢) سرور، دولة **بني قلاوون**، ص٣١٩.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٤٠١؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٩.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ١٦٨.

(٥) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ص ٤١ — ٤٥.

(٦) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٦٣.

(٧) الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين،(ت ٨٧٣هـ/ ١٣٨١م)، **زبدة كشف الممالیك وبيان الطرق والمسالك**، د. ط، تصحيح بولس راديس ، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩١م، ص ٣٥. وسيشار إليه فيما بعد: الظاهري، زبدة كشف **المماليك**.

(٨) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٨١؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٦٤.

(٩) ترنوط: قري بين مصر والإسكندرية . ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٢٧.

وبلـدة بـيج[1]، وقريـة ابنـود[2]، ودشـني[3] وغيرهـا مـن المـدن[4]، وقـد أورد ابـن دقمـاق[5] أسـماء مطـابخ السـكر التـي كانـت موجـودة فـي مصـر فـي عهـد السـلطان حسـن بـن الناصـر محمد (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧ ــ ١٣٥١م) والأماكن الموجودة فيها.

ومـن الصـناعات الغذائيـة الأخـرى التـي كانـت منتشـرة فـي مصـر فـي عهـد أسـرة قـلاوون صـناعة الحلـوى التـي تصـنع مـن السـكر، وكـان هنـاك سـوق خـاص لبيـع الحلـوى، عـرف بسـوق الحلاويـين يبـاع فيـه أنـواع مختلفـة مـن الحلـوى، فيهـا نـوع يسـمى المجمعـة تشـمل علـى عـدة ألـوان[6]، وكـان يصـنع مـن الحلـوى تماثيـل علـى أشـكال حيوانـات كـالخيول ، والسـباع، والقطـط، تسـمى العلاليـق، وزن التمثـال الواحـد منهـا مـا بـين ربـع رطـل إلـى عشـرة أرطـال، وتكثـر صـناعة هـذه الحلـوى فـي شـهر رجـب وشـعبان[7]، وذكـر المقريـزي: " أن أهـل الصـعيد يتغـذون بتمـر النخـل والحـلاوة المعمولـة مـن قصـب السـكر "[8]، ممـا يـدل على رواج هذه الصناعة عندهم.

و انتشـرت صـناعة الزيـوت فـي مصـر، فكانـت تسـتخرج مـن بـذور بعـض النباتـات مثـل السـلجم (اللفـت) الـذي كثـرت زراعتـه فـي أسـيوط ، وجرجبـا، وكـان يسـتخرج الزيـت من السمسم، والكتان الذي يستخرج منه الزيت الحار[9].

وعرفـت مصـر صـناعة التمـر، وصـار لهـا دار خاصـة تسـمى دار التمـر، وفـي زمـن المقريـزي كانـت تعـرف بصـناعة التمـر، وكـان ايرادهـا يسـتعمل لإطـلاق سـراح أسـرى

---

(١) بلدة بيج: بلدة تقع على الساحل الشرقي لنهر النيل. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ٥٢٣.

(٢) قرية ابنود: قرية من قرى الصعيد دون فقط. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ٧٩.

(٣) دشني: بلد بالصعيد تقع إلى الشرق من نهر النيل. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٤٥٦.

(٤) أبو ليل، رقية عبدالله احمد، (٢٠١١م)، **ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله(٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م) وكتابه: معجم البلدان الأوضاع الاقتصادية: دراسة تاريخية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطني، نابلس، فلسطين، ص٣٦. وسيشار إليه فيما بعد: أبو ليل، **ياقوت**.

(٥) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ص ٤١-٤٥.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٨١.

(٧) المقريـزي، **الخطـط**، ج٣، ص ١٨١؛ ضـومط، **الدولـة المملوكيـة**، ص ٦٤، سـرور، **دولـة بنـي قـلاوون**، ص٣١٩.

(٨) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٨٤.

(٩) زيـادة، محمـد مصـطفى وأخـرون، **دراسـات عـن المقريـزي**، د. ط، الهيئـة المصـرية العامـة للتـأليف والنشـر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٠٣؛ وسيشار إليه فيما بعد: زيادة، دراسات عن المقريزي.

المسلمين الذين بيد الفرنجة[١]، ومن الصناعات التي كانت رائجة في مصر صناعة طحن القمح حيث انتشرت طواحين القمح في مناطق مختلفة من مصر، ذكر المقريزي:" أنه في منية الأمراء كان حوالي ثمانون طاحونة لطحن القمح " [٢]، وهذا العدد من الطواحين في منطقة واحدة يدل على الانتشار الكبير لهذه الصناعة، كما توجد طواحين في دير أبي النعنان[٣].

ثالثا- **صناعة المعادن والزجاج والخزف:**

لم تكن عناية المصريين بصناعة المعادن في عصر المماليك أقل من عنايتهم باي نوع من الصناعات الأخرى، فقد ازدهرت هذه الصناعة في مصر، فاستخدم النحاس بشكل واسع في العصر المملوكي، وصار يصنع منه الأواني المنزلية كالأباريق والصحون والطسوت والشربات[٤]، وقد دلَّ على ذلك ما وجد في مقتنيات دار الآثار العربية، ثريا من النحاس عليها اسم الأمير قوصون (٧٣٠-٧٣٠هـ/ ١٣٢٩- ١٣٣٠م) جلبت من جامع السلطان حسن، تتسع(٢٥٥) قنديلا، وتبين الكتابة المحفورة عليها أن صانعها أكملها في(٢٤) يوما[٥]، كما استخدم النحاس لتغطية الأبواب الخشبية لبعض أبواب المساجد وقصور السلاطين والأمراء، والصناديق الخشبية، التي تعدُّ على هيئة صفائح رقيقة مقسمة إلى أشكال هندسية جميلة المنظر[٦]، ويوجد في دار الآثار العربية، باب من مصراعين مصفحين بصفائح من النحاس منقوش عليها برسوم عربية جميلة يتخللها كثير من صور الطيور والحيوانات، وبأعلى هذه الزخارف وأسفلها كتابة بالنسخ المملوكي، يعرف منها أن هذه الباب كان لأحد أمراء عصر السلطان المنصور قلاوون[٧].

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه ج٣، ص ٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٢٦.

(٤) عاشور، العصر **المماليكي**، ص ٢٩٢؛ عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفانين**، ص٩٦.

(٥) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠١.

(٦) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٢.

(٧) الهواري، حسن محمد، **رسالة في وصف محتويات دار الآثار**، د. ط، مطبعة الاعتماد ، مصر، ١٩٢٦م، ص ٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: الهواري، رسالة ؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٢؛ عاشور، العصر **المماليك**ي، ص ٢٩٢.

و انتشرت صناعة تكفيت[١] المعادن، ولا يخلو دار بمصر أو القاهرة إلا وفيه قطع من الأواني النحاسية المكفتة، وفي ذلك يقول المقريزي: " فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت، ولا بد أن يكون في شورة العروس دكة[٢]، نحاس مكفت " [٣]، وكانت شورة العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو الأعيان تتألف من سبع دكك: دكه من الفضة، ودكه من كفت، ودكه من النحاس الأبيض، ودكه من الخشب المدهون، ودكه صيني، ودكه من بلور، ودكه كداهي[٤]، وتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت حوالي مائتي دينار ذهب[٥] ، ولم تكن لهذه الصناعة شهرة واسعة في مصر فحسب بل تعدتها إلى خارج مصر وأصبح عليها طلب من الأوربيين وذلك لدقة صناعتها وجمالها[٦]، ولهذه الصناعة سوق يعرف بسوق الكفتيين، الذي يضم على عدة حوانيت لعمل الكفت[٧]، وكان يحتوي على كثير من هذه التحف النفيسة وعليها تاريخ إنجازها وأسماء الحرفيين الذين قاموا على صناعتها، والبلاد التي ينتسبون إليها [٨]، وقد تطور فن التكفيت في القاهرة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فأصبحت للجامات[٩] التي كانت تتكرر في الأشرطة الزخرفية حافات من الرسوم النباتية الدقيقة، كما وأصبحت الكتابات أهم الزخارف في هذه المدرسة، بعد أن كانت ثانوية[١٠].

---

(١) التكفيت: هو تطعيم المعدن بمادة أقيم ، وأثمن منه، كتطعيم النحاس بالذهب، أو تطعيم الفضة بالذهب. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩٠.

(٢) الدكة: عبارة عن شيء يشبه السرير يصنع من الخشب مطعم بالعاج والابنوس. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩٠؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٢.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩٠.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩٠؛ **ضومط، الدولة المملوكية**، ص ١٧٣. و كداهي: آلان من ورق مدهون تحمل من الصين. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩٠.

(٥) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٢.

(٦) الهواري، **رسالة**، ص ٥٦، **ضومط، الدولة المملوكية**، ص ١٧٣.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩٠؛ زيادة، **دراسات عن المقريزي**، ص ٧٢.

(٨) ڤيت، جاستون، **دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية**، ، د. ط، د. ن، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٦٤. وسيشار إليه فيما بعد: ڤيت، **دليل موجز**.

(٩) جامة: ترجمة اصطلاحية للمقصود هنا بالكلمة الانكليزية medallion وهي تطلق في الزخرفة على الرسم أو على مجموعة الرسوم التي تكون وحدات بيضاوية الشكل أو مستديرة أو ذات شكل هندسي آخر. آرنولد، توماس و كريستي و بريغز، مارتن، **تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة**، ترجمة زكي محمد حسن، دار الكتب العربية، دمشق، سوريا، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان، ١٩٨٤م، ص ٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: آرنولد، **تراث الإسلام**.

(١٠) آرنولد، **تراث الإسلام**، ص ٣١؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٤.

وقد احتوت دار الآثار العربية على مجموعة كبيرة من التحف والأواني والأدوات التي يتبين من خلالها مدى تقدم صناعة التكفيت في مصر، منها جامه ذات حافة من الرسوم النباتية مأخوذة من زخارف طست كبير صنع للسلطان الناصر محمد بن قلاوون(١)، كما يوجد في الدار إيناء عليه اسم وألقاب ابن فضل الله العمري، رئيس كتاب الإنشاء في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، لايزال يوجد به آثار التكفيت(٢).

وبرع المصريون بصناعة التصفيح، ومن الأدلة على ذلك باب خانقاه بيبرس الجاشنكير(٧٠٨- ٧٠٩ / ١٣٠٨- ١٣٠٩) الذي أنشأها بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ / ١٣١٠م ويجتمع في هذا الباب أكثر من طريقة صناعية زخرفية إذ تنتشر على سطحه زخارف هندسية وأطباق نجمية متعددة وموزعة توزيعاً زخرفياً جميلاً وقد نفذت كلها بطريقة الحفر البارز والغائر، وضم الشريطان الكتابيان الموجودان في أعلاه وأسفله اسم السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير(٣).

وعرف المصريون صناعة الذهب والفضة وبرعوا فيها في عهد المماليك ، فقد صنعوا من الذهب، الثريات والنوافذ لبيوت سلاطينهم، ومما يدل على ذلك ما ذكره المقريزي عند حديثه عن قاعة البيسرية التي بناها السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨ – ٧٦٢هـ / ١٣٤٧ – ١٣٦١م) في القلعة سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م، فقال: " أنه كان بها تسع وأربعون ثريا برسم وقود القناديل، جملة ما داخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا وعشرون ألف، كلها مطلية بالذهب، وكان ارتفاع بناء هذه القاعة ثمانية وثمانين ذراعا... وعليها برج مطعم

بالعاج والابنوس ... وبها شبابيك من الذهب الخالص ... وفيها قبة مصوغة من ذهب، صرف فيها ثمان وثلاثون ألف مثقال من الذهب " (٤)، كما كانوا يصنعون الأواني من الذهب والفضة، في عهد المماليك ، حيث ذكر المقريزي في كلامه عن زواج ابنة

(١) آرنولد، **تراث الإسلام**، ص ٣١ .

(٢) الهواري، **رسالة**، ص ٥٨؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص٣٠٤.

(٣) الباشا، **القاهرة تاريخها**، ص٣٧٨.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٦٩.

الناصر محمد من ابن الأمير أرغون نائب السلطنة فقال: "عمل سائر الأواني من ذهب وفضة، فبلغت زنة الأواني المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب " [١].

وبرع المصرون في صناعة سبائك الذهب من التبر الذي يتواجد بكثر في بلدة العلاقي[٢] الذي وصفها أبو الفداء قائلا: " يجبلها معدن ذهب يتحصل منه بقدر ما ينفق في استخراجه"[٣]، كما يوجد في مصر معدن الزمرد في مدينة قفط في مكان يسمى الخربة، وهو على أربعة أنواع : المر وهو أجودها، والبحري، والمغربي، والأصم وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمنا[٤]، وكان على شكل عروق في صخور الجبل يستخرج بطريقة الحفر، واذا ما استخرج ألقى في الزيت الحار ثم يوضع في قطن ويصر ذلك القطن في خرق خام أو نحوها[٥]، وكان يجمع ما يستخرج من هذا المعدن ويصدر إلى الفسطاط، وكان يستخدم هذا المعدن في تزيين عروش السلاطين، وترصيع تجانهم، وفي مختلف أنواع الحلي[٦]، وقد أستمر استخراج الزمرد في عصر المماليك إلى أن أوقف الوزير الصاحب علم الدين عبدالله بن زنبور العمل بمناجمه وذلك في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون[٧].

وسادت في مصر صناعة الحديد، على الرغم من أن مصر لم تكن مركزاً مهما لهذه الصناعة، إلا أن المصريين برعوا في صناعة أنواع من الأسلحة والدروع، التي كانت من الصلب[٨] بأنواعها الهجومية والدفاعية، وقد تميزت أسلحة السلاطين والأمراء باحتوائها على الزخارف الفنية والكتابات المكفتة بالذهب والفضة، أو ترصيعها بفصوص خاصة من معادن نفيسة أو أحجار كريمة، وبعضها مكتوب عليها

---

(١) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٣٩.

(٢) العلاقي: هي بلدة تقع في بلاد البيجة جنوب مصر، على بعد ثمانية مراحل عن عيذاب. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص ١٤٥. والمرحلة تساوي ٢٤ ميل ، أي تبعد حوالي ١٩٢ ميل عن عيذاب. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٣، ص ٢٦٢.

(٣) أبي الفداء، **تقويم البلدان**، ص ١٣١.

(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ١٨ – ٢٠؛ المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤٣٠.

(٥) العمري، **مسالك الأبصار**، ج٣، ص ٤١٧، سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٧.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٤٣١؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٧.

(٧) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٨.

(٨) **المرجع نفسه**، ص ٣٠٨.

أسماء سلاطين المماليك وأمرائهم وألقابهم، وبعضها يحمل أسماء الصناع الذين قاموا بصنعه، ويعتقد أن هذه الأنواع من الأسلحة كانت مخصصة للاحتفالات الرسمية ولحملها في مواكب السلاطين[١]، كما كان يصنع من الحديد الشبابيك والأقفاص التي يستخدمونها في السوق، والأقفال والمفاتيح الحديدية[٢]، ويوجد في دار الآثار العربية، مجموعة من المفاتيح رؤوسها محلاة بزخارف هندسية مخرمة[٣]

وأما صناعة الزجاج فقد عرفها المصريون وصنعوا منها الأقراص الزجاجية التي كانت تتخذ عيارات وزن وكيل فيطبع بها على الأواني لبيان أحجامها المختلفة[٤]، وبلغت صناعة الزجاج درجة عالية من التطور في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث أخذ المصريون يصنعون زجاجاً شفافاً على درجةٍ عاليةٍ من الإتقان يشبه الزمرد، وفي ذلك يقول ناصر خسرو: " ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد في الصفاء والرقة ويبيعونها بالوزن"[٥].

وفي العصر المملوكي كانت صناعة الزجاج في قمة التطور، ومما يدل على ذلك ما وجد في دار الآثار العربية من مشكاوات تعود للقرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وهي فترة حكم المماليك، ومن أنفس ما وجد المشكاوات المصنوعة من الزجاج المطلي بالمينا[٦] وهي متشابهة الشكل إذ الرقبة في كل واحدة منها على هيئة قمع، والبدن منتفخ ومنسحب إلى أسفل وفيه ثلاث أو ستة آذان، ويقوم البدن على قاعدة أو طبلسان لوضعها على الأرض إذا أريد عدم تعليقها، وارتفاعها يتراوح بين(٢٥ – ٤٥) سنتمتر[٧]، وفي الدار أيضا مشكاة من الزجاج غير ملون في عنقها زخارف وعلى البدن كتابة حمراء نصها: (مما عمل برسم التربة المباركة السلطانية الملكية الأشرفية الصلاحية تغمد الله صاحبها بالرحمة والرضوان) وهذا دليل على أنها عملت

---

(١) عليوي، **دراسة لبعض الصناع والفنانين**، ص ٩٧.

(٢) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٨.

(٣) الهواري، **رسالة**، ص ٦٦.

(٤) الهواري، **رسالة**، ص ١٠٢؛ حسن ، زكي محمد، **كنوز الفاطميين**، د. ط، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٣٧م، ص ١٧٩. وسيشار إليه فيما بعد: حسن، **كنوز الفاطميين**.

(٥) خسرو، **سفر نامة**، ص ١٠٤.

(٦) المينا: مادة كالزجاج نصف شفاف تذاب، وتستخدم في زخرفة المعادن والأواني الزجاجية، ويمكن إعطائها ألوان مختلفة بأن يضاف إليها بعض الأكسدة. آرنولد، **تراث الإسلام**، ص ٣٥.

(٧) الهواري، **رسالة**، ص ١٠٤؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٠.

برسم تربة السلطان خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣م)[(١)] ، كما ضمت الدار على مشكاة تعود إلى زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عليها كتابات قرآنية وعلى بدنها اسم السلطان محمد بن قلاوون، وكانت زخارفها بالمينا الزرقاء، وعليها رسم طيور كثيرة، ونص الكتابة التي على البدن يقول (عز مولانا السلطان الناصر . ناصر الدنيا والدين محمد عز نصره)[(٢)]، يتبين من هذا أن صناعة الزجاج كانت معروفة عند المصريين، ووصلت إلى قمة تطورها خلال فترة حكم أسرة قلاوون من خلال الآثار التي وجدت في دار الآثار العربية والتي ذكرناها وغيرها لم تذكر.

كذلك ازدهرت في مصر صناعة الزجاج الملون الذي كان يستعمل في شبابيك الجص، وكان يصنع أيضا مكعبات من الزجاج ذات السطح المذهب الذي كان يصدر إلى بيزنطة ليصنعوا منه الفسيفساء، وقد استعمل هذا النوع من الزجاج في محراب قبة المدرسة الأقبغاوية ومحراب جامع أحمد بن طولون [(٣)]، وعرفت صناعة الأواني الزجاجية في مصر، وقد ضم المتحف القبطي على صينية تعود إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وكان عليها زخرفة من ثلاثة دوائر فيها رسوم دقيقة بالمينا الحمراء[(٤)]، يدل على الدقة في صناعتها.

أما مراكز صناعة الزجاج في مصر، فقد انتشرت في كل من الفسطاط، والفيوم، والأشمونين[(٥)]، والإسكندرية، كما وجدت بعض النماذج في مدن أخرى مثل قوص، وأسيوط[(٦)].

---

(١) الهواري، **رسالة**، ص ١٠٥.

(٢) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١١.

(٣) الهواري، **رسالة**، ص ١٠٣ – ١٠٤؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٢.

(٤) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٢؛ المبارك، **الناصر محمد** ، ص ١٠٣.

(٥) وهي مدينة قديمة أزليّة ، كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٠٠.

(٦) حسن، **كنوز الفاطميين**، ص ١٨١؛ آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، ص ١١٦.

وشاع استخدام البلور الصخري الذي كان يستورد من بلاد المغرب، وبعض مناطق البحر الأحمر، وكان النوع الذي يجلب من البحر الأحمر أجمل من المغربي وأكثر منه شفافية، وكانت

أسعار البلور في مصر منخفضة ويعود سبب ذلك إلى استخراجه في مصر وإنتاجه بكثرة، وقد حرص أعيان مصر وكبار رجال الدولة في عصر المماليك على اقتنائه، ويتبين ذلك مما ذكره المقريزي أثناء كلامه عن محتويات خزائن الأمير قوصون فقال: " أما الذهب المكيّس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار، وأما الزركش والحوايص والمعصبات ما بين خوانجات وأطباق فضة وذهب، فإنه فوق المائة ألف دينار، والبلور والمصاغ المعمول برسم النساء فإنه لا يحصر" (١).

وكان يصنع من البلور الدكك والأنية (٢)، وفي ذلك يقول المقريزي: " أخبرني من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمل في القاهرة عند ما زفت على بعض الأمراء في دولة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون(٧٦٤ – ٧٧٨هـ / ١٣٦٣ – ١٣٧٦م)، فكان شيئا عظيما، من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب، منها زير من بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور، وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء " (٣)،وكان يستخدم البلور في صناعة السنج والمكاييل الزجاجية (٤).

أما صناعة الخزف (٥) فقد أخذت بالتطور منذ العصر الطولوني(٦) (٢٥٤-٢٩٢هـ /٨٦٨- ٩٠٤م)، واستمرت في التقدم والرقي حتى بلغت مبلغاً عظيماً في عصر الخلافة الفاطمية، فكانت تصنع الفناجين والقدور والصحون والمواعين والكؤوس والأقداح من الخزف(٧)، ومما يدل على رواج هذه الصناعة ما ذكره ناصر خسرو

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٣٣.

(٢) حسن، **كنوز الفاطميين**، ص ١٨٩؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص٣١٢.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٩١.

(٤) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٣.

(٥) الخزف: هو ما عمل من الطين ووضع بالنار حتى شوى فصار فخارا. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص٦٧؛ حسن ، **كنوز الفاطميين**، ص ١٤٧.

(٦) آرنولد، **تراث الإسلام**، ص ٣٨ -٣٩.

(٧)حسن ، **كنوز الفاطميين**، ص ١٤٩.

بقولـه: " ... يعطـي التجـار فـي مصـر مـن بقـالين وعطـارين وبـائعي خـرداوات الأوعيـة اللازمـة لمـا يبيعـون مـن زجـاج أو خـزف أو ورق حتـى لا يحتـاج المشـتري أن يحمـل معـه وعاء "(١)، وكانت تلون هذه المصنوعات بألوان مختلفة،

ويصـف ناصـر خسـرو الدقـة فـي صـناعتها بقولـه: " يصـنعون بِمصْـر الفخـار مـن كـل نـوع وَهُـوَ لطيـف وشـفاف بِحَيْـثُ إِذا وضـعت يـدك عَلَيْـهِ مـن الْخَـارِج ظَهـرت مـن الـدَّاخِل "(٢)، واسـتمرت صـناعة الخـزف بـالتطور خـلال العصـر المملـوكي، ويتضـح ذلـك مـن خـلال نمـاذج القطـع الخزفيـة الموجـودة فـي متحـف الفـن الإسـلامي بالقـاهرة، حيـث يوجـد فيـه عشـرات القطـع الخزفيـة والتـي عُثـر عليهـا فـي حفريـات الفسـطاط، تحمـل توقيـع الخـزاف غيبـي بـن التـوريزي(٣)، كمـا احتـوت دار الآثـار العربيـة علـى نمـاذج مـن القطـع الخزفيـة التـي كانـت تمتـاز بـنقش أسـماء الفنـانين الـذين قـاموا بصـناعتها، وعليهـا كتابـات جميلـة تـدل علـى أنهـا مـن العصـر المملـوكي مثـل (عـز مولانـا... وممـا عمـل برسـم الجنـاب) وهـذه العبارات كانت تستعمل في العصر المملوكي(٤).

يتبـين لنـا مـن هـذا العـرض المـوجز معرفـة المصـريين لهـذه الصـناعة وتطورهـا علـى مـر العصـور، والـذي سـاعد علـى هـذا التطـور اهتمـام سـلاطين أسـرة قـلاوون بهـذه الصـناعة، كمـا كـان للاسـتقرار السياسـي الـذي تمتعـت بـه مصـر خـلال حكـم سـلاطين أسـرة قـلاوون، وبـالأخص فتـرة حكـم السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون، الـذي تميـز باسـتقرار سياسي واقتصادي مما أدى إلى تطور صناعة المعادن فيه.

رابعا - الصناعات الخشبية:

تعـد الأخشـاب مـن المـواد الضـرورية فـي حيـاة الإنسـان، حيـث دخلـت فـي كثيـر مـن مجـالات الحيـاة اليوميـة للإنسـان، كمـا دخلـت فـي كثيـر مـن مجـالات الصـناعة المختلفـة، وقـد عرفـت هـذه الصـناعة فـي مصـر منـذ القـدم، وتطـورت مـع مـرور الـزمن ، إلـى أن وصـلت فـي العصـر المملـوكي إلـى درجـة كبيـرة مـن التقـدم، وكـان يصـنع مـن الأخشـاب

(١) خسرو، **سفر نامة**، ص ١٠٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٠٣.

(٣) غيبي بن التوريزي: يعد من أشهر الخزافي في مصر في العصر المملوكي، يتميز أسلوبه برقة الطلاء والمهارة والمهارة في استخدام الألوان التي غلب اللون الأزرق فوق أرضية بيضاء كما غلب على موضوعاته رسم الزهور ، والفواكه كالرمان، أو الطيور. عليوي، **دراسة لبعض الصناعة والفنانين**، ص٩٩.

(٤) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٤.

السقوف والأبواب، ومصاريع الشبابيك، والكراسي، والمنابر، الدكك، والمشربيات[(١)]، والصناديق، والخزائن، والأسرة[(٢)]، وكانت هناك حوانيت تصنع الأقفال من الخشب المعروفة بالضبب[(٣)]، وكان لهذه المصنوعات سوقاً خاصاً يسمى سوق الصنادقيين[(٤)].

واستخدم المصريون النقش على الخشب بطريقة الحفر في عهد المماليك، وبلغت هذه الصناعة قمة تطورها في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي تميز عهده بظهور المصنوعات الخشبية البديعة[(٥)]، واتبع المصريون في زخرفة المصنوعات الخشبية طرقاً منها: الحشوات ، والخرط، والتطعيم، وكانوا يستخدمون الحشوات في صناعة الخشب، لكي يتجنبوا تشقق الخشب بسبب تأثير الحرارة وجفاف الجو، وكذلك تجميله بالزخرفة بأشكال هندسية[(٦)]، ويوجد في دار الآثار العربية، مصراع باب من الخشب فيه حشوات، وعلى هذه الحشوات زخارف هندسية وسيقان وفروع نباتية منقوشة بدقة كبيرة، يرجع تاريخ صنعها إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[(٧)]، كذلك احتفظت الدار، بجزء من سقف مكون من حشوات مختلفة وعليها زخارف من سيقان وفروع نباتية منقوشة بدقة وإتقان تعود إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[(٨)].

وشاع استخدام الخشب المخروطي في مصر، وقد وصل قمة تطوره في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وكان يصنع منه الشبابيك والحواجز والمشربيات، التي كثر استعمالها في المنازل لإخفاء حجرات

---

(١) المشربيات: هي مجموعة من الخشب المخروطي الدقيق الصنع تتفاوت فتحات عيونها في الاتساع، وتملأ أحيانا بالخشب المخروطي لتكون كتابات أو رسوم، وذلك يترك العيون الأخرى واسعة كأرضية تظهر منها الرسم أو الكتابة. فييت، **دليل موجز**، ص ٥٨.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٨٥؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٢٣٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٨٥. سوق الصنادقيين: هو من الأسواق التي كانت موجودة في القاهرة، وفيه تباع الصناديق والخزائن والأسرّة مما يعمل من الخشب، في زمن المقريزي يعرف بسوق السيوفيين. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٨٥.

(٥) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٧؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٥؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص٩٣.

(٦) **المرجع نفسه**، ص٣١٧؛ **المرجع نفسه**، ص ٢٩٥.

(٧) فييت، **دليل موجز**، ص ٦٣.

(٨) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٧؛ فييت، **دليل موجز**، ص ٦١.

الحريم في المنازل، أو لجدران المقصورات بالمساجد(١)، وقد كثر استخدام المشربيات في العصر المملوكي في الجوامع، ومثال ذلك ما وجد في جامع المارداني الذي بني سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م خارج باب وزيله وقد قال عنه المقريزي: " ... فبلغ مصروفه زيادة على ثلاثمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من الأخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة، وأخذ ما كان في جامع راشدة من العمد فعملت فيه، وجاء من أحسن الجوامع " (٢) ، وكانت المشربيات في القاهرة تمتد من جدران البيوت إلى الطريق وذلك لتجميل شوارع المدينة وطرقاتها، وإكسابها طابع خاص(٣).

كما شاع تطعيم المصنوعات الخشبية بالعاج، والابنوس – الخشب الأحمر والقصدير- في العصر المملوكي، وما يدل على ذلك ما وجد في دار الآثار العربية، من هذه المصنوعات منها: باب يتكون من مصراعين به حشوات من خشب نبق منقوشة ومحاطة بأشرطة رقيقة من السن، عثر عليها بتربة السلطان المنصور قلاوون المبنية سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، كما يوجد في الدار كرسي من خشب مكسو بالفسيفساء الرقيق، وجد في جامع أم السلطان شعبان(٤).

وأما صناعة السفن: فإن وقوع مصر على منفذين بحريين مهمين هما البحر المتوسط من الشمال والبحر الأحمر من الشرق، وجريان نهر النيل في وسطها والذي يربط بين أجزاءها وبين شعوب أفريقيا الجنوبية، جعل مصر تحتل مكانة متميزة في الملاحة البحرية والنهرية، فقد عرف المصريون صناعة السفن منذ أقدم العصور ، فقد دلت التنقيبات الأثرية على أن المصريين أول من قاموا ببناء السفن، وركوبها في الأنهار والبحار في عصر ما قبل التاريخ، وكانت تلك السفن بسيطة وبدائية في أول أمرها، حيث استعملوا جذوع الأشجار للانتقال بها من ضفة إلى أخرى من ضفاف نهر النيل، ثم ربطوا الجذوع بعضها إلى بعض بالأعشاب المتينة مثل البردي، وكونوا منها

---

(١) آرنولد، **تراث الإسلام**، ص ١٥٩؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٧.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج٤، ص ١٠٩.

(٣) فييت، **دليل موجز**، ص ٥٨.

(٤) الهواري، **رسالة** ، ص ٤٦، ٥٠ ؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٨.

كتلاً من الخشب أمسكوها بأيديهم، واستعملوا أقدامهم لتحريكها، وهكذا أخذوا يطورون صناعة السفن ويدخلون عليها التعديلات اللازمة إلى أن وصلت إلى ماهي عليه(١).

واستمرت العناية بصناعة السفن وأصبح لها أماكن مخصصة لصناعتها تعرف بدور الصناعة(٢)، وكانت تصنع في العصر المملوكي نوعان من السفن: النيلية، والحربية، فالنيلية كانت تصنع للاستخدام في نهر النيل، لنقل حاصلات البلاد بين الوجهين القبلي والبحري، وأما الحربية، فتصنع لحرب الأعداء وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة(٣)، وكانت هناك عدة دور صناعة في مصر، من أهمها: دار صناعة الروضة(٤)، ودار صناعة مصر (الفسطاط)(٥)، ودار صناعة المقس(٦)، ودار صناعة بولاق(٧)، ودار صناعة الجزيرة الوسطى(٨).

---

(١) ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية، وأثارها الباقية**، د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٧م، ص ١٥-١٦. وسيشار إليه فيما بعد: ماهر، البحرية في مصر.

(٢) دور الصناعة: مصطلح إسلامي أطلق على المكان الخاص بصناعة السفن. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص٣٣١.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٣١؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٦٩.

(٤) صناعة الروضة: هي أول دار أنشئت في مصر في العصر الإسلامي في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وكان مقرها في جزيرة الروضة، التي كانت تسمى قبل بدار صناعة الجزيرة، م سميت بصناعة الروضة في عصر الفاطميين ، استمر العمل فيها إلى نهاية الدولة المملوكية. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٤٤، العبادي، احمد مختار و سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام**، د. ط، دار الامل، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢١٧. وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**.

(٥) دار صناعة مصر: أنشئت في عهد محمد بن طغج الإخشيدي سنة ٣٣٥هـ / ٩٣٦م بساحل مصر القديم وظلت هذه الدار تصنع السفن في مصر في عهد الفاطميين والأيوبيين و**المماليك**، واستمر العمل بها إلى سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م . المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٤٤؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص٢١٩.

(٦) دار صناعة المقس: أنشأت في عصر الفاطميين، وكان سبب قيامها محاولة الروم الاستيلاء على بيت المقدس، واستمر العمل بها إلى بداية عصر المماليك، وسبب زوالها انحسار ماء نهر النيل عن ساحل المقس وتحولت الأرض إلى رمال . المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٤٢؛ سعيد، إبراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، د. ط، دار المعرف، د. م، ١٩٨٣م، ص ٣٥.

(٧) دار صناعة بولاق: كانت بولاق منذ أواسط القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ثغرا هاما للقاهرة، وقاعدة عسكرية ، ودار لصناعة السفن روى السيوطي في حوادث سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م أنه قامت عاصفة شديدة أدت إلى غرق نحو ثلاثمائة مركبا عند ساحل بولاق، وهذا العدد من المراكب التي غرقت تدل على عظمة إنتاج هذه الدار، واستمر العمل بها إلى نهاية عصر المماليك. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص ٣٠٣؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢٢٣.

(٨) دار صناعة الجزيرة الوسطى: أنشأت في عصر المماليك، وكان يصنع بها السفن الحربية، واستمر العمل بها في العصر العثماني. العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢٢٥؛ سعيد، **البحرية في عصر المماليك**، ص ٣٧.

وقد أولى سلاطين المماليك هذه الدور عناية كبيرة، وكانت تقام دور الصناعة على مقربة من نهر النيل؛ وذلك لتكون قريبة من مياه النهر، وأيضاً قريبة من الخامات الطبيعية اللازمة للصناعة وهي الأخشاب(١)، فعندما تولى السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٩ – ٦٧٨هـ / ١٢٦٠ – ١٢٧٩م) السلطنة، أعاد أعمار قلعة الروضة والجسور بعد أن عانت من الإهمال بعد زوال الدولة الأيوبية، كما أهتم بدور الصناعة، ومنع الناس من أن يتصرفوا في أخشاب السفن، وأمر بأنشاء الشواني، وكان ينزل بنفسه إلى دار الصناعة بمصر، ويشرف على تجهيزها(٢)، وروي أنه بينما كان السلطان الظاهر بيبرس منهمكاً في الأشراف على عملية بناء السفن الحربية في دار صناعة مصر قدم عليه وفد ملك صقلية واستقبلهم وهو جالس بين الأخشاب، والصناع والأمراء تحمل بأنفسهم آلات الشواني وهي تمد، فأرعبهم ما شاهدوا(٣).

كما أهتم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ – ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣م) بأنشاء أسطول قوي وعهد إلى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السعلوس، وعندما بلغت عدة ذلك الأسطول ستين مركبا، أمر السلطان بتجهيزها بالآلات الحربية والرجال واستعرضها في جزيرة الروضة في يوم حافل(٤)، وعني السلطان محمد بن قلاوون بالاحتفاظ بأسطول قوي لمصر، فإنشأ في سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م الشواني وجهزها بالآلات والمعدات الحربية، حيث روى المقريزي ذلك فقال: " ... فلما كان المحرّم سنة اثنتين وسبعمائة في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون، جهزت الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والأزودة "(٥)، وفي عهد السلطان الأشرف شعبان (٧٦٥ – ٧٧٨هـ / ١٣٦٣ – ١٣٧٦م) أهتم الأمير يلبغا(٦) الأتابك بصناعة السفن البحرية، وذلك لغزو الفرنجة، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات كميات كبيرة، وشرع

---

(١) سعيد، **البحرية في عصر المماليك**، ص ٣٢-٣٣.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٢٣؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص ٤٤٧، العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢١٨؛ سعيد عاشور، **عصر المماليكي**، ص ٢٩٠.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص ٦٠١؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية** ، ص ٢٢٠.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٤١؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٥، سعيد، **البحرية في عصر المماليك**، ص ٣٤.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص٣٤١ .

(٦) يلبغا بن عبد الله الخاصكي الناصري : كان أمير ألف في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وقام عليه فقتله، وفي عهد السلطان الأشرف شعبان أصبح أتابك، وكان هو الآمر والناهي، وصاحب الحل والعقد، " هو السلطان في الباطن والأشرف بلاسم " على حد قول ابن حجر، أستكثر من المماليك، حيث بلغ عددهم ثلاثة آلاف، قتل سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م من قبل مماليكه. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٦، ص ٢٠٩.

النجـارون فــي عملهـم فــي أروى[١] وأشـرف علــى العمـل الـوزير فخـر الـدين ماجـد[٢] بــن قزوينة[٣].

وكانـت السـفن الحربيـة التـي صـنعت فـي دور الصـناعة فـي مصـر عـدة أنـواع: منهـا الشـلندى وهــي سـفن كبيـرة الحجـم ومسـقوفة يكـون المقـاتلين علــى ظهرهــا، والجـدافين يجـدفون تحـتهم ، والمسـطح تشـبه الشـلندى لكـن اصـغر حجمـاً[٤]، والشـواني أو الشـين وهـي مراكـب حربيـة كبيـرة تتـألف مـن أبـراج وقـلاع للـدفاع والهجـوم، وكانـت هـذه الأبـراج مـن عـدة طبقـات يقـف فـي الطبقـة العليـا العسـاكر المسـلحة بـالأقواس والسـهام، وفـي الطبقـة السـفلى يتواجـد الملاحـون، وهـي مـن أهـم القطـع التـي يتـألف منهـا الأسـطول[٥]، والأعـزاري وهــي مراكــب تسـتعمل لحمــل الأرزاق، و المركــوش وهــي مراكــب صــغيرة لنقــل المــاء وتحمـل مـا يقـارب مائـة أردب[٦]، والحراريـق تكـون أقـل حجمـا مـن الشـواني، وهـي بمثابـة نـاقلات للجنـد والـذخيرة والبـارود والـنفط، أمـا الطـرادات، فهـي سـفن خاصـة لنقـل الخيـول ، تحمل ما يقارب أربعين فرسا، وأحياناً تصل إلى ثمانين فرساً[٧].

و تصـنع السـفن الحربيـة فـي مصـر علـى صـنفين، السـفن التـي تسـتخدم فـي البحـر الأحمـر كانـت تصـنع مـن أخشـاب متينـة مثـل خشـب السـاج وخشـب جـوز الهنـد، ولا يسـتعمل فــي بنائهــا المســامير، والحديـد، إنمـا تخـاط الواحهـا بحبـال الليـف وتثبـت بدسـر (مسـامير خشـبية)[٨]، قـال ابـن جبيـر: " ... والجـلاب التـي يصـرفونها فـي هـذا البحـر الفرعـوني ملفقـة

(١) أروى: تعرف بالجزيرة الوسطى لوقوعها في النيل بين الروضة وبولاق، وفيما بين بر القاهرة وبر الجزيرة. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٢٦.

(٢) فخر الدين ماجد بن قزوينة: الوزير القبطي ولي وزارة الشام أولا ثم نقل إلى مصر، كان كاتبا مجدا، يحب جمع المال، مات سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٤، ص ٣٢٠.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج٣، ق ١، ص ١١٣؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٦.

(٤) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص٣٤٠؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ١٣٥- ١٣٦.

(٥) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٥؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٠.

(٦) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص٣٤٠.

(٧) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٠؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٥.

(٨) متز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ط ٥، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ت، ص ٤٢٦. وسيشار إليه فيما بعد: متز، الحضارة الإسلامية ؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٦؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢٥٧.

الأنشاء لا يستعمل فيها مسمار البتة إنما هي مخيطة بأمراس وحبال من القنبار وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخيط ويفتلون منه أمراسا يخيطون بها المراكب ويخللونها بدسر من عيدان النخل "(١)، أما السفن التي كانت تستعمل في البحر الأبيض المتوسط، فكانوا يستعملون في صناعتها المسامير(٢).

وكانت مصر تعاني من شحة المواد الخام اللازمة لصناعة السفن مثل الخشب والحديد والكتان والقطران والزفت، وكان الخشب أهم تلك المواد، لذا عنى سلاطين المماليك بزيادة الخشب المحلي عن طريق غرس أشجار السنط، واللبخ، والطرفاء أو الأثل على ضفاف نهر النيل وحول ضياعهم وبساتينهم ، كذلك حرصوا على احتكار تجارة الخشب، ومنع الناس من التصرف في أعوادها(٣)، ووضعوا الحراسة على الحراج التي كانت منتشرة في مناطق مختلفة من مصر مثل قليوب وأسيوط، والأشمونين، وأخمين والبهنسا، وغيره(٤)، ولا سيما حراج السنط التي كانت تعرف بالحراج السلطاني(٥)، حيث كان خشب السنط من أهم الأخشاب التي كانت تستعمل في بناء السفن المصرية، وتكثر زرعته في البهنسا، قال عنه ابن مماتي: " إن حراج البهنسا كان يدفع سنطا"(٦)، ومن الأشجار الأخرى التي كانت تستخدم في بناء السفن في مصر شجر اللبخ الذي يزرع في أنصنا، وهو من أغلى أصناف الخشب(٧)، قال عنه المقريزي: " لا ينبت اللبخ إلا بأنصنا، وهو عود تنشر منه ألواح السفن، وربما أرعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين ديناراً ونحوها وإذا شد لوح منها بلوح وطرح في

---

(١) ابن جبير، **رحلة**، ص ٤٢.

(٢) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٦؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢٥٧، عاشور، **عصر المماليكي**، ص ٢٩٠.

(٣) العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢٠٩؛ ماهر، **البحرية في مصر الإسلامية**، ص ٦٩؛ سعيد، **البحرية في عصر المماليك**، ص ٤٠.

(٤) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٣٤٤؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢١٠-٢١١.

(٥) العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢٠٩.

(٦) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٣٤٤.

(٧) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص ٤٢٩؛ العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢١٢.

الماء سنة التأم وصارا لوحاً واحداً " [١]، ومن الأشجار الأخرى التي تستعمل في صناعة السفن شجر الجميز " كان بشاطئ النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة، قطعت جميعها في الدولة الظاهرية[٢] وعمر بها شواني" [٣].

وعلى الرغم من اهتمام سلاطين المماليك بزراعة الأشجار لتوفير الأخشاب اللازمة لصناعة السفن، والاهتمام بالحراج وحراستها، إلا أن الإنتاج المحلي لم يكن ليسد حاجتهم، لهذا كانت مصر تستورد الأخشاب التي تستخدم في صناعة السفن من بلاد الشام، والأناضول وأسيا الصغرى، وغرب أوربا والبندقية[٤]، وكانت السفن العربية تأخذ أسمائها من شكل الهيكل مثل البغلة، والقنجة، والالسنبوقة والجهازي[٥]، وغيرها من الأسماء التي كانت تطلق على السفن ذات المؤخرات المربعة[٦].

إن رعاية سلاطين المماليك للصناعة البحرية كان واضحاً من خلال كثرة المراكب البحرية في مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ونهر النيل، وقد روي أنه غرق في النيل سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م ثلاثمائة مركب عند ساحل بولاق بسبب هبوب ريح شديدة من جهة المغرب ، امتدت من مصر إلى الشام في يوم وليلة[٧]، وهذا يدل على كثرة المركب التي كانت هناك، حتى يغرق منها في مكان واحد هذا العدد.

---

(١) ا لمقريزي، **الخطط**، ج٤، ص ٤٢٩.

(٢) دولة الظاهر بيبرس البندقداري. العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية**، ص ٢١٢.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٢٤.

(٤) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص ٤٢٩؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣١٦؛ عاشور، **عصر المماليكي**، ص ٢٩١؛ سعيد، **البحرية في عصر المماليك**، ص ٤٤.

(٥) البغلة: وتسمى أيضا بغلة الحائط، وهي السفينة التي تسير بمحاذات السفن الكبيرة. القنجة: مركب صغير مثل الجندول أو الزورق. السنبوق: سفينة كبيرة مكشوفة حمولتها ما بين (٨٠ – ١٨٠) طن مدببة **المقدمة** ومتسعة المؤخرة. الجهازي: جاءت من كلمة جهاز بمعنى سفينة فارسية. ماهر، **البحرية في مصر الإسلامية**، ص ١٦٦.

(٦) ماهر، **البحرية في مصر الإسلامية**، ص ١٦٦.

(٧) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج٢، ص ٣٠٣؛ المبارك، **الناصر محمد** ، ص ٩٩.

أن هذا الأثار التي ذكرت من نقوش، وزخرفة وصناعة السفن تدل على مدى اهتمام سلاطين المماليك بالصناعات الخشبية، ورعايتهم لها، والتطور الذي وصلت اليهم البلاد في هذا المجال .

خامسا - صناعات أخرى:

إضافةً إلى ما ذكر سابقاً عن الصناعة في مصر في العهد المملوكي، كانت هناك صناعات أخرى للاستعمال المحلي لا تقل أهمية عمّا ذكرنا، فمن هذه الصناعات ما يتعلق بلوازم الدواب مثل صناعة السروج، فقد عرفت في عهد المماليك هذه الصناعة[١]، وتعتمد هذه الصناعة على الجلود وهي على أنواع، منها ما تكون ساذجة (غير مزينة) أو مزينة بالذهب والفضة، وكانت على عدة ألوان، وفي وصف المقريزي لهذه السروج ما يدل على تطور هذه الصناعة حيث قال: " أدركت السرج تعمل ملونة ما بين أصفر وأزرق ومنها ما بعمل سيوراً من الجلد البلغاري الأسود، ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة آل العباس في استعمال السواد " [٢]، وأما السروج التي يستخدمها الأجناد والكتاب فقد قال عنها: " وأدركت السروج التي تركب بها الأجناد والكتاب، يعمل للسرج في قربوسه ستة أطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب، ... ولا يكاد أحد يركب فرساً بسرج ساذج إلا أن يكون من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع "[٣].

وتطورت صناعة المهاميز[٤] وتتألف من قالب وسقطة، وكان يصنع من الذهب والفضة، أو من الحديد المطلي بالذهب أو الفضة، وهذا عند أهل الورع [٥]، وكان له

---

(١) السروج: جمع سرج ، وهي ما يقعد فيه الراكب على ظهر الفرس. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ١٤٣.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج٣ ، ص ١٧٨.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٣ ، ص ١٧٨.

(٤) المهاميز: مفردها مهماز، وهي آلة من حديد تكون في رجل الفارس، فوق كعبه فوق الخف. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ١٤٤.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٧٧؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ١٤٤؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٧١.

سوق يسمى سوق المهامزيين، وفيه تصنع بدلات اللجم أيضا من الفضة المطعمة بالمينا، أو بالفضة المطلية بالذهب، وكان سعر اللجام الواحد حوالي خمسمائة درهم [١].

أما الحوائص[٢]، فكانت تصنع من الذهب وترصع بالجواهر، وكان صانعوها يتفننون في صناعتها، وأسعارها متفاوتة حيث كانت حوائص الأجناد أربعين درهم فضة، ثم جعل السلطان المنصور قلاوون(٦٧٨ – ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠م) حوائص الأمراء الكبار ثلاثمائة دينار، وأمراء الطبلخانة مائتي دينار، ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين ديناراً إلى خمسين ديناراً، وكان لهذه الصناعة سوقاً تصنع فيه[٣].

ومن الصناعات الأخرى التي كانت معروفة في مصر صناعة الشموع، وكان لها سوق يسمى سوق الشماعيين، يحتوي على أكثر من عشرين حانوتاً، فيها أنواع مختلفة من الشموع منها الموكبية، وهي شموع ثقيلة تزن الواحدة منها نحو عشرة أرطال، ومنها الشمع الذي يحمل على العجل ويبلغ وزنه حوالي القنطار، وتزدهر صناعة الشموع في شهر رمضان[٤]، وفي ذلك يقول المقريزي: " ... وكان به في شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهنّ عشرة أرطال فما دونها "[٥].

وعرفت في مصر صناعة الحصر، التي كانت تصنع من البردي، حيث أورد المقريزي عند حديثه عن وادي الملوك[٦]، أنه فيه " البردي لعمل الحصر " [٧]، وكانت هذه الحصر تستعمل لفرش أرضية المساجد والدور، ذكر ناصر خسرو عند حديثه عن

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٧٧؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٧١؛ كوكش، **المقريزي مؤرخا**، ص ١١٠.

(٢) الحوائص: جمع حاصة، وهي من ملبوسات الأمراء يلبسونها أثناء ركوب الخيل، وكانت تصنع من الذهب المرصع بالجواهر. المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٨٠.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٨٠؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٧١؛ كوكش، **المقريزي مؤرخا**، ص١١٠.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ١٧٥؛ كوكش، **المقريزي مؤرخا**، ص ١١٤.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٧٥.

(٦) وادي الملوك: يقع بالجانب الغربيّ من أرض مصر، فيما بين مربوط والفيوم يقال له وادي هبيب ووادي النطرون، وبرّية شهاب، وبرّية الإسقيط، وميزان القلوب، وهو واد كثير الفوائد فيه النطرون، ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الأندرانيّ والملح السلطانيّ، وهو على هيئة ألواح الرخام. المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٤٤.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص ٣٤٤.

مسجد باب الجوامع[١] وما فيه من أثاث من بينها فرش من الحصر الجميلة الملونة بقوله: " ... ويفرش هذا المسجد بعشر

طبقات من الحصر الجميل الملون بعضها فوق بعض " [٢]، مما يدل على ان صناعة الحصر كانت منتشرة بكثرة، وبالوان مختلفة.

أما صناعة البسط، فكانت مزدهرة في مصر، وهذا واضح من خلال ما ذكرته المصادر التاريخية عن الفرش التي كانت تستعمل في قصور السلاطين ودور الأمراء، حيث ذكر المقريزي

عند كلامه عن القصر الأبلق الذي بناه السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أن فيه دهاليز مفروشة بالرخام فرش فوقها أنواع من البسط[٣] ، وبلغت أثمان البسط التي فرشت في المدرسة الأقبغاوية حوالي ستة آلاف درهم فضة[٤]، وكان الأمراء يحتفظون في دورهم بكميات كبيرة من البسط مما يدل على رواج أستعماله بكثرة في تلك الفترة حيث ذكر المقريزي أنه عند نهب قصر الأمير قوصون وجد في مخازنه مائة وثمانين زوج من البسط بأطوال مختلفة منها أربعين ذراعاً، ومنها ثلاثين ذراعاً، ستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر، يبلغ سعر الزوج الواحد أثنا عشر ألف درهم، وأربعة أزواج بسط من الحرير[٥].

صناعة الشارات(الرنوك)[٦] ، فقد كانت معروفة عند المصريين، حيث جرت العادة أن يتخذ أصحاب المنشآت أو المؤسسات من السلاطين أو الأمراء لوناً معيناً لطلاء داره ومؤسسته ومختلف أملاكه، كما كان يتخذ شاره رمزاً تُعرف هذه الشارة

---

(١) مسجد باب الجوامع: يقع هذا المسجد في وسط سوق مدينة مصر، شيده عمرو بن العاص، يحيط به من جهاته الأربع السوق، ومفتحة أبوابه الأربع عليه، أشتراه الحاكم بأمر الله الفاطمية من أولاد عمرو بن العاص ، وكان المسجد مكان لاجتماع سكان المدينة ، يتواجد فيه في أي وقت أكثر من خمسة آلاف من طلاب العلم و الغرباء وغيرهم. خسرو، **سفر نامة**، ص ١٠٢.

(٢) خسرو، **سفر نامة**، ص ١٠٢.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج٣، ص ٣٦٦.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٣٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٣٣؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٢٩٩.

(٦) الرنوك: جمع رنك وهي لفظ فارسي معناه اللون، وأستخدم بمعنى الإشارة أو الشعار، أو الرمز الذي يتخذه السلطان أو الأمير المملوكي لنفسه. طرخان، إبراهيم علي، **مصر في دولة المماليك الجراكسة**، مكتبة النعضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٢٧. وسيشار إليه فيما بعد، طرخان ،**دولة الجراكسة**؛ أحمد، أحمد عبد الرزاق، **الرنوك الإسلامية**، د. ط، د. د، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤٨. وسيشار إليه فيما بعد، أحمد، **الرنوك الإسلامية**.

باسم (رنك)، وقد استخدمت هذه الكلمة للدلالة على الشارة أو الشعار الشخصي الذي أتخذه السلطان أو الأمير لنفسه، فهي تمثل هنا معنى من المعاني التي تتصل بماضي الأمير وترمز إلى قوة أصحابها، مثل رمز السبع الذي أتخذه كل من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، وابنه السعيد بركة خان (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) رمزاً لهما(١)، قال ابن أياس في حديثه عن الظاهر بيبرس: " وكان يصنع في رنكه سبعاً إشارة لفروسيته وشده باسه " (٢)، كما أنهم كانوا يستخدمون هذه الرنوك كدليل على الوظيفة التي يشغلها كل واحد منهم، فرنك الدوادار، الدواة وهو المسئول عن الرسائل و المكاتبات للسلطان، ورنك الطشتدار ، الطشت وهو المسئول عن الأواني في القصر، ورنك السلحدار، السيف، ويرمز للأمراء أرباب السيف في الجيش، ورنك البندقدار، القوس وهو رنك يتخذه المهرة في قذف البندق أو الرمي بالقوس، ورنك أمير أخور، حدوة الفرس، وهو المسئول عن الإسطبلات السلطانية، ورنك الجمدار، بقجة، وهو المسئول عن الملابس بقصر السلطان، ورنك الساقي، الكأس، وهو المسئول عن السقاية بقصر السلطان، ورنك الجوكندار، عصا البولو و الكرة، وهو المسئول عن لعبة البولو للسلطان (وكانت لعبة شهيرة في زمن المماليك)، ورنك العلمدار، علمين، وهو المسئول عن الأعلام و الشعارات السلطانية، ورنك الطبل دار، طبلة و زوج من العصي، وهو المسئول عن فرق الموسيقى المصاحبة لمواكب واحتفالات السلطان، ورنك البشمقدار، نعل، وهو المسئول عن أحذية السلطان، ورنك الجمقدار، الدبوس، وهو شعار يرمز لأحد وظائف الجيش، ورنك البريدي، درع مستدير مقسم ثلاث أقسام، وهوالمسئول عن بريد السلطان، وكان بعض الأمراء يستخدم اكثر من رنك وكان كل رنك يرمز إلى احد الوظائف التي تقلدها ثم رقي إلى وظيفة أعلى منها(٣).

وكان لكل أمير رنك خاصة به يثبته على جميع الأشياء التي تعود إليه، " ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ما بين دواة أو بقجة أو فرنسيسية ونحو ذلك، بشطفه واحدة أو شطفتين، بألوان مختلفة، كل أمير بحسب ما

---

(١) مصطفى، محمد، **الرنوك في مصر المماليك**، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠، في ٣ مارس١٩٤١ ، وسيشار إليه فيما بعد مصطفى، الرنوك في مصر **المماليك**؛ طرخان، **دولة الجراكسة** ، ص ٣٢٥؛ عدره، رشا (٢٠١٣م)، **الرنوك المملوكية في دمشق**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا، ص ٦١، وسيشار إليه فيما بعد: عدره، **الرنوك المملوكية**.

(٢) ابن إياس ، **بدائع الزهور**، ج١، ق١، ص ٦٤١.

(٣) مصطفى، **الرنوك في عصر المماليك**، ص ١؛ طرخان، **المماليك الجركسية**، ص ٣٢٦؛ أحمد، **الرنوك الأسلامية**، ص ٤٨.

يختاره ويؤثره من ذلك " [١]، وكان ينقش أيضا على قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص، وعلى قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة، وكانت تنقش أيضا على العبي، والبلاسات[٢]، ووضعت على السيوف والأقواس والبركصطوانات[٣] للخيل[٤].

وكانت الرنوك على أشكال مختلفة منها المربع والمدبب، والذي يتالف محيطة من تقاطع عدة دوائر، والأكثر أنتشاراً هو الذي يتكون من دائرة يقسمها خطان متوازيان إلى ثلاثة أقسام يسمى القسم الأوسط منها الشطب، وتكون الرنوك بألوان مختلفة حسب ما يختاره صاحب الرنك[٥]، فقد ذكر ابن تغري بردي: " أنه كان رنك الأمير سلار أبيض وأسود "[٦] ، ووصف الصفدي رنك الأمير أقوش آلافرم بقولة: " كان رنكه غاية في الظرف وهو دائرة بيضاء يشقها شطب أخضر كأنه مسن عليه سيف أحمر يمر من البياض الفوقاني إلى البياض التحتاني " [٧]، وهذا يدل على انهم كانوا يستخدمون أكثر من لون في الرنك الواحد.

والرنوك نوعان: بسيطة ومركبة، والبسيطة هي التي تضم رمزا أو أكثر على القسم الأوسط من الدائرة التي يرسم فيها الرنك، وتدل مثل هذه الرنوك على الوظائف الممثلة فيها، أما المركبة، فهي تحوي على علامات متعددة على أقسام الرنك الثلاثة، وهي ليست شخصية إنما رنوك جماعات من المماليك تنتسب كل جماعة إلى أحد السلاطين أو كبار المماليك[٨]، ويوجد نوع آخر من الرنوك، يعرف باسم خرطوش،

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٦٣.

(٢) البلاس: الكساء من الشعر. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص ٥٩٦.

(٣) بركصطوان: أو بركستوان، غطاء الحصان المزركش وتكون لغير الخيول كالفيلة. دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٣. وسيشار إليه فيما بعد: دهمان ، **معجم الالفاظ**.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٦٣؛ أحمد، **الرنوك الإسلامية**، ص ٥٠.

(٥) مصطفى، **الرنوك في عصر المماليك**، ص٢؛ أحمد، **الرنوك الإسلامية**، ص ٤٨-٤٩، عدره، **الرنوك المملوكية**، ص ٦٤.

(٦) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٩.

(٧) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،(ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، د. ط، جزءان، تحقيق احسان بنت سعيد خلوصي زهير حميد الصمصام ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ج٢، ص ٢١٣. وسيشار إليه فيما بعد: الصفدي، **تحفة**.

(٨) مصطفى، **الرنوك في عصر المماليك**، ص٢؛ طرخان، **المماليك الجركسية**، ص ٣٢٨؛ أحمد، أحمد عبد الرزاق، **الرنوك على عصر سلاطين المماليك**، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، م ٢١، ١٩٧٤م، ص ٨٩.

وهذه خاصه بالسلاطين، ويتألف من درع مستدير أو كمري أو مقصص، وينقسم إلى ثلاثة مناطق، ولا توجد فيه علامات أو أية رموز بل يوجد عليه كتابات، في القسم الأعلى اسم السلطان، وفي الوسط التعظيم، وفي الاسفل الدعاء، ويرجع أقدم هذه الخراطيش إلى أوائل القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وأول ظهوره كان يكتب على الأواني، والأدوات ، كالمشكاوات، وأقدم ما عرف من الخراطيش المكتوبة على المباني خرطوش باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، في الدولة المملوكية الأولى، وجد على حائط حوش بجوار مسجد السلطان حسن(١).

وكان يستخدم في صناعة الرنوك ، الحجر والجص والرخام والخزف على العمائر، والمعادن والذهب والفضة والفخار والأصباغ المختلفة للنقش على التحف، وعن طريق الحفر والنحت والنقش والإضافة والضغط واللصق، وغيرها من الوسائل(٢)، أن هذا الاستخدام الواسع للرونك يدل على تطور هذه الصناعة وانتشارها بشكل كبير في البلاد خلال فترة حكم أسرة قلاوون

ومن الصناعات الأخرى التي كانت معروفة في مصر في عصر المماليك صناعة الورق، وقد وصلت هذه الصناعة من الصين إلى مصر عن طريق سمرقند ، فقد كانت البدايات الأولى لصناعة الورق في العصر الإسلامي في سمرقند(٣) ، ثم انتشرت من هناك في البلاد التي كانت تحت حكم المسلمين منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأصبح لها مصانع في كل من بغداد، والجزيرة، واليمن ، وسوريا، ومصر(٤)، أما مراكز صناعة الورق في مصر فكانت منتشرة في البلاد، ومن أهمها في الفسطاط، ومدينة بورا وقوص(٥)، وكان الورق المصري على درجة عالية من الجودة(٦)، ويصنع منه عدة أنواع، منها نوع يسمى المنصوري ويتألف من قطع كبيرة، وقليل ما كان يصقل الوجهين منه، والثاني يسمى العادة، وكان يصقل الوجهين من الورقة، ويطلق عليه الوراقين اسم المصلوح، وهناك نوع آخر يعرف بالفوّيّ، ويتكون

---

(١) طرخان ، **المماليك الجركسية**، ص ٣٣٠؛ مصطفى، **الرنوك في عصر المماليك** ، ص٢؛ أحمد ، **الرنوك على عهد المماليك**، ص ٩٠.

(٢) عدوه، **الرنوك المملوكية**، ص ٦٤.

(٣) سمرقند: تقع مدينة سمرقند في بلاد ما وراء نهر جيحون. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٢٤٧.

(٤) العبادي، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية**، ص ١٥٣.

(٥) آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، ص ١١٧؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٧٢.

(٦) العبادي، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية**، ص ١٥٣.

من قطع صغيرة ويكون خشن غليظ، وهذا النوع لا يستخدم في الكتابة إنما كان يستعمل للحلوى والعطر وغيرها[١]، وأخذت صناعة الورق بالتدهور بسبب كثرة مصادرات سلاطين المماليك لأصحاب المصانع، وفرض ضرائب كبيرة عليهم[٢].

صناعة الخيم[٣] والفسطاط، لقد عرف المصريين صناعة الخيم والفساطيط، وكانوا وبدعوا في صناعتها، وكانت تصنع من أنواع مختلفة من الأقمشة منها الديبقي، والخسرواني[٤]، والبهنساوي وغيره، وتكون بألوان وأشكال متعددة، ومطعمة بالسندس والطميم، وهي على أنواع منها المفيل، والمسبع، والمطوس[٥]، وغيرها من صور الوحوش، والطيور والآدميين[٦].

وكانت تصنع الخيام على أنواع منها ساذج (ساده) ليس عليها نقوش، وأنواع أخرى منقوش عليها بنقوش مختلفة بالذهب والفضة، والخيوط الحريرية، قال عنها المقريزي: " بغرائب النقوش " [٧]، أما آلاتها من الأعمدة و الحبال، فالأعمدة كانت ملبسة بأنابيب الفضة، والثياب المذهبة، وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها، والحبال مكسوة بالقطن والحرير، وكانت جميعها مبطنة بالديبقي، والخسرواني المذهب[٨]، وكانت هذه الخيام منها الكبيرة ومنها الصغيرة، ذكر القلقشندي في حديثة عن عن الخيام التي كان يستعملها سلاطين المماليك في أسفارهم بقوله: " ... تتخذ له الخيام العظيمة الشأن المختلفة المقادير والصنعة من القطن الشاميّ الملوّن بالأبيض والأحمر

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ٥١٦.

(٢) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٧٢.

(٣) الخيم: جمعها خيام، ويقال لها الفسطاط، والقبة ، وهي بيوت تتخذ من خرق القطن الغليض ونحوه وتحمل في الأسفار لوقاية الحر والبرد. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ١٤٦.

(٤) الخسرواني: نوع من القماش ينسب إلى خسرو شاه أحد ملوك الفرس، وكان يصنع في مصر على مثله ، سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٠.

(٥) المفيل: هو الذي نقشت علية صورة فيل. المسبع: هو الذي نقشت علية صورة سبع. المطوس: الذي رسمت علي صورة الطاووس. سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٠.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٣٠٧؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٠.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٣٠٧.

(٨) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٣٠٧؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٠٠.

والأزرق وغيرها، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يدهش بحسنه العقول: لينوب مناب قصورهم في الإقامة " [1].

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٨.

الفصل الثالث

التجارة الداخلية في عهد

أسرة قلاوون

أولاً: عوامل ازدهار التجارة في عهد أسرة قلاوون .

إن موقع مصر الجغرافي بين قارات العالم القديم، الثلاث أسيا وأفريقيا وأوروبا جعل من مصر نقطة التقاء تجارة الشرق مع الغرب، قال الكندي عن موقع مصر: "وجعلها الله تعالى متوسط الدنيا" (١) حيث يحدها من الشرق البحر الأحمر، ومن الشمال البحر المتوسط، وفي وسطها يجري نهر النيل الذي يربط بين جنوبها وشمالها.

كما أن كثرة خيرات مصر وتنوع محاصيلها ساعد على أن تكون سوقاً تجارياً لكثير من السلع والبضائع، ومما ساعد على نشاط التجارة فيها، سهولة الاتصال والسفر في داخل مصر عن طريق نهر النيل، الذي كان مجراه صالحاً للملاحة، فأصبح الطريق الرئيسي لنقل البضائع والمسافرين، لذا أولت الدولة اهتماماً بمجرى النيل، فقد كان " يخصص لإصلاح مجراه وجسوره مائة وعشرين ألف عامل مجهزين بالآلات اللازمة طيلة العام صيفاً وشتاءاً بلا انقطاع"(٢) حتى أصبحت مصر " بلد التجارات" كما ذكر المقدسي (٣).

واحتلت التجارة في عصر المماليك مكانة خاصة بوصفها المصدر الأول لثراء المماليك وقوة دولتهم، التي قامت في مصر والشام في منتصف القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، فقد تزامن مع قيام دولة المماليك أزدهار طريق البحر الأحمر وموانئ مصر، واضمحلال ما عداه من الطرق التجارية الرئيسية الأخرى بين الشرق والغرب، وذلك بسبب قيام حركة المغول التوسعية في الشرق والعراق، وامتداد نفوذهم إلى الشام وأسيا الصغرى، فضلاً عن بلاد فارس التي اتخذها هولاكو مركزاً لدولته، وبذلك توقفت التجارة على الطريق البري بين الصين من جهة وأسيا الصغرى وموانئ البحر الأسود من جهة أخرى(٤)، وهكذا كانت الفرصة مواتية للمماليك بأن يقوموا بدور الوسيط بين تجارة الشرق وتجارة الغرب، ولقيام مصر بدور حلقة وصل في المبادلات

---

(١) الكندي، عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) **فضائل مصر المحروسة**، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ص ٢٧، وسيشار إليه فيما بعد: الكندي، **فضائل مصر**.

(٢) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر**، ص ١٠٢؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١١٠.

(٣) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص ٢٠٣.

(٤) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٦ -٢٩٧؛ كاشف، سيدة إسماعيل، وآخرون، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، تاريخ مصر الإسلامي**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٤٢١ وسيشار إليه فيما بعد، كاشف **موسوعة مصر**؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣١٣ – ٣١٤. وسيشار إليه فيما بعد: عاشور، **الأيوبويون والمماليك**؛ فهمي،، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٢٥.

التجاريــة بــين الشــرق والغــرب يســتلزم أمــرين[١]: الأول تــأمين طــرق التجــارة داخــل مصــر حتــى تصــل البضــائع ســليمة مــن مــوانئ البحــر الأحمــر إلــى مــوانئ البحــر المتوســط، والثــاني، إغــراء تجــار الشــرق علــى جلــب بضــاعتهم إلــى مــوانئ مصــر المطلــة علــى البحــر الأحمــر، وكــذلك إغــراء التجــار الأوروبيــين علــى التــردد علــى الإســكندرية ودميــاط لشــراء حاصــلات الشرق .

وقــد اســتثمر ســلاطين المماليــك هــذه الفرصــة للســيطرة علــى التجــارة وقــد حــرص ســلاطين المماليــك، علــى تنشــيط التجــارة فــي البحــر الأحمــر والبحــر المتوســط، حيــث كــانوا شــديدين مــع مــن يعبــث بــأمن الطــرق التجاريــة، بــين النيــل والبحــر الأحمــر، وخاصــة قبائــل الأعــراب التــي تسكن تلــك المنــاطق، ومعتــادة علــى حيــاة الســلب والنهــب، حتــى الحجــاج لــم يســلموا مــنهم[٢]، روى المقريــزي: أنــة " وقعــت وقعــة فــي صــحراء عيــذاب بــين عــرب جهينــة ورفاعــة قتــل فيهــا جماعــة ... فكتــب السلطان قــلاوون إلــى صــاحب ســواكن بــأن يوفــق بينــهم ولا يعــين طائفــة علــى أخــرى خوفــاً علــى فســاد الطريــق"[٣]، كمــا كــان ســلاطين المماليــك يكلفــون بعــض القبائــل العربيــة لحمايــة الطــرق مــن اللصــوص وقطــاعي الطــرق حيــث ذكــر ابــن بطوطــة عــن مدينــة قطيــا[٤]: " وطريقهــا فــي ضــمان العــرب قــد وكلــوا بحفظــه فــإذا كــان الليــل مســحوا علــى الرمــل، لا يبقــى بــه أثــر ثــم يــأتي الأميــر صــباحاً ينظــر إلــى الرمــل فــإن وجــد بــه أثــراً طلــب العــرب بإحضــار مــؤثره، فيــذهبون فــي طلبــه فــلا يفــوتهم فيــأتون بــه الأمير فيعاقبه"[٥].

وعمــل ســلاطين المماليــك علــى ترغيــب التجــار الأجانــب، مــن قبــل نــوابهم فــي الثغــور، حيــث أرســل الســلطان قــلاوون إلــى نوابــه بــالثغور يــأمرهم بحســن معاملــة التجــار، واســتجلاب قلــوب التجــار واســتمالة خــواطرهم، ومعــاملتهم بــالرفق، حتــى يتواصــل التجــار وعمــر الثغــور، ومراعــاة العدالــة فيمــا يأخذونــه مــنهم، وإن لا يأخــذون مــنهم ســوى الحقــوق

(١) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٩؛ الصافي، محمد حسين (٢٠٠٨)، **العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر القرن ٨ هـ/ ١٤م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، اليمن، ص ١٣٢، وسيشار إليه فيما بعد: الصافي، **العلاقات التجارية**.

(٢) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٩.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ٣، ص ٧٠.

(٤) قطيا: قرية في طريق مصر في وسط الرمال قرب الفرعان على طريق الشام على مقربة من البحر المتوسط، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣٧٨؛ ابن بطوطة، **رحلة**، ج ١، ص ٢٣٢، هامش (٢٠١).

(٥) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ١، ص ٢٣٢.

السلطانية[1]، وقد أورد القلقشندي منشور من قبل السلطان قلاوون إلى التجار الذين يأتون إلى مصر من الصين، والهند والسند واليمن، والعراق وبلاد الشام يرحب بهم ويصف لهم محاسن مصر قال فيه: " ومن يؤثر الورود إلى ممالكنا إن أقام أو تردد... فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخيرة ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ذخيرة لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ومسلات لمن تغرب عن الوطن ... فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والهند والصين والسند وغيرها فليأخذ الأهمية في الارتحال إليها والقدوم عليها، ليجد الفعال في المقال أكبر، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه العهود بالأكثري" [2].

وكذلك أرسل السلطان قلاوون لناظر ثغر الإسكندرية يأمره فيها " معاملة التجار الواردين إليه بالعدل والرفق... فأنهم هدايا البحور ودواليه الثغور، ومن ألسنتهم يطلع على ما تجنه الصدور وإذا بذر لهم حب الإحسان نشروا أجنحة مراكبهم وحلموا عليه كالطيور"[3].

وتبين من هذه الوصايا، العناية والاهتمام الذي كان يوليه سلاطين المماليك، للتجار القادمين إلى الثغور المصرية.

وكان السلطان قلاوون لا يسمح بالإساءة للتجار أو مصادرتهم حتى من قبل كبار رجال دولته، فعندما ساءت سيرة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي[4] سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٧٧م، وكان وزيراً وزاد من تعسفه على التجار ومصادراته لهم، عزله السلطان قلاوون من منصبه[5].

---

(١) ابن فرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)، **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق قسطنطين زريف، المطبعة الأمير كافية، بيروت، ١٩٣٩م، ص ١٩٨؛ وسيشار إليه فيما بعد: ابن الفرات، **تاريخ**؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٩.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٣، ص ٣٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٤٠.

(٤) الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، تولى منصب شاد العمارة عهد السلطان قلاوون ثم الوزارة وهو أول وزير في **الدولة المملوكية** الأولى ، وعندما تولى الناصر محمد بن قلاوون الحكم اصبح مدبر المملكة ، وتقلبه في العديد من المناصب منها نيابة الشام ، قتل سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م على يد أحد مماليك كتبغا. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٨، ص ٤٨؛ النويري **نهاية الأرب**، ج٣١، ص ٢٧٣ وما بعدها.

(٥) الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، **دول الإسلام**، جزءان، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٢١١؛ وسيشار إليه فيما بعد: الذهبي، **دول الإسلام**؛ العمايرة، خالد محمد سالم، **موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٢٨٤. وسيشار إليه فيما بعد: العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**.

وسار السلطان الأشرف خليل بن قلاوون على نهج والده في تشجيع التجار للقدوم إلى مصر، ورعايتهم، فقد أصدر أماناً شريفاً لتجار البندقية، وجنوه، وبيزا، وتجار مدن الساحل الأوروبي، منحهم حق الدخول لمصر والتعامل مع تجارها[١].

كما اتبع سلاطين المماليك طرق عدة لتشجيع التجار للقدوم إلى مصر، منها المسامحات والإعفاءات الجمركية، فقد كانت تصدر بعض المسامحات عن السلاطين لبعض التجار لأهمية السلع التي كان يحضرونها لدولة المماليك، فكان يصدر لهؤلاء التجار المسامحة والإعفاءات عما كان عليهم من المكوس والرسوم الأخرى[٢].

ومن الأمثلة على المسامحات، المسامحة التي أوردها ابن عبد الظاهر سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م مصادرة من السلطان قلاوون إلى التاجر شمس الدين عثمان العجمي، حسب ما ذكر ابن عبد الظاهر : " كتب السلطان مسامحة لشمس الدين عثمان العجمي بما يجب عليه من زكاة وحقوق وديوانية على ما جملته ثمانية آلاف درهم يبتاع بها أصناف التجارة والبضايع صادراً سفرة واحدة لا غير"[٣].

كما أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون الإعفاءات لبعض التجار، فقد أورد المقريزي في سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م مرسوم أصدره السلطان الناصر محمد بن قلاوون للتاجر المجد السلامي، " فرتب له الرواتب السنية، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين ألف درهم في السنة، ومرسوم بمسامحة نصف المكس عن تجارته"[٤].

كما كان النواب في دولة المماليك يصدرون مسامحات للتجار الهدف منها ترغيبهم في القدوم إلى أراضي الدولة المملوكية مثال على ذلك ما أورده القلقشندي عن نائب الشام في الدولة المملوكية فرج الذي اصدر كتاب مسامحة للخواجة محمد بن المزلق، " .... بما يجب عليه من الحقوق الديوانية بالعراقات المصرية، وجميع البلاد الشامية المحروسة... مما يبيعه ويبتاعه وبتعوضه من جميع الأصناف فلا الممنوعات صادراً ووارداً"[٥].

---

(١) العمري، **مسالك الإبصار**، تحقيق دورثيا، ص ٤١؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٨٦.
(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٨٣ ص ٤٠٠٧٩؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٨٦.
(٣) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٧٥.
(٤) المقريزي **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ٢٤٦.
(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٣، ص ٤١- ٤٢.

ولم تقف أعمال سلاطين المماليك عند هذا الحد من تشجيع التجار ورعايتهم؛ بل عملوا على تهيئة جميع السبل لنشر الأمن والأمان في الموانئ، وعلى الطرق البرية المؤدية إليها، وتكليف بعض القبائل بحماية هذه الطرق [1]، كما عملوا على إقامة المنشآت التجارية، كالخانات والأرصفة، والحواصل (المخازن) في الموانئ وعلى طول الطرق التجارية والبرية المؤدية إلى الموانئ[2].

وحرص سلاطين المماليك على تنشيط التجارة مع التجار الإيطاليين والأوروبيين، وذلك عن طريق عقد المعاهدات التجارية معهم، فكانت هناك معاهدات وتبادل رسل وهداية مع بعض الممالك المسيحية في إسبانيا، حيث كانت هناك علاقات ومعاهدات مع إمارة أرغون، كما روى ابن عبد الظاهر:"... فعقد ملكها (أرغون) وملك صقلية معاهدة سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠، تعهدا فيها بمساعدة السلطان قلاوون ضد أية حرب يشنها عليه المسيحيون"[3].

ونتيجة حرص سلاطين مصر على تنشيط تجارة مصر، عقد سلاطين المماليك عدة معاهدات مع الجمهوريات الإيطالية، فقد عقد الظاهر بيبرس معاهدات تجارية مع جنوة، ومنح البنادقة عدة امتيازات سهلت عليهم سبل المتاجرة، وكانت لهم في الإسكندرية خانات، لتخزين تجارتهم، كما عقد السلطان قلاوون عدة اتفاقيات تجارية مع البندقية وجنوه وبيزا فأصبح لهذه الجمهوريات قناصل في الإسكندرية ودمياط ورشيد[4].

إن هذا التشجيع للتجار الأوربيين أدى إلى كثرة تواجدهم في مصر فذكر البلوى المغربي في رحلته " أنه رأى بمصر سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م أناساً كثيرين من مختلف الأجناس"[5].

ويتبين من هذا أن الاهتمام والتشجيع من قبل حكام مصر، كان له أثر كبير على قدوم الكثير من التجار الأوروبيين إلى مصر.

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ق ١، ص ١٠٩- ١١١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ١، ق ٢، ص ٢٩- ٣؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٨٨.

(٢) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٨٨.

(٣) ابن عبد الظاهر، **تشرين الأيام والعصور**، ص ٥٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٥١؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٩ – ٦٤؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٨٩.

(٥) **رحلة** البلوى المغربي، نقلاً عن عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣٠١.

وكـان للجاليـات التجاريـة الأوربيـة فنـادق خاصـة لهـا فـي الثغـور والمراكـز التجاريـة الكبـرى وخاصـة فـي الإسـكندرية، وقـد رتبـت هـذه الفنـادق بحيـث تكـون لكـل منهـا إدارة مستقلة، علـى رأسـها مـدير يـدير شـؤون الفنـدق[١]، وكـان الفنـدق فـي ذلـك العصـر يمثـل ذروة النشـاط التجـاري الوسـيط[٢]، ولـذا عنـى سـلاطين مصـر بالفنـادق، وقـد اتخـذت كـل جاليـة لنفسـها فنـدقاً أو أكثـر ينـزل فيـه أفرادهـا، فعنـد قـدوم التـاجر الأجنبـي إلـى الثغـر. تفـتش أمتعتـه بدقـة وعنايـة، ويـدفع(٢%) عـن قيمـة مـا معـه مـن ذهـب وعملـة نقديـة، ثـم يـذهب إلـى الفنـدق المخصص لجاليته، حيث توضع أمتعته وبضائعه[٣].

وقـد تمتـع التجـار الأوربيـون فـي داخـل الفنـدق بـبعض الامتيـازات، كاسـتعمال المـوازين والمكاييـل الخاصـة والمخبـز الخـاص والكنيسـة الخاصـة بداخلـه[٤] كمـا تمتـع بقسـط وافـر مـن الحريـة، إذ سـمحت لهـم السـلطات المصـرية بإحضـار الخمـور اللازمـة لهـم فـي سـفنهم وإنزالهـا إلـى فنـادقهم[٥]، ولـم تحـدد السـلطات المصـرية مـدة إقامـة التجـار والأجانـب فـي موانيهـا، حتـى أن بعـض التجـار ولـد وعـاش وعمـل بالتجـارة فـي الإسـكندرية وهـو مواطن لتلك الدولة التي يتبعها[٦].

وأصـبح للجاليـة الواحـدة أحيـاء خاصـة بهـا مثـل جاليـة البنادقـة كـان لهـم حـي فـي الإسـكندرية يحتـوي علـى وكـالتهم وفنـدقين وحمامـاً ومخبـزاً وكنيسـة، يحـتفظ فيـه التجـار بسـلعهم ويـدفعون عنهـا رسـوماً للحكومـة، وكـان هـذا النظـام منتشـراً فـي مصـر والشـام وإسـبانيا الإسـلامية وأسـيا الصـغرى وإيطاليـا[٧]، وقـد وهـب سـلاطين المماليـك هـذه الفنـادق للتجـار الأجانـب، ويحـق لهـم اسـتردادها متـى شـاء وفـق المعاهـدات التـي عقـدت بيـنهم[٨]، وهـذه الفنـادق تابعـة إلـى إدارة الجمـارك بـالموانئ، ويشـرف عليهـا موظـف يعـرف بالفنـداقي، ويكـون قنصـل الدولـة التـي رعاياهـا نـازلين فـي الفنـدق هـو المسـؤول عنـه، وكـذلك مسـؤول

---

(١) عاشور، **بحوث ودراسات في العصور الوسطى**، ص ١٣٨؛ عاشور، **عصر المماليك**، ص ٣٠١؛ لبيب، صبحي، **سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك**، المجلة التاريخية المصرية المجلدات الثامن والعشرون والتاسع والعشرون، ١٩٨١ – ١٩٨٢، ص ١٤٠. وسيشار إليه فيما بعد. لبيب، **سياسة مصر التجارية**.

(٢) لبيب، **سياسة مصر التجارية**، ص ١٣٩.

(٣) عاشور، **بحوث ودراسات في العصور الوسطى**، ص ١٣٨؛ **عصر المماليك**، ص ٢-٣.

(٤) لبيب، **سياسة مصر التجارية**، ص ١٤٠.

(٥) عاشور، **بحوث ودراسات في العصور الوسطى**، ص ١٣٩؛ **عصر المماليك**، ص٣٠٢.

(٦) لبيب، **سياسة مصر التجارية**، ص ١٤٠.

(٧) فهمي، **طرق التجارة الدولية**. ص ٢٨٧- ٢٨٨.

(٨) **المرجع نفسه**، ص ٢٨٨؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٠٧.

عـن تسـديد الرسـوم المفروضـة علـى التجـار للسـلطان، وكـان يرصـد قسـم مـن هـذه الرسـوم لإصلاح وصيانة المبنى [١].

وكانـت تعقـد فـي الفنـدق الصـفات التجاريـة، ولـم تكـن الفنـادق حصـر علـى جاليـة أجنبيـة واحـدة، وإنمـا كثيـر مـن الجاليـات كانـت لهـا فنـادق خاصـة بهـا خصوصـاً تلـك التـي كانـت رحلاتهـا منتظمـة [٢]، وكـان يمنـع الأجانـب داخـل الفنـدق مـن مغـادرة الفنـدق لـيلاً أو يـوم الجمعـة وقـت الصـلاة، وعنـد الليـل تغلـق أبـواب الفنـدق الخارجيـة ويحـذر الأجانـب مـن التـأخر أو الوصـول بعـد غلـق البوابـات وكـان سـبب ذلـك حفاظـاً علـى سـلامة التجـار وخوفـاً من تعديهم حدود التجار[٣].

ولـم تقتصـر الفنـادق علـى الإسـكندرية فقـط، إنمـا كانـت هنـاك فنـادق فـي مـدن أخـرى مثـل بيـروت، ودمشـق وطـرابلس وغيرهـا [٤]، وقـد توزعـت الفنـادق فـي الإسـكندرية كـالآتي، فنـدقان للبنادقـة، وفنـدق للجنـوبيين، والبيـزيين، وكـان للمـدن الفرنسـية فنـادق، حيـث كـان لمرسـيليا، ونـاربون، وراجـوزاً فنـادق خاصـة لكـل مدينـة، وكانـت الفنـادق تتكـون مـن أكثـر مـن طـابق، الطـابق الأرضـي عبـارة عـن متـاجر وحوانيـت تسـتخدم كمخـازن، والطبقـة العليـا عبـارة عـن حجـر مخصصـة للمنـام وإقامـة التجـار، ويحـيط بالفنـدق حديقـة يـزرع بهـا التجار أشجاراً من أوطانهم، لذلك كان الفندق وكأنه قطعة من الوطن الأم[٥].

ولـم يكـن فـي القـاهرة فنـادق للأجانـب الأوروبيـين، وإنمـا كـان هنـاك خانـات للسـياح والحجـاج المـارين بالقـاهرة، وكـذلك التجـار كـان لهـم خـان خـاص لمبيـتهم، ولكـن لـيس فنـدقاً بالمعنى المعروف بالإسكندرية يضعون به أمتعتهم وسلعهم [٦].

وأمـا الأجانـب مـن العـرب والشـرقيين فكانـت لهـم فنـادق فـي القـاهرة وهـي تشـبه الأسـواق حيـث كانـت تحـوي فـي الأسـفل علـى مخـازن يضـعون بضـاعتهم فيهـا، وفـي الأعلـى

---

(١) فهمي و**طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨٩؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٠٨، لبيب، **سياسة مصر التجارية، ص ١٤٠**

(٢) لبيب، **سياسة مصر التجارية**، ص ١٤٠؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨٩.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٩٠، ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٠٨.

(٤) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٠٨- ٢٠٩.

(٥) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨٩؛ ضومط **الدولة المملوكية**، ص ٢٠٧.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ٣- ١٦٧- ١٧٢؛ فييت، جاستون، **القاهرة ومدينة الفن والتجارة**، ترجمة مصطفى العبادي، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م. ص ١٩٦. وسيشار إلية فيما بعد: فييت، **القاهرة مدينة الفن.**

حجرات ينامون فيها[1]، ومن هذه الفنادق فندق طرنطاي[2]، وكان يرتاده تجار الزيت القادمين من الشام[3]، وفندق الملك سعيد [4]، بدار الرمان، ووكالة قوصون، وكان يرتادها التجار القادمين من بلاد الشام، وفندق مسرور الكبير، قال عنه المقريزي: " ... وقد أدركت فندق مسرور [5] الكبير في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجارتهم"[6].

ولم يكن استخدام الفنادق مقصوراً على التجار الغرباء، بل إن التجار المصريين وأصحاب رؤوس الأموال منهم كانوا يودعون في بعضها صناديق المال[7]، روي المقريزي عما راه بفندق بلال المغيثي[8]:" لقد كنت أدخل فيه فإذا بدائرة صناديق مصّطفى ما بين صغير وكبير، لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه، وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يحيل وصفه"[9].

ثانياً: الأسواق في مصر في عهد أسرة قلاوون:

تركت الأسواق أثرا إيجابياً على الجانب الاقتصادي في العصر الإسلامي حيث كانت مصدراً مهما لجلب التجارة إليها وسوق المبيعات نحوها[10]، أما في العصر المملوكي فقد كان السوق من العوامل التي تساعد على تنشيط التجارة، ودفع التجار من

---

(١) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٥؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٩٢.

(٢) طرنطاي: هو الأمير حسام الدين المنصوري، رباه السلطان المنصور قلاوون صغير، ورقاه في الخدمة إلى أن تقلد سلطنة مصر، فجعله نائب السلطنة بدل عز الدين أبيك الأفرم، سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م، واستمر في النيابة إلى أن مات السلطان قلاوون، وعندما جاء ابنه السلطان الأشرف خليل، قبض عليه وسجنه إلا أن مات سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م. المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٢٣٦.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٢.

(٤) ابن دقماق، **الانتصار**، ق١، ص ٤٠، فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٩٣.

(٥) مسرور: خادم من خدام القصر في قصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، اختصه السلطان صلاح الدين وقدمه على طبقته كلها، ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله، (ت ٦٩٢هـ - ١٢٩٣م)، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٤. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٦٨.

(٧) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٨.

(٨) حسام الدين بلال المغيثي، أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك، حبش الجنس، خدم عدد من الملوك، إلا أن استقر عند الملك الصالح علي بن السلطان قلاوون مات سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٩م المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٦٨.

(٩) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٦٨.

(١٠) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٢.

مختلف الجنسيات للإقبال على البلاد[١]، وقد بذل المماليك جهوداً كبيرة على ازدهار أسواقهم، فدعموا الأمن والاستقرار والحراسة في الأسواق، وعملوا على توسيع نطاق التجارة فيها لإمكان استقبال أكبر عدد ممكن من التجار الأجانب ومنح طوائفهم الامتيازات، وأبقوا على ما كان فيها من نظم تجارية اعتاد عليها التجار، ونتيجة لذلك امتلأت أسواق مصر بهؤلاء التجار الأجانب الذين تاجروا في ظل حكومة قوية وأسواق منظمة وموانئ آمنة[٢]، وقد وصف المقريزي الأسواق بقوله " وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جداً، وما يدل على كثرة عددها، وأن الذي خرب من الأسواق فيما بين أرض اللوق إلى باب البحر بالمقهى، اثنان وخمسون سوقاً " [٣].

يتبين من خلال ذلك أن هناك أعداد كثيرة من الأسواق في مصر والقاهرة، أدت إلى ازدهار التجارة في مصر في عصر المماليك، وقد كانت الأسواق في عصر المماليك على ثلاثة أنواع، سنوية وموسمية ومحلية[٤].

أما الأسواق السنوية، فكانت محلية وعالمية اشتهرت بها مدن وموانئ العصور الوسطى عامة في الشرق والغرب، وكانت تقام في مناسبات معينة، كالأعياد الدينية، وبما أن الأعياد الإسلامية لم تكن ثابتة بسبب خضوعها للتقويم الهجري، وبذلك يكون اختلاف بين قدوم الأوروبيين ورحليهم وانعقاد أسواقهم في اوربا مع الأعياد الدينية عند المسلمين، لذلك تطورت تلك الأسواق لتصبح نصف سنوية، أو ربع سنوية، أوفي أوقات شبه محددة [٥].

أما الأسواق الموسمية، فكانت تعقد في مواسم قدوم التوابل من الهند والصين إلى أسواق مصر والشام، وجده ومكة، وكانت تخضع لمواعيد هبوب الرياح الموسمية

---

(١) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١١؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨١.

(٢) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٧١.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ٧، ص ١٧٢.

(٤) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨١؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١١.

(٥) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٢؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨٤،

لذا لم تتغير مواعيد انعقادها من سنة إلى أخرى، وفي الوقت نفسه تصل السفن الأوربية من الغرب لحملها، وكانت تعقد في هذه الأسواق المزادات لبيع هذه السلع(١).

أما الأسواق المحلية، فهي أسواق دائميه واتخذ البعض منها صفة التخصص في نوع البضاعة التي تبيعها، وتنتشر في المدن المختلفة (٢).

أنواع الأسواق المحلية

ذكرنا سابقاً أن الأسواق المحلية ظهر فيها نوع من التخصص في بيع أنواع معينة من السلع، مثل أسواق المواد الغذائية وأسواق الملابس ومستلزماتها، وأسواق تجهيزات السفر، وغيرها، وسوف نورد الأسواق بحسب أصنافها وهي كما يأتي:

١. أسواق المواد الغذائية:

كانت هذه الأسواق منتشرة في جميع أنحاء البلاد، نتيجة لحاجة المجتمع اليومية لمثل هذه المواد، وكانت بعض أسواق المواد الغذائية تقام في مواقع العمل، حيث يبنى جسر على النيل أو تشق ترعة، أو يبنى مسجد أو مدرسة، وفي المناسبات ذات طابع الديني موالد الأولياء(٣)، ومن هذه الأسواق:

سوق باب الفتوح: يعود أنشاء هذا السوق إلى عهد الأيوبيين(٤)، وقد وصفه المقريزي بقوله: "،،، وليس هو من الأسواق القديمة، وإنما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية"(٥) ويمتاز هذا السوق بما على جانبيه من حوانيت القصابين والخضاريين والشرايحية وغيرهم، ويقصده الأهالي من أنحاء البلاد لشراء أنواع لحوم الضأن والمعز، وهو من أعظم أسواق القاهرة وأكثرها عمراناً(٦) .

---

(١) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١١؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٨٣.

(٢) فهمي **طرق التجارة الدولية**، ص٢٨١؛ قاسم، قاسم عبده، **أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٧، وسيشار إليه فيما بعد قاسم، **أسواق مصر**.

(٣) قاسم، **أسواق مصر**، ص ٨.

(٤) عاشور، **عصر المماليكي**، ص ٣٠٩؛ قاسم، **أسواق مصر** ، ص ٨؛ الضلاعين، مروان عاطف، **السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٦، عدد ٢، ٢٠١٢م، ص ٥٨، وسيشار غليه فيما بعد: الضلاعين، **السلع التجارية**.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٣.

(٦) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٣؛ سرور، دولة بن قلاوون، ص ٣٢٣؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ٨

سـوق حـارة برجـوان: وهـو مـن الأسـواق القديمـة فـي مصـر، كـان يعـرف أيـام الفـاطميين سـوق أميـر الجيـوش[١]، وقـد وصـفه المقريـزي بقولـه: " أدركـت سـوق حـارة برجـوان أعظـم أسـواق القـاهرة"[٢]، يكثـر فيـه بيـع لحـوم الضـأن والبقـر، وفيـه كثيـر مـن حوانيـت الزيـاتين والجبـانين، والخبـازين واللبـانين والطبـاخين والشـوايين والعطـارين والخضـريين، وكـان فيـه حـانوت، لا يبـاع فيـه إلا حـوائج المائـدة، وهـي: العقـل والكـرات والشـجار، والنعنـاع، وحـانوت لا يبـاع فيـه إلا الشـيرج والقطـن لاسـتعماله فـي القناديـل[٣] وكان فيه قبان توزن فيه الأمتعة والمال والبضائع[٤].

أمـا سـوق الـدجاجين: فكانـت تبـاع فيـه الطيـور والـدواجن حيـث كـان يبـاع بـه كميـات كبيـرة مـن الـدجاج والإوز، وكانـت تبـاع بـه طيـور الزينـة، والعصـافير[٥]، ذكـر المقريـزي: "،،، فيـه حـانوت فيـه العصـافير التـي يبتاعهـا ولـدان النـاس ليعتقوهـا، فيبـاع منهـا فـي كـل يـوم عـدد كبيـر جـداً، ويبـاع العصـفور منهـا بفلـس، ويخـدع الصـبي بـأن العصـفور يسـبح، فمـن أعتقـه دخـل الجنـة "[٦]، وفـي يـوم الجمعـة كانـت تـأتي للسـوق أنـواع مختلفـة مـن أصـناف الطيـور، مثـل القمـاري والهـزارات والشـحارير الببغـاء والسّـمّان، وكانـت تبـاع بمبـالغ كبير[٧]، " من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم"[٨].

أمـا سـوق بـين القصـرين فهـو مـن" أعظـم أسـواق الـدنيا فيمـا بلغنـا" كمـا يقـول المقريـزي [٩]، وكـان يضـم أصـناف المـأكولات مـن اللحـوم والحلويـات والفاكهـة وغيرهـا، وكانـت شـهرة سـوق بـين القصـرين كبيـرة قياسـاً مـع غيرهـا مـن الأسـواق، وذلـك لكثـرة النـاس الـذين يقـدمون عليـه لمـا يحتـوي عليـه مـن بضـائع سـببت الازدحـام [١٠]، وذكـر المقريـزي:

---

(١) عندما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر، وكانت الشدة الكبرى، بنى بحارة برجوان، دار المظفر، وأقام هذا السوق برأس الحارة. المقريزي **الخطط**، ج ٣، ص١٧٤

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٤.

(٣) المقريزي، **الخطط**،، ج ٣، ص ١٧٤، سرور،، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٤.

(٥) المقريزي، **الخطط**،، ج ٣، ص ١٧٥، قاسم، **أسواق مصر**، ص ٨.

(٦) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٥.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٥، سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٤.

(٨) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٧٥.

(٩) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٦.

(١٠) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٦، سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٤؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٣٠٩؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص٥٨.

لقد حدثني غير واحد ممن قدم مع قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي[(١)]، أنه لما قدموا من الكرك في سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين، وقال لي ابنه محب الدين محمد: أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زفة أو جنازة كبيرة تمر من هناك، فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال المارة مجتمعين للمرور من هنا؟ فقيل لي هذا دأب البلد دائماً " [(٢)].

سوق باب الزهومة: يعرف هذا السوق بهذا الاسم نسبة إلى أحد أبواب القصر في عصر الفاطميين، وهو من أكبر أسواق مصر فخامة، وموصوف بحسن ما يباع فيه من المأكولات وطيبها[(٣)]، أما الفواكه فكان لها سوق خاصة بها قرب باب زويلة عرف باسم دار التفاح[(٤)]، حيث كانت تنقل إليها ثمار بساتين مصر على اختلاف أصنافها، ومنها توزع إلى أسواق القاهرة[(٥)]، وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها، الفاكهة، قال عنها المقريزي: " ... تذكر رؤيتها وشم عرفها بالجنة لطيبها وحسن منظرها، وتألق الباعة في تنضيدها واحتفافها بالرياحين والأزهار" [(٦)].

سوق المتعيشين، من الأسواق التي كان يختص في بيع المواد الغذائية والمأكولات، وكان يؤمه الناس سواء في الليل أو النهار[(٧)].

سوق الحلاويين، يباع في هذا السوق المصنوعات السكرية، مثل الحلوى، وقد اكتسب اسمه منها، وكانت الحلاوة التي تصنع لها أشكال والوان متعددة، فقد كان يصنع من السكر على شكل خيول وسباع وقطط وغيرها، التي كانت تسمى العلاليق وهي لها معاليق ترفع بخيوط على الحوانيت، وكان لهذا السوق مواسم يزدهر فيها، في شهر

---

(١) ابو عيسى عماد الدين أحمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سالم الكركي ولد في كرك الشوبك، من أرض البلقان، سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١م كان والده قاضيا، وتتلمذ على يد العديد من الشيوخ، تولى قضاء الكرك بعد ابيه، ثم اصبح قاضي القضاة في الكرك، ودرس في عدد من المدارس الفقه الشافعي، وكان نزيها لا يرتشي، مات سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م في القدس. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، د. ط، ٤ أجزاء، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، د. م، ٢٠٠٢م، ج١، ص١٦٢ ، وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، **درر العقود**.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٦.

(٣) **المصدر نفسه**، ج ٣. ص ١٧٧؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٤.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق ١، ص ١٨٠؛ **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٠؛ وسرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٤؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص٣٠٩.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٠؛ **السلوك**، ج٢، ق٢، ص ٤٠٠؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ٩.

(٦) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٠.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ٢٢٧؛ الضلاعين **السلع التجارية**، ص٥٨؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ٩؛

رجب ونصف شعبان وعيد الفطر، ففي هذه المواسم كانت أسواق القاهرة والأقاليم تمتلئ بهذا الصنف من الحلوى، كما كانت تضم حوانيته الأواني وآلات النحاس الثقيلة الوزن، الرائعة الصنعة والتي لها قيمة(١).

سوق الشوايين: وهو أول سوق وضع بالقاهرة، وكان يعرف بسوق الشرايحيين، إلى أن سكن فيه عدد من بياعى الشواء في حدود سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م فأصبح يسمى بسوق الشوايين(٢).

سوق خان الرواسين، هو من أفضل أسواق القاهرة يضم حوالي عشرين حانوتاً مملوءة بأصناف المأكولات، وخاصة لحوم الرأس(٣).

٢ - أسواق الأقمشة والملابس:

كان في مصر أسواق خاصة بالأقمشة والملابس ولوازمها، وهي منتشرة في المدن المصرية، وتأتي بالمرتبة الثانية من الأهمية للناس بعد أسواق المواد الغذائية ومن هذه الأسواق:

سوق الخلعيين: يقع هذا السوق قرب باب زويلة الكبير عرف في زمن المقريزي بالزقيق تصغير زقاق، وكذلك عرف بسوق الخلعيين(٤)، وهو من أعمر أسواق القاهرة، لكثر ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة وغيرها، ويباع فيه الملابس المخيطة(٥).

سوق الحوائصين: وهو متصل بسوق الشرابشيين، وكان يباع فيه الحوائص، ففي عهد السلطان الناصر بن قلاوون كانوا يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ما هو مرصع بالجواهر(٦)، ذكر المقريزي "،،، وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصار أكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي يلبسها الصبيان، وصارت الآن من ملابس الأجناد"(٧)،

---

(١) **المقريزي، الخطط**، ج ٣، ص ١٨١؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢٠؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٠؛.

(٢) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨١؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٠؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢١.

(٣) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨١؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١١٧.

(٤) الخلعيين مفردها خلعي، هو الذي يبيع الملابس المستعملة، المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٨.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٨؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٥٩.

(٦) **المصدر نفسه** ج٢، ص ١٨٠؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢٠.

(٧) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨١.

سوق الشرابشين: يباع في هذا السوق الخلع التي يلبسها السلطان والوزراء والقضاة، و سمي سوق الشرابشين لأنه إذا أمَّرَ السلطان أحداً من الأتراك ألبسة، الشربرش[١]، فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة إلى الشرابشين المذكور[٢]، وكان في ذلك السوق عدة تجار لشراء الخلع والتشاريف وبيعها لديوان الخاص السلطاني والأمراء، وينال من ذلك أرباح كثيرة[٣].

سويقة أمير الجيوش: تقع هذه السويقة بين حارة برجوانه، وحارة بهاء الدين، وكانت تعرف بسوق المزوقين، ثم عرفت في زمن المقريزي بسويقه أمير الجيوش[٤]، وهذه السويقة من أكبر أسواق القاهرة بها عدد من الحوانيت، للخياطين والفرايين، والرسامين والحياكين، ويباع في هذه السويقة الثياب المخيطة والأمتعة من الفرش وغيرها[٥].

سوق الجملون الصغير: عرف هذا السوق بأكثر من اسم فقد عرف باسم الأمراء الفرشيين، ثم بالجملون الصغير، ويحملون ابن صيرم [٦]، قال المقريزي عنه: " أدركت هذا الجملون معمور الجانبين من أوّله إلى آخره بالحوانيت"[٧]، وكان فيه البزازين الذين يبيعون الثياب من الكتان والقطن، وفيه عدد من الخياطين، ومن البابية المعدين لغسل الثياب وصقالها[٨].

سوق الأبارين: وهو سوق مخصص لبيع أبر الخياطة، ولوازم الحياكة[٩].

سوق الجوخيين، يباع في هذا السوق الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج، لصنع المقاعد والستائر وثياب السروج وغواسيها[١٠]، قال عنه المقريزي: " وأدركت الناس

---

(١) الشربوش، هو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يوضع على الرأس بغير عمامة. المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٠، قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٠.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٠.

(٣) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨١؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٠؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١١٩.

(٤) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨٣؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢١.

(٦) ابن صيرم، هو الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم، أحد الأمراء في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٤.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٤.

(٨) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٨٤؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢١.

(٩) قاسم، **أسواق مصر**، ص ١١، الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٥٩.

(١٠) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٩؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٥٩؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١١٩.

وقلما تجد فيهم من يلبس الجوخ وإنما يكون من جملة ثياب الأكابر، جوخ لا يلبسها إلا في يوم المطر... فلما غلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر إلى ترك أشياء مما كانوا فيه من الترف، وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الأمير والوزير والقاضي ومن دونهم لباسهم الجوخ"[١].

يظهر من ذلك حدوث تغير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر، فقد كان الناس في بداية الأمر يترفعون عن لبس الجوخ ، ولكن بعد تدهور الأوضاع الاقتصادية وحصول الغلاء الذي شمل الثياب أصبح معظم الناس يرتدون الملابس المصنوعة من الجوخ ، فازدهر سوق الجوخيين.

٣- الأسواق الخاصة بلوازم الجنود :

انتشرت الأسواق في عصر الدولة المملوكية التي تختص بلوازم الجنود من أسلحة ومعدات الركوب وغيرها، ومن هذه الأسواق:

سوق السلاح: أنشئ بعد زوال الدولة الفاطمية بين القصرين ويباع فيه القسي وآلات الحرب من النشاب والزرديات وغيرها، وعند بابه من الجانبين حوانيت يجلس فيها الصيارف، وفي وقت العصر من كل يوم كان يجلس أصحاب المقاعد[٢] في الجهة المواجهة لحوانيت الصيارف لبيع أنواع مختلفة من المأكولات[٣].

سوق المهامزيين: أنشئ هذا السوق في العصر الأيوبي وكان يباع فيه المهاميز، وقد وصفه المقريزي بقوله: " ،،، أدركت الناس وهم يتخذون المهماز كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص، ومن الفضة الخالصة، ولا يترك ذلك إلا من يتورع ويتدين،،، وقد اضطر الناس إلى ترك هذا فقل من بقي سقط مهمازه فضة، ولا يكاد يوجد، اليوم مهماز من ذهب"[٤]، وكان يباع في هذا السوق البدلات الفضية التي كانت تغطس جسم الخيل، والسلاسل الفضة، ويوجد فيه الدوي والطرق التي تكون فيها الفضة والذهب[٥].

---

(١) المقريزي، **الخطط** ، ج ٣، ص ١٧٩.

(٢) أصحاب المقاعد: هم الباعة الذين ليس لهم حوانيت ويجلسون على الأرض بأطباق الخبز وأصناف المعايش، المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٣.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٦، سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٤، المبارك، **الناصر محمد**، ص١١٩.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٧؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١١.

وفي ما تقدم من نص المقريزي يتبين أن الدولة المملوكية كانت تعاني من أزمات وتقلبات اقتصادية أدت في وقتها إلى تدهور الوضع الاقتصادي في البلد بشكل عام، وهذا بدوره كان له الأثر الواضح على الأسواق بشكل خاص، ومما يؤكد ذلك أن استخدام الذهب والفضة كان يكثر في بداية العهد المملوكي، ثم بتقدم الزمن قل استخدام الذهب والفضة، وفي نهاية العصر، فقد من الأسواق.

سوق اللجميين: وهو السوق الذي تباع فيه أدوات اللجم وغيرها من لوازم الدواب الجلدية، ويحتوي على عدد من الطلائين، وصناع الكفت الذين كانوا يطعّمون اللجم بالذهب أو الفضة، وكان يصنع فيه السروج ومستلزماته[١].

٤- أسواق لوازم السفر:

كان في القاهرة في عصر المماليك أسواق خاصة لبيع لوازم السفر، ومن هذه الأسواق:

سوق المرحلين: وهو سوق خاص، يباع فيه، لوازم السفر، وكان سوقاً ضخماً يزدهر في مواسم الحج، قال عنه المقريزي: "... معمور الجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج إليه يقصد من سائر إقليم مصر، خصوصاً في موسم الحج" ، وعن ضخامة هذا السوق وكثرة ما فيه من مستلزمات السفر ذكر المقريزي"... فلو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل وأكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه"[٢].

وهذا يدل على كبر هذا السوق وكثرة ما يحتويه من بضائع، وهذا يدل بدوره على الازدهار الاقتصادي الذي كان تتمتع به مصر تلك الفترة.

سوق المحايريين: يحتوي هذا السوق على عدة حوانيت لعمل المحاير التي يسافر فيها إلى الحجاز وغيره، وفيما بعد نشأ سوقان آخران لبيع المحاير أحدهما بسوق جامع أحمد بن طولون، والثاني بسوق الخيميين[٣]، وأهل هذا السوق كانوا لا يراعون بائعاً ولا مشترياً، ذكر المقريزي: " بلغني عن شيخ كان بهذا السوق أنه أوصى بعض صبيانه فقال له: يا بنيّ لا تراع أحدا في بيع، فإنه لا يحتاج إليك إلّا مرّة في عمره، فخذ

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٧؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص١١٩؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص٦٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٧٣.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٤؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٢؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢٢.

عدلك في ثمن المحارة، فإنك لا تخشى من عوده مرّة أخرى إليك، وسوف إذا عاد من سفره إما إلى الحجاز أو القدس فإنه يحتاج إلى بيعها، فتراقد عليه في ثمنها واشترها بالرخيص "[١].

٥- أسواق متعددة الأغراض:

إضافة إلى الأسواق التي ذكرناها سابقاً، فقد كانت هناك أسواق عديدة، تباع فيها ما يحتاجه الناس في الحياة اليومية، ومن هذه الأسواق.

سوق الصنادقيين، يقع هذا السوق أمام المدرسة السيوفية ويباع فيه الصناديق والخزائن والأسرة التي تعمل من الخشب، والتي كان المصريون يستخدمونها في منازلهم [٢].

سوق العنبريين: أنشأه السلطان قلاوون مكان سجن حبس المعونة، وفاء لنذر كان قد قطعة على نفسه، وكان للعنبر في الديار المصرية طلباً، وللناس فيه رغبة وخاصة عند النساء[٣] " ولا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وإن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر"[٤]، ولما وصل السلطان الناصر محمد إلى الحكم جعل هذا السوق وما فوقه من المساكن وقفاً للجامع الجديد الناصري، الذي بناه بظاهر مصر[٥].

سوق الشماعين: هو من الأسواق القديمة في مصر، أنشئ أيام الدولة الفاطمية وكان يعرف في ذلك الوقت باسم سوق القماحين، وكان يزدهر هذا السوق في شهر رمضان لكثر ما يشترى من الشموع[٦]، قال عنه المقريزي: " أدركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات، ولا تزال حوانيته مفتحة إلى نصف الليل"[٧].

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٤.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٥؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٦٠ ؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٢

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٦؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٣.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٦.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٦؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢٢، الضلاعين، **السلع التجارية**، ص٦٠.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٦؛ سرور؛ **دولة بني قلاوون**، ص ٣٢٤.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٦.

سوق الخراطين: كان يسمى سابقاً بعقبه الصباغين، ثم عرف بسوق القشاشين، وفي زمن المقريزي عرف بسوق الخراطين، وكان سوقاً كبيراً معمور الجانبين بالحوانيت التي تباع فيه مهد الأطفال، وأيضاً فيه حوانيت الخراطين وحوانيت لصناع السكاكين وصناع الدوى(١).

فضلاً عن الأسواق السابق ذكرها فقد كانت في مصر أسواق مخصصة لبيع الحيوانات مثل الخيل والبغال والحمير والأغنام(٢)، مثل سوق منية الأمراء الذي يقام كل يوم أحد، يباع فيه البقر والغنم والغلال (٣).

على الرغم من وجود أسواق متخصصة فقد انتشرت في مصر الأسواق الجامعة لكل أنواع البضائع، فقد ذكر المقريزي: " إن القصبة هي أعظم أسواق مصر... وهي عامرة الحوانيت خاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة، تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العاد عن إحصاء ما فيها من الأنواع، فضلاً عن إحصاء ما فيها من الأشخاص"(٤)، ومثل ذلك سوق حارة برجوان، حيث كان سكان هذه المنطقة يستغنون بهذا السوق عن الخروج من الحارة، لما فيه من أنواع مختلفة من البضائع، ومثل ذلك يقال عن سوق باب الفتوح(٥).

كما أن الأسواق لم تكن كلّ اسمائها مشتقة من نوع النشاط الذي يمارس في السوق، بل توجد في المصادر إشارات لبعض الأسواق التي اتخذت أسمائها من المكان الذي أقيمت فيه(٦) مثل سوق جامع بن طولون، وسوق باب الفتوح، وسوق حارة برجوان(٧)، وسوق الخانكاه(٨).

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٧؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٢٢.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، ق ١، ص ١٥؛ المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ق ٣، ص ٦٧١.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ١٧٢.

(٥) قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٥.

(٦) قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٦.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٣.

(٨) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ص ٢٢٣.

وكان لبعض الأسواق أسماء مشتقة من أسماء الجماعات التي سكنت مصر مثل، سويقة العراقيين، وسويقة المغاربه، وسويقة اليهود[١]، وحملت بعض أسماء الأسواق أسماء أشخاص، مثل سويقه معتوق، وسويقة ابن العجمية، وسوق وردان[٢].

وكان هناك نوع آخر من أنواع الأسواق والتي كانت تقام بصفة مؤقتة، في مواقع تجمع الناس، في المناسبات أو في مواقع العمل من أجل بناء جسر على نهر أو شق ترعة أو بناء مدرسة أو جامع، مثل هذه الأسواق ما ذكره المقريزي في حوادث سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م عند إنشاء جسر بولاق منية - الشيرج، قال: " ... ووزع بالأقصاب على الأمراء فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل، ونصبت لهم الأسواق حتى كمل الجسر في عشرين يوماً"[٣].

كما عرفت أسواق مصر في عصر المماليك الباعة المتجولين الذين كانوا يفترشون أرض السوق ببضاعتهم، وكانوا معروفين باسم أرباب المقاعد، وكانوا يبيعون مختلف البضائع من المأكل والمشرب والخواتم والأساور، وزينة النساء وغيرها[٤].

كما كان هناك الطهاة المتجولون الذين انتشروا في القاهرة وتخصصوا في هذا النوع من العمل، وكان عددهم كبير، يتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف طاه يتجولون من شوارع المدينة، يحملون على رؤوسهم أفراناً موقده عليها أوعية ساخنة أو لحم يشوى على السفود[٥].

وتعد القيساريات من الأسواق المتخصصة في بيع سلع محددة، وهي تكون على شكل مجمعات تجارية تحوي عدة حوانيت تبيع سلعاً متماثلة، ولها باب يغلق ليلاً ولها عريف يشرف على إداراتها وإسكان التجار فيها، وحارس يقوم بحراستها، ويتولى فتح أبوابها في الصباح، وإغلاقها في الليل[٦]، وكانت هذه القيساربات تظم عدد كبير من الحوانيت يصل عدد البعض مقهى إلى ثلاثين حانوتاً، مثل قيسارية، الجامع الطولوني[٧]

---

(١) ابن دقماق، **الانتصار**، ق ١، ص ٣٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ق ١، ص ٣٢- ٣٤

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ٢٥١.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٣، قاسم، **أسواق مصر**، ص ١٨.

(٥) فييت، **القاهرة مدينة الفن**، ص ١٥٣- ١٥٤.

(٦) الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٦١.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٦٦.

وللقيساريات أكثر من باب يصل أحياناً إلى ستة أبواب، حيث أن قيسارية الصيانة وهي من أوقاف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري كان لها خمسة أبواب[١]، وقيسارية المحلة قال عنها ابن دقماق: " تشمل على ستة أبواب، وكان ينزل فيها أيام أسواق القاهرة تجار القاهرة للبيع والشراء بها"[٢].

وكان في وسط بعض القيساريات نوافير للمياه لأغراض الوضوء، كما كان يعلوها رباع فيها عدة مساكن، ينزل فيها التجار[٣] ومن المنشآت التجارية الأخرى الخان، الذي يعتبر من أكبر المؤسسات التجارية الداخلية والخارجية، وكان رجال الأعمال والتجار والأمراء المماليك يتسابقون في بناء المنازل والقصور الفخمة ويحولونها إلى خانات ووكالات وقياسر، ويقومون بتأجيرها بأسعار خيالية، ويوجد في داخل الخان مسجد صغير، وخزينة، والخان عبارة عن حي قائم بذاته، ويتكون الخان أحياناً من ثلاث طبقات[٤]، في الطابق الأرضي توجد المخازن والحوانيت، وفي الطابق العلوي غرف للنوم[٥] .

الحسبة ومراقبة الأسواق،

الحسبة[٦]، هي من الوظائف الجليلة في العصر الإسلامي، وتأتي في المرتبة الخامسة بين الوظائف الدينية الرسمية في دولة المماليك[٧]، وهذه الوظيفة كانت معروفة منذ عهد الرسول ﷺ وكان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم[٨]، وقد وضع الفقهاء

---

(١) ابن دقماق، **الانتصار**، ق ١، ص ٣٨.

(٢) **المصدر نفسه**، ق ١، ص ٣٧.

(٣) الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٦٢.

(٤) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٩٣؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٣٠.

(٥) فبيت، **القاهرة مدينة الفن**، ص ١٩٧.

(٦) الحسبة: لغة المصدر من احتسب يحتسب احتساباً وحسية، وهي الإنكار والتدبير، واصطلاحاً: هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١، ص ٣١٠ (مادة حسب)؛ الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ٣٠٥؛ الفراء، أبي يعلى محمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، **الأحكام السلطانية**، صحة وعلق عليه محمد حامد الفقي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٤، وسيشار إليه فيما بعد: الفراء، **الأحكام السلطانية؛** الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ج١، ص ٥٤؛ مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، د. ط جزءان، دار الدعوة، د.م، د. س، ج ١، ص ١٧١، وسيشار إليه فيما بعد: مصطفى، **المعجم الوسيط**.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٣٨ .

(٨) ابن الأخوة، محمد بن أحمد بن إلى زيد (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨م)، **معالم القربة في طلب الحسبة**، د، ط، دار الفنون، كمبردج، د. س، ص٦ ، وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأخوة، **معالم القربة**؛ الماوري **الأحكام السلطانية**، ص ٣٣٨.

شـروط يجـب أن تتـوفر بالمحتسـب حتـى يتـولى هـذا المنصـب وهـي: أن يكـون مسـلماً حـراً بالغـاً عـاقلاً عـدلاً قـادراً[١]، وأول مـن قـام بهـذا العمـل الخليفـة عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنه وفي أيام الفاطميين كانوا يضيفونها إلى الشرطة [٢].

أمـا فـي عصـر المماليـك فقـد كانـت هنـاك ثـلاث مناصـب للحسـبة، حسـبة القـاهرة، وحسـبة الفسـطاط، وحسـبة الإسـكندرية، وكـان محتسـب القـاهرة أعلـى الثلاثـة قـدراً، إذ كـان يحضـر المواكـب السـلطانية، وكـان يشـمل نفـوذه القـاهرة والوجـه البحـري، مـا عـدا الإسـكندرية، التـي لهـا محتسـب خـاص بهـا، ومحتسـب الفسـطاط أقـل مرتبـة عـن محتسـب القـاهرة، وهـو يشـرف علـى الفسـطاط وكـل بـلاد الوجـه القبلـي، ويعـين المحتسـب نوابـاً عنـه بالقـاهرة ومصـر وجميـع الأعمـال[٣]، وكـان فـي بعـض الأحيـان يجمـع بـين حسـبة القـاهرة وحسبة الفسطاط[٤].

وكـان المحتسـب مسـؤولاً عـن جميـع النـواحي الصـحية والأسـعار فـي الأسـواق، والكشـف عـن الغـش والسـرقة فـي المـوازين والمكاييـل وغيرهـا، حيـث يقـوم المحتسـب بـالطواف علـى السـوق لـيلاً ونهـار، وكـان لـه مسـاعدين، فـي عملـه، يطوفـون علـى أربـاب الحـرف لمراقبـة الأسـعار وصـلاحية البضـائع التـي تعـرض فـي الأسـواق خصوصـاً الأطعمـة، ومراقبـة المـوازين والمكاييـل إلـى جانـب مراعـاة الآداب العامـة فـي الطرقـات[٥]، وكـان أعـوان المحتسـب يقومـون بحمـلات تفتيشـيه للكشـف عـن نظافـة القـدور والأوانـي التـي تبـاع فيهـا الأطعمـة، ومراعـاة عـدم غـش البضـائع ومصـادرة وإعـدام البضـائع الفاسـدة[٦]، ففـي سـنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م ضـبط أحـد البوارديـة[٧] وعنـده فـي مخزنـه مـن فـراخ الحمـام والزرازيـر المملوحـة كميـات كبيـرة قـد فسـدت وتغيـرت ألوانهـا، فأدبـة المحتسـب وشـهرة،

---

(١) ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٧؛ الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ٣١٦.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**؛ ج ٥، ص ٤٢٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج ٤، ص ٣٨، الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٨٧؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ٢٥- ٢٦.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج ٤، ق ٢، ص ٥٦٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٤، ص ١٧١.

(٥) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣٠٩، المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٤٠.

(٦) قاسم، **أسواق مصر**، ص ٢٦؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٤٢.

(٧) كان يعرف التجار الذين يتاجرون بالفراخ المملوحة ، التي تعرف اليوم بالمجمدة، بالبواردية. قاسم، **أسواق مصر**، ص ٢٦.

كما أعدمت الكمية المضبوطة[١]، هذا يدل على أن الرقابة الصحية كانت أحد مهام المحتسب.

وكان على المحتسب أن يقوم بضبط الأسعار والحد من ارتفاعها، والعمل على تسعير السلع وقت الحاجة، والإشراف على حركة الأسواق، ففي سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م حدثت أزمة اقتصادية، أدت إلى ارتفاع أسعار الغلال، فوقفت أحوال الناس واختفى الخبز، فختم المحتسب على شؤون الأمراء، وأخرج لهم حاجتهم من القمح، وأمر بأن يباع القمح في حضوره من الشؤون بالسعر الذي حدده، وكان يركب يومياً إلى إحدى الشؤون ويبيع منها إلى الطحانين، وعندما بلغة أن بعض سماسرة الأمراء، باعوا بأعلى من السعر المحدد، ضربهم بالمقارع وأيده بذلك السلطان، " فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء أن يفتح شونته إلا بأمر المحتسب"[٢].

ويتبين من هذا أن المحتسب كان له دور في تحديد الأسعار في وقت الأزمات، وكذلك التعرف على المدى الذي كان يمكن أن تصل إليه سلطته في ظل السلاطين الأقوياء.

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية كسلطة قاضي القضاة، وإن كانت العقوبات التي يفرضها لا تبلغ عقوبات الحدود، وكانت العقوبات مختلف بحسب الذنب، وكان المحتسب يعقد محاكماته في الجامع، أو في مكان معروف اسمه الدكة[٣].

وكذلك من واجبات المحتسب مراقبة الموازين والمكاييل، حيث كان المحتسب يطلب من جميع الباعة الحضور إلى دار العيار[٤]، بموازينهم ومكاييلهم وصنجهم وتحريرها بواسطة المحتسب، وكانت الموازين أو الأكيال غير المضبوطة تصادر ويلزم صاحبها بشراء غيرها من دار العيار [٥]، وعلى المحتسب أيضاً تتبع الطرقات والمنع من المضايقة فيها، ومراقبة حركة النقل وإلزام رؤساء المراكب أن لا يحملوا في

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٧؛ **السلوك**، ج ٢، ق ٣، ص ٦١٣.

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ق ٢، ص ٣٩٤ – ٣٩٦؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ٢٧.

(٣) ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ١٨٤؛ ماجد، **نظم دولة المماليك**، ص ١٢٥،

(٤) دار العيار: هي الدار التي كانت الموازين والصنج والأكيال تضبط فيها، وكان ينفق عليها من الديوان السلطاني، ولم يكن مسموح بأن تباع الموازين والأكيال المستخدمة في الأسواق إلا في هذه الدار. المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٣٨٨؛ ماجد، **نظم دولة المماليك**، ص ١٢٧.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ٣٨٩؛ قاسم، **أسواق مصر**، ص ٢٦.

مـراكبهم إلا القـدر الـذي يضـمن سـلامة المركـب والبضـاعة وكـذلك منـع الحمـالين مـن أن يحملوا على البهائم أكثر من طاقتها[١].

وكـان المحتسـب يسـتعين فـي عملـه علـى خبـراء يختـارهم مـن بـين أربـاب الصـناعات والتجـارة، وهـم الـذين أطلـق علـيهم العرفـاء، أو عرفـاء الأسـواق، وقـد أضـيفت الحسـبة أحياناً بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما[٢].

ثالثا: موارد الدولة المالية:

تعتبـر المـوارد الماليـة مـن أهـم الركـائز التـي تقـوم عليهـا الدولـة ولهـذا ازدادت عنايـة الدولـة بهـا، وعملـت علـى تنويعهـا والإكثـار منهـا، وقـد قسـمت مـوارد دولـة المماليـك الماليـة إلـى قسـمين همـا: المـال الخراجـي[٣]، والمـال الهلالـي[٤]، وعـرف المـال الهلالـي باسـم المكـوس منـذ الدولـة الفاطميـة[٥]، ومـن المكـوس مـا كـان يؤخـذ مـن الثغـور البحريـة والنهريـة علـى المتـاجر الواصـلة مـن الخـارج، ومـا كـان منفـرداً فـي القـاهرة والفسـطاط علـى مختلـف المحصـولات والمصـنوعات والأمـاكن مثـل مكـس القوافـل ومكـس البهـار، ومكـس فندق القطن ونجيزها[٦] .

وكـذلك قسـمت مـوارد ماليـة مصـر فـي عصـر الدولـة المملوكيـة إلـى قسـمين آخـرين همـا: مـوارد شـرعية، ومـوارد غيـر شـرعية[٧]، وكانـت المـوارد الشـرعية تتمثـل فـي عـدة ضـرائب منهـا: الزكـاة، وضـريبة الأرض أو الخـراج، والجـوالي، والمواريـث الحشـرية، وما يتحصل من دار ضرب النقود بالقاهرة، والمعادن المستخرجة من أرض مصر[٨].

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ٣٨٨؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٨٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٣٨٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٣٨؛ ماجد، **نظم دولة المماليك**، ص ١٢٨؛ الضلاعين، **السلع التجارية**، ص ٨٧.

(٣) المال الخراجي، المال الذي يؤخذ مسابقة من الأراضي التي تزرع حبوباً ونخلاً وعنباً وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وغيرها، المقريزي **الخطط**، ج ١، ١٩٤.

(٤) المقريـزي، **الخطـط**، ج ١، ص ١٩٤، الهلالـي: هـو مـا يتـأدى مشـاهدة كـأجر الأمـلاك المسـقفة مـن الآدر والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين وغيرها، المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٠.

(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٩؛ المقريـزي، تقـي الـدين أحمـد بـن علـي، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، **الذهب المسبول في ذكرى من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق جمال الدين الشبال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م، ص ١١٨، هامش (٥) وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، **الذهب المسبول**.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٤ – ٢٠٠؛ المقريزي، **الذهب المسبول**، ص ١١٨، هامش (٥)؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٦ – ٥٣٩.

(٧) إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٥٥؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١٠.

(٨) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١٠- ٣١٣؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٥٦- ١٨٤، ١٨٦.

أما الموارد المالية غير الشرعية، فيقصد بها المكوس [١] التي فرضتها الدولة على مختلف الأنشطة الزراعية، والصناعية، والتجارية، ولم يكن هناك سند شرعي لها، ولم يكن جميع المكوس المفروضة في عصر المماليك من ابتكارهم، بل كان بعضها موروثاً عن العصور التي سبقتهم وبخاصة العصرين الفاطمي والأيوبي[٢].

الموارد الشرعية:

١. الزكاة[٣]: في الشرع من وجبت عليه الزكاة كان مخيراً بين أن يدفعها إلى الإمام أو يفرقها بنفسه[٤]، وفي عصر الدولة المملوكية، كانت الدولة تأخذها، وكانت تسمى زكاة الدولة، إلا أن أبطلها السلطان قلاوون[٥]، ذكر المقريزي؛ " ولما ملك المنصور قلاوون مملكة مصر أبطل زكاة الدولة" [٦] فصار مؤدين الزكاة يفرقونها بأنفسهم. ولم يبقى للدولة ما يؤخذ منه زكاة إلا شيئان: زكاة التجارة، وزكاة العدد[٧].

أما زكاة التجارة: فكانت تؤخذ من التجار على ما يجلبونه للبلاد من ذهب وفضة، فكان يؤخذ على كل مائتي درهم درهم، كما كان يأخذ من متاجر الكارم، ما مضى عليه سنة[٨]، كما ذكر القلقشندي زكاة العدد من ضمن الأموال الشرعية، وكانت تؤخذ من مواش أهل برقة من الغنم والإبل عند وصولها إلى البحيره من أجل الرعي، وكان يقتطع لبعض الأمراء[٩].

٢. الخراج: هو الضريبة السنوية التي يحيى على الأرض المزروعة[١٠] وفي مصر يختلف قيمة الخراج باختلاف الأرض، ونوع المحصول، ذكر ابن مماتي أن الباق وهي أفضل أنواع الأراضي ويزرع فيها القمح فكان يؤخذ عن كل فدان ثلاثة أرادب [١١]، هذا في العصر الأيوبي، وفي عصر المماليك كذلك، وكان لوفاء النيل كذلك

---

(١) والمكس: الضريبية التي يأخذها الماكس، وأصله الجباية، هذا في اللغة، أما اصطلاحاً، فهي ضريبة غير شرعية نفرض على كل ما يباع ويشترى. ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٦، ص ٢٢١، باب الميم؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٨٦.

(٢) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١٣، إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٨٦.

(٣) الزكاة: البركة والنماء والطهارة، وصفوة الشيء، وفي الشرع: حصة من المال ونحوه يوجب الشرع دفعها للفقراء، ونحوهم بشروط خاصة، مصطفى، **المعجم الوسيط**، ج ١، ص ٣٩٧.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٢٩؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١٠.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٩؛ ماجد، **نظم دولة المماليك**، ص ٧٦.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٩.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٢٩؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٦٢؛ عاشور، **العصر المملوكي**. ص ٣١٠.

(٨) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ٥٢٩؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١٠؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٦٢.

(٩) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ٥٢٩.

(١٠) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ١٨١؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٥٦.

(١١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٥٩.

تـأثير علـى الخـراج، فعنـدما لـم يـوفي النيـل تعفـى الأرض مـن الخـراج، حيـث كـان الحـد المطلــوب للزراعــة فــي بدايــة العصــر المملــوكي ســتة عشــر ذراعــاً، وتــزرع معظــم الأراضـي، أمـا إذا زاد عنـه فتـروى جميـع الأراضـي[1]، وجـرى العـرف علـى أن الخـراج يستحق إذا بلغ مقياس النيل ستة عشر ذراعاً وتسمى ماء السلطان[2].

وقد قسم النويري[3] الخراج في عصر المماليك إلى نوعين:

أ. خـراج الزراعـة: هـو مقـدار معـين مـن المـال أو الغلـة، فـرض مـن قبـل الدولـة علـى الأرض الزراعيـــة ومحاصـــيلها، وكـــان يؤخـــذ مـــن بعـــض الأراضـــي مثـــل أرض الجزيـرة[4] علـى شـكل غلـة، وكـان مقـدارها يتـراوح بـين ثـلاث أرادب إلـى سـدس الأردب حسـب نـوع الأرض، ومـن بعـض يؤخـذ بالـدراهم ومقـدارها يتـراوح بـين أربعـة دراهم إلى درهمين[5].

ب. الخـراج الراتـب: وهـو خـراج السـواقي والبسـاتين والنخيـل، ولا يكـون إلا نقـداً عينـاً [6]،أو فضة[7].

٣. الجـوالي: أن الأصـل مـن وجـوب الجـوالي قولـه تعـالى: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[8]، حيـث فرضـت الجزيـة علـى أهـل الكتـاب مـن اليهـود والنصـارى، وكـذلك علـى المجـوس، وتوجـب الجزيـة علـى الرجـال الأحـرار العقـلاء، ومقـدارها فـي العصـر الإسـلامي كـان علـى ثلاثـة أصـناف مـن الأغنيـاء يؤخـذ ثمانيـة وأربعـون درهمـاً، والأوسط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً، والفقراء يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً[9].

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٣٢٠؛ العزام، عيسى محمود، **الأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي الأول (٦٤٨- ٧٨٤هـ / ١٢٥٠- ١٣٨٣م)**، مجلة الدراسات الاجتماعية، عدد ٢٤، ٢٠٠٧، ص١٣٥ وسيشار إليه فيما بعد: العزام، **الأزمات الاقتصادية**.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٣٢٠؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ٤٦.

(٣) النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٢٤٨- ٢٥٣.

(٤) حي أرض جزيرة أقصر من أعمال قوص، النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٢٤٩.

(٥) النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٢٤٨- ٢٤٩.

(٦) العين: ما ضرب من الدنانير، النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص٢٥٢.

(٧) النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٢٥٣.

(٨) سورة **التوبة**، الآية، ٢٩.

(٩) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص ١٨١- ١٨٣؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٨، ص ٢٣٤- ٣٤٧؛ وعند ابن مماتي: " عالياً مبلغاً أربعة دنانير وسدس، ووسطى ديناران وقيراطان، وسفلى دينار واحد وثلث وربع وحبتين ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٣١٨.

وقـد قـل وارد الجـوالي فـي عصـر المماليـك ويعـزي المقريـزي سـبب الـنقص إلــى كثـرة مـن دخـل فـي الإسـلام مـن النصـارى حيـث قـال: "... وتعـرف فـي زمننـا بـالجوالي... وكـان يتحصـل منهـا مـال كثيـر فيمـا مضــى.... وأمـا فـي وقتنـا هـذا فـإن الجـوالي قلـت جـداً لكثـرة إظهـار النصــارى للإسـلام فـي الحـوادث التـي مـرت بهـم"[١] وكـان لهـذه الضـريبة نـاظر الجـوالي فـي المـدن المصـرية وكـان يسـاعده فـي جبايـة الضـربية ممثـل عـن النصـارى وآخر عن اليهود[٢].

٤. المواريـث الحشـرية: وهــي مـال مـن يمـوت ولـيس لـه وارث مـن أصـحاب الفـروض أو العصــبية أو ذوي الأرحــام، وقـد درت علــى الدولــة أمــوال جزيلــة، وكانــت فــي العصــر المملـوكي مـن جملـة أمـوال السـلطان، وكـان لهـا نـاظر يـولى مـن قبـل السـلطان [٣]، وتنقسـم إلى قسمين في حاضرة الديار المصرية، وما هو خارجها[٤].

فأمـا مـا بحاضـرة الـديار المصـرية فكـان لهـا نـاظر، ولـه معـاونين، بإشـراف الـوزير، وكـان متحصـلها يحمـل إلــى بيـت المــال[٥]، أمــا مــا هــو خــارج حاضــرة الــديار المصــرية، فلهــا مباشرون يحصلون على التركة ويحملونها إلى الديوان السلطاني[٦].

٣. مـا يتحصـل مـن المعـادن: إلـى جانـب المـوارد السـابقة كـان هنـاك مـورد آخـر كانـت يـدر علــى الدولــة المملوكيــة أمــوال طائلــة، وهــو اسـتخراج المعــادن مـن بــاطن الأرض، ومـن هـذه المعــادن الزمـرد، والنطـرون، والنسـب[٧]. وقـد احتكـر اسـتخراجه سـلاطين المماليـك وذلــك لزيــادة الطلــب عليــه مــن قبـل الأوروبيــين، وباعوهــا بأسـعار مرتفعــة تصــل إلــى ضعف أثمانها[٨]. وليس لأحد أن يبيعه، ولا يشتريه سوى الديوان السلطاني"[٩].

٤. دار الضــرب: وهــي دور ســك العملــة، وكــان يضــرب بهــا ثــلاث أنــواع مــن المعــادن، الــذهب، والفضــة، والنحــاس، وكانـت فــي مصـر ثــلاث دور للضـرب، فــي مصـر، وفــي

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠١.

(٢) ماجد، **نظم المماليك**، ص ٧٥؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١١؛ إسماعيل **النظم المالية**، ص ١٦٤.

(٣) المقريـزي، **الخطـط**، ج ١، ص ٢٠٨، القلقشـندي، **صـبح الأعشـى**، ج ٣، ص ٥٣٢؛ ابـن ممــاتي، **قـوانين الدواوين**، ص ٣١٩.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٢؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٦٨.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ٥٣٢.

(٦) القلقشـندي، **صـبح الأعشـى** ، ج ٣، ص ٥٣٣؛ إسـماعيل، **الـنظم الماليـة**، ص ١٦٨؛ ماجـد، **نظـم المماليـك**، ص٧٦.

(٧) ابـن ممـاتي، **قـوانين الـدواوين**، ص ٣٢٨- ٣٣٤؛ العمـري، **مسـالك الإبصـار**، ج ٣، ص ٤١٥؛ القلقشـندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٢٦- ٥٢٧.

(٨) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١٣؛ ماجد، **نظم المماليك**، ص ٧٦؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٧٢.

(٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٢٧.

الإسكندرية، وفي قوص، وكانت تدور هذه الدور أموالاً طائلة على الدولة وذلك من خلال فرض مبلغ معين أو نسبة معينة من المعدن المضروب على أصحاب الأموال مقابل قيام الدولة بسك معادنهم وتحويلها إلى نقود بعد ضبط عيارها(١)، قال عنها المقريزي:" وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير"(٢).

الموارد غير الشرعية:

يقصد بالموارد المالية غير الشرعية، الضرائب التي فرضها المماليك على مختلف أنشطة الدولة، وأطلق عليها تسمية المكوس، وكانت الدولة تلجأ إلى ذلك لتغطية نفقات الحروب ضد التتار، وبقايا الصليبين بالمشرق، وكذلك كانت هناك ضرائب تفرضها الدولة على رعاياها، لتنفقها على مرافق الدولة المختلفة، ولم تكن جميع المكوس التي كانت في عصر المماليك من ابتكارهم أنما كانت بعضها موردثا من العصور التي سبقتهم(٣).

وتؤكد المصادر أن المماليك فرضوا المكوس على كل شيء في أرض مصر، وعلى كافة مرافق الدولة، وعروض التجارة والصناعة، وعلى الأموال المسقوفة، والحوانيت، والحمامات، والأفران، والطواحين، والأسواق، والأسماك، والمراعي، ومعامل الفروج، والمغاني والأفراح، ودار الضرب، ودار العيار، والمعادن، والغلال. وغيرها، كما فرضوا ضريبة سنوية قدرها دينار على كل إنسان في مصر، وكانت الدولة تصادر ثلث التركات الأهلية، وكان يفرض على الرجل دفع زكاة أمواله ولو كان لا يملك أي مال: وإذا مات يؤخذ من ورثته، وإذا حضر مبشر يفتح حصن أو نحوه، يؤخذ من الناس على قدر طبقاتهم(٤).

والملاحظ أن هذه الضرائب لم تسير على وتيرة واحدة طوال العصر المملوكي، فبعض السلاطين بالغوا في فرضها على الناس وتعسفوا في جمعها، ومن السلاطين من قام بإبطال ما فرضها الذي سبقه، فمثلاً قام السلطان المعز أيبك (٦٤٨ – ٦٥٥/ ١٢٥٠-

---

(١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٣٣١؛ المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٦- ٢٠٧؛ **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ٤٤٤٠؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٦٢٣؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣١١- ٣١٢؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٧٧.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٧.

(٣) المقريزي، **الخطط** ، ج ١، ص ١٦٤؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٣٩؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٨٦.

(٤) المقريزي، **الخطط**؛ ج ١، ص ١٩٨- ١٩٩؛ ماجد، **نظم المماليك**، ص ٧٣؛
Alazzam، Isa Mahmoud، The (**Mukus)** Taxes in Egyptduring the Mameluke Era (٦٤٨AH / ١٢٥٠AD- ٩٢٣AH / ١٥١٧AD)،Asian social S cience; Vol.٩، NO.٩ ;٢٠١٣، p. ٢٣٧

١٢٥٧م) عندما تولى الحكم، جعل شرف الدين جهة الله بن صاعد[١] على الوزارة، فقام يفرض ضرائب على التجار، وذوي اليسار وأرباب العقار، ورتب مكوساً وضمانات سميت حقوقاً ومعاملات[٢]، ثم قام بأبطال ما قرره وزيره من المكوس[٣]. وكذلك عند تولي السلطان المظفر سيف الدين قطز (٦٥٨- ٦٥٩هـ/ ١٢٥٩ – ١٢٦٠م) قام بفرض العديد من الضرائب بذريعة تجهيز الجيش لمواجهة التتر، فقد أحدث على كل شخص ديناراً وحصل على ثلث التركات وبلغ مجموع ما حصّله من الأموال ست مئة ألف دينار في كل سنة[٤]، وعندما تولى السلطان الظاهر بيبرس أبطل كل تلك التي فرضها قطز، وكتب به مساميح قرأت على المنابر[٥]، وسار سلاطين المماليك الأوائل على نهج السلطان الظاهر بيبرس، فقد أبطل كل من السلطان قلاوون وابنه الناصر محمد عدة مكوس كانت مفروضة على أقاليم الدولة، فألغى قلاوون[٦] ضريبة زكاة الدولة، وضريبة نفقة الجند، وضريبة الدينار التي تؤخذ من تجار القاهرة، وضريبة وفاء النيل، كما أبطل الناصر محمد الكثر من المكوس منها، مكوس السمسرة، والسجون، ورسوم الأفراح، وطرح الفراريج، ومقر الفرسان، ومقر قصب السكر، والعباءات وزكاة ورسوم تنظيف أسرية البيوت والحمامات والمدارس، ومكوس الأملاك، ومصائد السماك والمراعي، وغيرها.

والمكوس نوعان: الأول، المكوس التي كانت تجبى في القاهرة ومصر، وثغور مصر البحرية والبرية، وتكون هذه لصالح دار السلطان وحاشيته، والثاني: هي المكوس المفروضة على سائر المرافق وعروض التجارة والصناعة في الديار المصرية والتي تمنح كنوع من الإقطاع للأمراء والإجناد[٧].

---

(١) شرف الدين بن هبة الله بن صاعد الفائزي، أحد كتاب الأقباط، أظهر الإسلام في حكم الملك الكامل الأيوبي، وترقى في خدمة الكتابة وهو أول قبض تولى الوزارة في الإسلام. المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٨.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، ٣ مجلدات، تحقيق، أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيرون، ١٩٩٢م، مج ٢، ص ٢٦٧، وسيشار إليه فيما بعد، القرماني، أخبار الدول.

(٤) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٨؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٤١.

(٥) **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٩٨؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥. ص ١٤٢. وسيشار إليه فيما بعد ابن إياس، **نزهة الأمم**.

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٧، ١٩٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٤٥- ٤٨؛
Alazzam، **Mukus**، P. ٢٣٧.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٦ – ٥٣٩؛
Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٧

أولاً - المكوس السلطانية، أن موقع مصر المطل على البحر الأحمر من الشرق والبحر المتوسط من الشمال، جعل لها منافذ بحرية وبرية لجباية المكوس عن البضائع الواردة إليها، فهناك أربع موانئ بحرية تقع على البحر الأحمر، كانت تجبى منها المكوس المفروضة على بضائع تجار الكارم (التوابل)، وعلى السلع القادمة من الهند عن طريق اليمن والحجاز، وهي عيذاب، والقصير، والطور، والسويس(١).

كما كانت لمصر مراكز تجارية على البحر المتوسط، من أبرزها الإسكندرية، ودمياط، وتنبس، ورشيد، وفيها كان يجبى، مكوس السلع القادمة من أوربا، وكان يفرض عليها الخمس(٢).

كما كان هناك مركز تجاري بري، في مدينة قطيا(٣) كانت تفرض عندها مكوس على البضائع القادمة من الشرق عن طريق البر، وخاصة من الشام والعراق وهو أكثر الجهات السلطانية متحصلاً وأشدها على التجار تضيقاً، وكانت تجبى ضرائب محددة عن كل نوع من السلع(٤).

أما النوع الثاني فهي المكوس المتفرقة بالبلاد المصرية، فتكون تابعة للإقطاع، فإن كانت تلك الإقطاع تابعة للديوان السلطاني فمتحصلها لذلك الديوان، أو جارية في إقطاع الأمراء، ونحوها فمتحصلها لصاحب الإقطاع(٥)، وكانت أرض مصر جميعها إقطاعاً للسلطان، يقوم بإعطائها للأمراء والعسكر كإقطاعات مقابل ما فرض عليهم للسلطان من خراج إقطاعاتهم(٦)، وكان يشرف على كل نوع من أنواع المكوس دواوين خاصة لكل منها ويكون تابع للوزارة(٧). وأبرز ضرائب المكوس خلال العصر المملوكي هي:

---

(١) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ٥٣٦ – ٥٣٩؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٧.

(٢) المقريزي، **الخطط**؛ ج ٣، ص ٤-٢؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص P١٨٢

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٧.

(٣) قطيا، قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الغرما، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٨؛

Alazzam، **Mukus**، P. ٢٣٨

(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٨؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٨

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٨٢؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٥١؛ سليم، **عصر سلاطين المماليك**، ج ٢، ص٢٨٢؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٨

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٨٢؛ **السلوك**، ج ٢، ق، ص ١٥٠- ١٥٣.

١. مكس ساحل الغلة: وهو اسم أطلق على أحد الأماكن المخصصة لجمع أنواع الغلال التي كانت تحمل من مختلف مناطق مصر لتباع فيها حيث كانت لا تباع الغلال إلا لهذا الديوان، والذي يقع في بلاق وكان هذا الديوان يقوم بشراء الحبوب من الفلاحين ومن ثم بيعها للرعية والتجار بأسعار عالية. ويعتبر هذا الساحل من أهم الجهات التي كانت الدولة تحصل منها على أموال طائلة(١).

وكان مقرر على كل أردب بياع درهمين للسلطان ونصف درهم آخر سمسرة، وكان يشرف على تحصيل هذه الأموال ما يقرب ستين رجلاً من نظار ومستوفين وكتاب وجنود(٢)، وقد عانى الناس من هذه المكوس والمظالم المفروضة على غلالهم " وكان الناس منها في أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم"(٣)، وكان متحصل ساحل الغلة في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم.

٢. مكوس المغاني والأفراح: كانت الدولة تفرض ضرائب على المغاني والأفراح التي يقيما الناس في المناسبات المختلفة كالأعراس وغيرها، قال عنها المقريزي: " يجبى من سائر البلاد، وهي جهة بذاتها لا يعرف لها أصل"(٤)، حيث كان يفرض على كل من يريد أن يتزوج ضريبة حسب حالته الاقتصادية، خمسمائة درهم فما فوق، وكذلك كانت تفرض على العروس(٥)، كما كانت تفرض ضرائب على المغاني قال ابن إياس: " فكان لا تقدر امرأة من المغاني تضرب بدف في عرس أوختان أو نحو ذلك، إلا بإطلاق، وعلى كل إطلاق فريضة مقررة من المال، ترد إلى الديوان المقرر، وكان على كل مغنية مال مقرر تحمله إلى الضامنة"(٦)، وكان هناك جماعة من أتباع الضامنة يدورون في الليل على بيوت المغاني، لمعرف من باتت خارج البيت لأن كانت هناك ضريبة آخرى تقرض على المغاني التي لم تبت في بيتها للبغا(٧).

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج ٨؛ ص ١٥٠؛ **الخطط**، ج ١، ص ١٦٨؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٩٥؛
Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٨.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٧؛ **السلوك** ج ٢، ق ١، ص ١٥٠.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ١٥٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ج ٢، ق ١، ص ١٥٢.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ٣، ق١، ص ٢٦٦؛
Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٨ .

(٦) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ١، ق ٢، ص ١٦٦.

(٧) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ق١، ص ٢٦٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٦؛
Alassam، **Mukus**، p. ٢٣٨.

كما كانت تجبى ضرائب من بيوت الزنا (البغاء)، قال عنه المقريزي: " فكان بلاء عظيماً، وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا، فلو خرجت أجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها على الضامنة، وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة"[1] وتذكر المصادر أن في بلاد الصعيد والوجه البحري، هناك حارات للمغاني والبغايا، تدفع كل واحدة منهن ضرائب مقررة للضامنة، وهناك مجاهرة بالزنا وشرب الخمر، يوصف المقريزي وابن إياس هذه المناطق" وكان ببلاد الصعيد والوجه البحري فإنه يفرد حارات للمغاني والبغايا تقوم كل واحدة منهن بمال مقرر، فيكون هناك من التجاهر بالزنا وشرب الخمر، ما يشنع ذكره، حتى لو مر غريب بتلك المواضع من غير أن يقصد الزنا لألزم بأن تأتي بغيا من تلك البغايا، ويكره على ذلك، أو يفتدي، بمال يدفعة إليها، حتى تقوم به مما عليها من الضريبة"[2].

٣. ضمان القراريط: وهي ضريبة كانت تفرضها الدولة على الممتلكات المباعة. وقدرها ٢% تفرض على البائع، حيث ذكر المقريزي: " كان يؤخذ من كل باع ملكاً عن كل ألف درهم، عشرون درهماً"[3]، ولا يستطيع أحد أن يشتري دار حتى يختم له على كتاب " بطبع أحمر يشبه الدائرة"[4] ويوقع مباشرون الديوان على هذا الكتاب، حتى يستطيع شراء الدار[5].

٤. مكوس طرح الفراريج: كانت الدولة تحتكر تجارة الدجاج، فكانت تشتري الفراريج ثم تقوم ببيعها بأسعار عالية، وكان لها ضامن في أنحاء البلاد، ولا يمكن أحد أن يشتري فروجا إلا من الضامن، ومن وجد أنه اشترى أو باع فروجاً غير الضامن تعرض إلى العقوبة[6] حيث ذكر عنه المقريزي:" فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم، وتقاسي الأرامل من العسف والظلم شيئاً كثيراً،... ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجاً من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بحيث"[7].

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج٣، ف ١، ص ٢٦٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ١، ق٢، ص ١٦٧.

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٠.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج١، ق ٢، ص ١٦٧.

(٥) المقريزي، **السلوك**، ج ٣، ق ١، ص ٤١٧؛ **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ١، ق ٢، ص ١٦٧؛ Alazzam, **Mukus**, P. ٢٣٨ .

(٦) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٨؛ **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ١٥٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٤٧؛ طرخان، **النظم الاقطاعية**، ص ٧٩؛ صالحية، **الطرح والرمي**، ص ٥٥.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٨.

٥. مكوس المراعي: كانت المراعي في مصر ملكاً لعامة الناس، ترعى فيه مواشيهم، إلا أنه في العصر المملوكي، أدخل ضمن الإقطاع، وصار لا يجوز لأحد أن يرعى فيه إلا بدفع ضرائب مقررة، وكان يأخذ على عدد المواشي التي ترعى فيه، وكان يشرف على المراعي ديوان ولديه عامل، وشهود وكتاب[١].

٦. مكوس المصايد، كذلك فرض المماليك ضرائب المكوس على مصايد السمك، وكان للمصايد ديوان وله شهود وكتاب، فكان يرسل موظفون من قبل الديوان إلى الأماكن التي يتم صيد السمك فيها مثل، خليج الإسكندرية، وبحيرة الإسكندرية، وثغر دمياط، وثغر أسوان[٢]، وقد وصف المقريزي كيفية صيد الأسماك في نهر النيل بقوله: **"** فيخرجون (الصيادين) عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع إلى بحر النيل بعد ما تكون أفواه الترع قد أغلقت، وأبواب القناطر قد سرت عند انتهاء زيادة النيل، كما يتراجع الماء ويتكاثف مما يلي المزارع، ثم تنصب الشباك، وتصرف المياه فيأتي السمك قد اندفع مع الماء الجاري، فتصده الشباك عن الانحدار مع الماء، ويجتمع فيها، أو يطرح إلى البر، ويوضع على أنخاخ ويملح ويوضع في الأمطار فإذا استوى بيع**"**[٣]. وكانت الأسماك التي يتم صيدها في نهر النيل تحمل إلى دار السمك بالقاهرة. فتباع ويؤخذ منه مكس السلطان[٤].

٧. مكوس السجون: وهي ضريبة مالية على كل من يدخل السجن ويخرج، ولو للحظة واحدة، ومقدارها ستة دراهم سوى ما يغرمه، ونظراً لكثرة متحصلات هذه الجهة كان الضمان يدفعون مبالغ طائلة من أجل الحصول عليها، وكانت تجبى من سائر السجون في مصر[٥].

٨. مكوس الفرسان: وهي ضريبة يدفعها الفلاحون للولاة وكبار الموظفين في الإقليم على سبيل الهدية، وكان في جبايتها ظلم كبير، حيث كان يستغل الفلاح فيؤخذ منه ثلاثة أضعاف الضريبة[٦]، المقررة، قال عنها ابن تغري بردي: **"** وهو شيء تستهديه الولاة

---

(١) **المصدر نفسه،** ج ١، ص ٢٨؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٨

(٢) المقريزي، **السلوك،** ج ١، ص ٢٠٢؛

Alazzam، **Mukus**، p ٢٣٨

(٣) **المصدر نفسه،** ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) **المصدر نفسه،** ج ١، ص ٢٠٢ ؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٩

(٥) المقريزي، **السلوك،** ج ٢، ق ١ن ص ١٥١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج ٩، ص ٤٦

(٦) **المصدر نفسه،** ج ٢، ق ١، ص ١٥١؛ **المصدر نفسه،** ج ٩، ص ٤٧؛

Alazzam, **Mukus**، p. ٢٣٩

والمقدمون من سائر الأقاليم، فيجيء من ذلك مال عظيم، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم من كثرة الظلم "[١].

٩. مكوس قصب السكر ومعاصره: كان يزرع في مصر قصب السكر بمساحات واسعة، وكذلك كان هناك العديد من المعاصر منتشرة في عدد من المدن المصرية، لصناعة السكر[٢]، فقد فرض المماليك الضرائب على إنتاج قصب السكر والمعاصر التي تنتج السكر[٣].

١٠. مكوس حماية المراكب: وهي ضرائب تجبى من المراكب التي في نهر النيل، بمقدار معين على كل مركب تسمى مقرر الحماية، أو حماية المراكب، ويؤخذ من المسافرين في المراكب سواء كانوا أغنياء أو فقراء[٤].

١١. مكوس الأتبان: وهي ضريبة تفرض على الأتبان، وكان التبن في أرض مصر مقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم للديوان، وقسم للمقطع، وقسم للفلاح. فكانت الضيبة تجبى من كل مائة حمل تبن أربعة دنانير وسدس دينار، فجمع من ذلك أموال كثيرة، وكان لها موظف يسمى موظف الأتبان[٥].

١٢. مكوس العبي: وهي الضرائب التي كانت تفرض على العباءات (نوع من القماش) التي كانت تباع في مصر[٦].

١٣. مكوس المشاعلية: وهي الضريبة التي كانت تؤخذ مقابل تنظيف البيوت والحمامات والمسامط وغيرها، قال المقريزي عنها "... فإذا امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار، فمتى لم يوافق صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ما طلب"[٧].

---

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج ٩، ص ٤٧.

(٢) ابن مماتي، **قوانين الدواوين،** ص ٢٦٦؛ المقريزي، **الخطط،** ج ١، ص ٤٢٩.

(٣) المقريزي، **السلوك،** ج ٢، ق ١، ص ١٥١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج ٩، ص ٤٧.

(٤) المقريزي، **السلوك،** ج ٢، ق ١، ص ١٥٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة،** ج ٩، ص ٤٧؛ إسماعيل، **النظم المالية،** ص ١٩٨؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٩

(٥) المقريزي، **الخطط،** ج ١، ص ٢٠٧؛ **السلوك،** ج٢، ق ١، ص ١٥٢؛ النويري، **نهاية الأرب،** ج ٣٢، ص ٢٣٠.

(٦) المقريزي، **السلوك،** ج ٢، ق١، ص ١٥٢؛ النويوي، **نهاية الأرب،** ج ٣٢، ص ٢٣٠؛

Alazzam، **Mukus**، P٢٣٩

(٧) المقريزي، **السلوك،** ج٢، ق١، ص١٥٢.

١٤. مكوس الجراريف[١]: وهي الضريبة التي كانت تجبي من المهندسين والولاة في مختلف أنحاء البلاد المصرية، وتحمل إلى بيت المال[٢].

١٥. مكس الولايات: وهي ضريبة تتعلق بالولاة المقدمين، وكانت تجبي من عرفاء السوق وبيوت الفواحش، ولها ضامن وله مساعدينا[٣]، قال عنها ابن تغري بردي: " وكان فيها من الظلم والعسف وهتك الحرم وهجم البيوت وإظهار الفواحش ما لا يوصف"[٤].

١٦. مكس نصف السمسرة: وهي ضريبة تأخذ من البائع وقدرها ٢%. دلاليه، (سمسرة) فمن باع شيئاً بمبلغ مائة درهم فعليه أن يدفع درهمين للدلال، يؤخذ منهما درهم للسلطان، فكان الدلال يجتهد في تحصيل درهمه قبل درهم السلطان[٥]، " فتضرر الناس من ذلك وأُوذوا"[٦].

١٧. مكس الحوائص والبغال: وهي الضرائب التي كانت تفرض على الولاة والمقدمين، فعليهم أن يحملوا كل سنة مبلغ من المال إلى بيت المال قدره ثلثمائة درهم عن حياصة وخمسمائة درهم عن ثمن بغل[٧]، " فكان فيها من الظلم بلاء عظيم" حسب قول ابن تغري بردي[٨].

١٨. مكس حقوق القينان، وهي الضرائب التي تجبي من البغايا والمنكرات والفواحش، وكان يقوم يجمعها مهتار[٩] الطشتخاناه[١٠]، وكذلك تجبي من أوباش مصر وضمان تجيب[١١] بمصر.

١٩. مكوس أهل الغرمة: وهي ضريبة كانت تجبي من أهل الذمة مقدارها دينار في السنة يرسم نفقة الجند، غير الجالية (الجزية)[١٢].

---

(١) الجراريف، جمع جرافة، وهي آلة تستعمل تتسع ورفع الأتربة والطين. النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣٢، ص ٢٣١، هامش (٢).

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٨؛ **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ١٥٢

(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٤٦.

(٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٤٨.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٧؛ **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ١٥٠؛ طرخان، **النظم الاقطاعية**، ص ٧٩.

(٦) **المصدر نفسه**، ج ١، ص ١٦٧.

(٧) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٦٨؛ **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ١٥١؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٠٣.

(٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٤٦.

(٩) مهتار: لفظ فارس؛ لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كمهتار الشراب خاناه ومهتار الحست خاناه، واصل اللفظ متكون من مقطعين: (مه) بالفارسية وتعني الكبير، و(تار) بمعنى افعل التفضيل، فيكون المعنى الأكبر، دهمان، **معجم الألفاظ**، ص ١٤٦.

(١٠) الطشتخاناه: هو المكان المتخصص لوضع الطشوت اللازمة لغسل الأيدي والقماش وغيرها، دهمان، **معجم الألفاظ**، ص ١٠٨.

(١١) نجيب: خطة من خطط الفسطاط، كانت تسكنها سلالة قبيلة نجيب، المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٨٧.

(١٢) المقريزي، **السلوك**، ج ٢، ق ١، ص ١٥٢.

٢٠. مكس المبشرين: وهي الضريبة التي كانت تجبى في مصر والقاهرة،[١] إذا حضر مبشر، يبلغ بانتصار الجيش، أو فتح حصن أو سلامة الحجاج، وكان يجمع من الناس على قدر طبقاتهم[٢].

٢١. مكوس وفاء النيل: وهي ضرائب تجبى من الناس عند وفاء نهر النيل وذلك لعمل السماط وشراء الحلوى والفاكهة للاحتفال بالوفاء، ويكون الاحتفال عند المقياس[٣].

٢٢. الثغور: إن موقع مصر الجغرافي، فرض عليها أن تكون معبر للتجارة بين الشرق والغرب، وكان في هذا فائدة كبيرة للدولة من خلال فرض الضرائب على التجارة التي تمر عبر ثغورها وأراضيها، وبحكم أشرافها على بحرين هما بحر الأحمر والبحر المتوسط، فكان لها موانئ على هذين البحرين فيقع على البحر الأحمر أربعة موانئ، هما عيذاب، والقصير، والطور، والسويس، أما على البحر المتوسط، فكان يقع دمياط، والإسكندرية، وتنيس، ورشيد، وكذلك كان هناك مركز تجاري بري في مدينا قطيا[٤]، لجباية الضرائب من البضائع القادمة من الشرق وخاصة بلاد الشام والعراق[٥] والمقرر على البضائع القادمة إلى هذه الموانئ العشر بالاتفاق، ذكر القلقشندي: " واعلم أن المقرر في الشرع أخذ العشر من بضائعهم التي يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شرط ذلك عليهم ... وينقص عنه إلى نصف العشر للحاجة... وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأى فيه المصلحة [٦]."

كذلك كانت الدولة تفرض ضرائب على حجاج بيت الله الحرام، حيث كان بعض رجال سلاطين المماليك يحصلون على الأموال بطرق شتى فقد ذكر المقريزي وابن إياس، في حوادث سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م أن الصاحب شمس الدين المقسى[٧]." أنه يخرج إلى بركة الحاج ويلزم المقومين بإحضار أوراق مشترى جمالهم من سوق

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ١٩٩؛ المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ٣، ص ٦٦٤؛

Alazzam، **Mukus**، p ٢٣٩.

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ١، ص ١٩١؛ **الخطط**، ج ١، ص ١٩٩؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٩١.

(٣) المقريزي: **الخطط**، ج ١، ص ١٩٩؛

Alazzam، **Mukus**، p. ٢٣٩.

(٤) قطيا، قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الغرما. ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٥) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٢٠٤؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٧٤؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ١٧٩؛

Alazzam، **mukus** ; p ٢٣٧

(٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٦

(٧) المقسى: الصاحب شمس الدين كان نصرانياً فأسلم، عمل بعد إسلامه مستوفي المماليك السلطانية، ثم ناظر الخاص، توفي سنة ٧٩٥، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ١٢، ص ١٣٦.

الجمـال، فمـن لـم يحضـر ورقـة مشـترى جملـه مـن سـوق الجمـال رسـم عليـه وغرمـه مبلغـاً لـه صـورة، فأضـر ذلـك بالحجـاج وتعطـل حـالهم فرجـع مـن الحجـاج جماعـة كثيـرة مـن البركة إلى القاهرة"[١].

وكـان يجبـى منـذ عهـد السـلطان بيبـرس، عـن كـل جمـل بركـب الحجـاج عشـرون درهمـاً، يـدفع منـه عشـرة آلاف درهـم للعربـان التـي تمـر قوافـل الحجـاج بـديارهم حتـى لا يتعرضـوا لهـا، والبـاقي يـدفع لفقـراء الحجـاج[٢]، وكانـت هنـاك ضـرائب أخـرى مثـل مكـس، الجسور والتي كانت تقرض إذا ما أريد ترميم أو عمل جسر [٣].

وقـد تركـت المكـوس آثـاراً قاسـية علـى المجتمـع المصـري لشـدت الضـرائب المفروضـة علـى السـكان ممـا اضـطر الكثيـر مـنهم إلـى تـرك مـدنهم وقـراهم، وتـرك الأراضـي دون زراعة ، مما يؤدي إلى نقص في الإنتاج الزراعي وحصول الأزمات .

ومـن آثارهـا الظلـم الواقـع علـى النـاس مـن خـلال احتكـار مقـرر طـرح الفـروج الـذي يقـول عنـه ابـن تغـري بـردي " وكـان فيهـا أيضـا مـن الظّلـم والعسـف وأخـذ لأمـوال مـن الأرامـل والفقـراء والأيتـام مـا لا يمكـن شـرحه "[٤]، كمـا عـانى حجـاج بيـت الله الحـرام مـن هـذه المكـوس حيـث كـانوا يمنعـون حجـاج الشـام مـن التوجـه مـن الحجـاز إلـى بلـدهم مباشـرة، وإنمـا كـانوا يجبـرون بالتوجـه إلـى القـاهرة ثـم إلـى الشـام لأخـذ المكـوس مـنهم، حيـث ذكـر المقريـزي فـي ذلـك " وفيـه تجـددت علـى الحجـاج مظلمـة لـم تعهـد مـن قبـل وذلـك أنـه منـع التجـار أيـام الموسـم أن يتوجهـوا مـن مكـة إلـى بـلاد الشـام. ممـا ابتـاعوه مـن أصـناف تجـارات الهنـد وألزمـوا أن يسـيروا مـع الركـب إلـى مصـر حتـى يؤخـذ مـنهم مكـوس مـا معهـم "[٥]، أمـا ضـمان البغـاء فقـد كـان مـن ابشـع المحرمـات التـي كانـت ترتكـب فـي عصـر المماليـك وبتصـريح مـنهم، يقـول عنـه المقريـزي " فأمـا ضـمان الأغـاني فكـان بـلاء عظيمـا"[٦]، وكانـت تأخـذ بـالقوة والتعسـف ممـا أدى إلـى تـذمر النـاس منهـا ، وقـد يسـجن او يضـرب مـن لا يدفعها أو تصادر أملاكه والى غيرها من العقوبات.

(١) المقريزي، **السلوك**، ج٣، ق ١، ص ٣٤٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٤.
(٢) دراج، أحمد، **وثائق دير صهيون بالقدس الشريف**، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٩١. وسيشار إليه فيما بعد: دراج ، وثائق دير صهيون؛ إسماعيل، **النظم المالية**، ص ٢٠٥.
(٣) المقريزي، **الخطط**، ج ١٠، ص ٢٠٧.
(٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ٤٦- ٤٧.
(٥) المقريزي، **السلوك**، ج٤،ق٢، ص٧٠٧.
(٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٢٠٠.

الفصل الرابع

التجارة الخارجية في عهد

أسرة قلاوون

أولاً: العلاقات التجارية بين مصر ودول الشرق والغرب

لم يواجه سلاطين المماليك صعوبة كبيرة في استيراد البضائع من الخارج، وذلك لوقوع كثير من الموانئ وطرق القوافل التجارية في قبضتهم، لاسيما بعد ازدهار طريق البحر الأحمر في بداية نشأة دولتهم كما مر بنا سابقاً، فقد أتاح ذلك الفرصة لسلاطين المماليك للقيام بدور الوسيط بين تجارة الشرق والغرب.

وقبل الدخول في موضوع التجارة الخارجية، لا بد لنا من معرفة حدود الدولة المملوكية في عهد أسرة قلاوون، فهي شملت مصر، وبلاد الشام، التي تضم في الوقت الحاضر كل من سوريا وفلسطين ولبنان والأردن، والحجاز التي ضمها السلطان الظاهر بيبرس إلى الدولة المملوكية سنة ٦٦٧هـ / ١٢٧٩م، عندما حج السلطان الظاهر بيبرس في هذه السنة وكسا الكعبة وأمر بضرب النقود باسمه، وذكر اسمه في الخطبة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت إمرة مكة تتم بتفويض ودعم من السلطان المملوكي(١) .

أما اليمن فقد اتبعت للدولة المملوكية منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس، حيث كان حكام الدولة الرسولية(٢) (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨/ ١٢٥٤م)، يحكمون اليمن باسم الدولة المملوكية، ومن مظاهر هذه التبعية، أنهم كانوا يرسلون الهداية المقررة سنوياً إلى سلاطين المماليك، وكان مقدارها ستة آلاف ينار فضلاً عن هدية السلطان(٣)،إلا أن هذه العلاقات كان ينتابها بعض الفتور أحياناً وخاصة عندما يمتنع ملوك اليمن عن إرسال

---

(١) العمري، **مسالك الإبصار**، تحقيق دورتيها، ص ٤٢؛ اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٥٧م) **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٩١، وسيشار إليه فيما بعد: اليوسفي، نزهة الناظر؛ ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، ٢١ جزءاً، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، د. م، ١٩٩٧م، ج ١٧، ص ٤٨٣، وسيشار إليه فيما بعد، ابن كثير، **البداية والنهاية**؛ المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ٢، ص ٥٧٩.

(٢) الدولة الرسولية: قامت في اليمن ٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨- ١٢٥٤م وكان أول ملوكها الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول. اليماني، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد،(ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م) **تاريخ اليمن، المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، د. ت، ص ٨٥. وسيشار إليه فيما بعد: اليماني، **تاريخ اليمن** ؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٨٥.

(٣) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، ١٤ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٣٥٤، وسيشار إليه فيما بعد: العيني عقد الجمان ؛ المقريزي، السلوك ج ٢، ق ١، ص ٧.

الهدايا المقررة، أو إرسال أقل من المتعارف عليها[1]، ولهذا كانت العلاقات اليمنية المملوكية بين المد والجزر تبعاً للأحوال السياسية، ومدى استقرارها في الدولتين[2].

ويمكن تقسيم الموضوع إلى قسمين:

١ – العلاقات التجارية بين مصر و الدول الشرقية والأوربية.

٢ – أهم مراكز التجارة الخارجية في مصر.

العلاقات التجارية بين مصر والدول الشرقية والأوربية.

أولى سلاطين المماليك التجارة البحرية عناية كبيرة، وذلك من خلال تأمينهم لطرق التجارة البرية والبحرية، ووضع القوانين لحقوق الملاحة، وبذلك فتحوا لبلادهم أفاقاً جديدة للتجارة البحرية عبر البحار والمحيطات، ونتيجة استئثار المماليك بالجزء الأكبر من التجارة العالمية، بين الشرق والغرب وذلك لسيطرتهم على أهم طرق التجارة العالمية - الهند – عدن – البحر الأحمر، فقد كانت هناك علاقات تجارية واسعة بين مصر وبلدان الشرق والغرب، وكان من نتيجة هذه العلاقات أنها أدت إلى تنافس الدول في الحصول على امتيازات من قبل المماليك[3]، ويظهر ذلك جلياً فيما قام به ملك اليمن المظفر يوسف، وملك سيلان أبو نكيا، حيث أرسل ملك سيلان مبعوث سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م إلى السلطان قلاوون يحمل كتاباً ذكر فيه تخليه عن صحبة ملك اليمن وتعلقه بمحبة السلطان[4]، وكان يرغب بأن يرسل السلطان قلاوون رسول من عنده إلى سيلان، وأن تقام علاقات تجارية مع جزيرته الغنية، حيث ذكر المقريزي: " ... ويريد أن يتوجه إليه رسول، وذكر أن عنده أشياء عدها من الجواهر والقيلة والتحف ونحوها،.. وأن في مملكة سيلان سبعاً وعشرين قلعة، وبها معادن الجواهر الياقوت وأن خزائنه ملائه من

---

(١) العيني، **عقد الجمان**، ج ٤، ص ٣٧٧.

(٢) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٩٢.

(٣) سرور، **دولة التي قلاوون**، ص ٣٣٨؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٠٤؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص١٦٥.

(٤) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ٣، ص ٧١٣؛ الدواداري، **زبدة الفكرة**، ص ٢٣٥؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣١، ص ٦٩.

الجواهر"[١]، وقد أكرم السلطان قلاوون رسول ملك سيلان وأجزل عليهم العطايا، ثم أنفذ معهم رداً على كتاب ملكهم[٢].

وكانت هذه سفارة على ما يبدو مظهراً من مظاهر سياسة سلاطين المماليك التشجيعية للتجارة، وما وصلت إليه دوله المماليك من هيبة وسمعة في تلك الفترة.

وقد سافر رسل ملك سيلان إلى مصر عن طريق الخليج العربي فالعراق والشام ثم مصر بناءً على طلب ملكهم حتى لا يمروا ببلاد اليمن، وذلك لأن ملك اليمن المظفر يوسف أرسل إلى ملك سيلان يعرض عليه حلفاً تجارياً، ولكن ملك سيلان فضل التحالف مع مصر للشهرة التجارية التي كانت تتمتع بها مصر[٣].

وكذلك ارتبطت مصر بعلاقات ودية مع بلاد التكرور[٤] وكان ملوكها ينزلون بالقاهرة وهم في طريقهم إلى بلاد الحجاز للحج، ففي سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م احتفى السلطان الناصر محمد بقدوم منسا موسى ملك بلاد التكرور، وتبادل معه الهدايا، حيث ذكر ابن خلدون : " ... خرج منسا موسى من بلاد المغرب للحج وسلك على طريق الصحراء وخرج عند الأهرام بمصر، وأهدى إلى الناصر هدية حفيلة يقال أن فيها خمسين ألف دينار، وأنزله بقصر عند القرافة الكبرى، وأقطعه إياها، ولقيه السلطان بمجلسه، وحدثه ووصله وزوده، وقرب إليه الخيل والهجن وبعث معه الأمراء يقومون بخدمته"[٥] فكانت لهذه العلاقات أثر على الناحية الاقتصادية حتى أصبح التجار المصريون يترددون على تلك البلاد ليتشروا منتجاتها[٦] وأولي سلاطين المماليك عناية بالساحل الإفريقي للبحر الأحمر وهذا واضح من خلال علاقاتهم مع ممالك النوبة [٧]

---

(١) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق ٣، ص ٧١٣.

(٢) الدواداري، **زبدة الفكرة**، ص ٢٣٥؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٣٩.

(٣) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ٣، ص ٧١٣، هامش (٣)؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣١، ص ٦٩، هامش (١).

(٤) بلاد التكرور، هي أحد الأقاليم الإفريقية تقع في الجهة الجنوبية الغربية من مصر، وقاعدتها مدينة تكرور، وتشتمل على خمسة أقاليم هي إقليم مالي وإقليم صوصو، وإقليم غانة، وإقليم كوكو، وإقليم تكرور. وكان كل من هذه الأقاليم مملكة مستقلة ثم توحد تحت حكم سلطان واحد. العمري، **مسالك الإبصار**، ج ٤، ص١٠٧؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٣٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٢٧٢.

(٥) ابن خلدون، **العبر**، مج ٥، ص ٤٩٧

(٦) سرور، دولة **بني قلاوون**، ص ٣٣٧.

(٧) النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوب مصر، وأول بلاد النوبة بعد أسوان، ومدينة النوبة ومقلة. ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٥، ص ٣٠٨.

النصـرانية، واهتمـامهم بحمايـة ميـنـاء سـواكن[١]، حيـث أرسـل السـلطان الظـاهر بيبـرس قـوة سـنة ٦٦٤هــ ١٢٦٥م، احتلـت ميـنـاء سـواكن واسـتقرت حاميـة مملوكيـة فيـه [٢]، وعمـل المماليك علـى توسع نفـوذهم السياسـي فـي النوبـة وذلـك عـن طريـق دعـم المعارضـين لحـاكم النوبـة، مثـل شـكندة ابـن عـم ملـك النوبـة، الـذي اسـتطاع أن يتـولى الحكـم بمسـاعدة المماليك[٣] سـنة ٦٧٤هــ / ١٢٧٥م، واتفقـا الطـرفين علــى أن واردات النوبــة تكـون مشـاطرة نصـف للسـلطان ونصـف لعمارتهـا وحفظهـا[٤] كـذلك عقـد السـلطان قـلاوون معاهـدة مـع ملـك النوبـة سـمعان، ونصـت هـذه المعاهـدة علـى أن يكـون نصـف إيـراد النوبـة للسـلطان، وألا تهـدد النوبة الأطراف الجنوبية لدولة المماليك[٥].

وكـان المماليـك يهـدفون مـن وراء هـذه الحمـلات تـأمين الطـرق التجاريـة التـي تمـر بـالبحر الأحمـر مـن خـلال السـيطرة علـى مـوانئ هـذا البحـر، وقـد نجحـوا فـي ذلـك مـن خـلال فرض سيطرتهم على بلاد النوبة وكذلك الحجاز واليمن.

أمـا الحبشـة فقـد حرصـت علـى إقامـة علاقـات مـودة وصـداقة مـع سـلاطين المماليـك، وذلـك لضـمان اسـتمرار روابطهمـا الدينيـة مـع كنيسـة القـديس مـرقص فـي الإسـكندرية. وللحصـول علـى الكتـب الدينيـة اللازمـة. وتـأمين مـرور آمـن لحجاجهـا إلـى كنيسـة القيامـة بالقـدس[٦]، كمـا أن دولـة المماليـك عملـت علـى إبقـاء هـذه العلاقـات الوديـة مـع الحبشـة

---

(١) سواكن: بلد مشهور على ساحل بحر الأحمر قرب عيذاب ترسو فيه السفن القادمة من جدّة، وأهله بجاه سود نصارى. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٢٧٦.

(٢) ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبدالله بن رشيد الدين (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويط، د. د، الرياض، ١٩٧٦، ص ٢٤٨، وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**؛ النويري، **نهاية الأرب**، ٣٠، ص ٢٣٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٧، ص ١٣٩.

(٣) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام**، ١٥ جزءاً، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامية، د. م، ٢٠٠٣م، ج ١٥، حوادث ٦٧١- ٦٨٠هـ ، ص ٢٠٠، وسيشار إليه فيما بعد الذهبي، تاريخ الإسلام؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٧، ص ٥٢٠.

(٤) الدواداري، **زبدة الفكرة**، ص ١٤٩؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣، ص ١٤٤- ١٤٥.

(٥) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٤٦؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٩٥.

(٦) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، ص ٤٧؛ عاشور، **مصر والشام**، ص ٣٥٢- ٣٥٨؛ العمايرة، **موانئ، البحر الأحمر**، ص ٣٠٧.

لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية المتمثلة بضمان أمن البحر الأحمر، وللحصول على سلع الحبشة[١].

وكانت لمصر علاقات تجارية نشطة مع الدول الأوربية وبخاصة مع دويلات المدن الإيطالية، البندقية، وجنوة، وقطالونيا، وكذلك مع فرنسا وغيرها من الدول، ووطدوا تلك العلاقات بمعاهدات تجارية نظمت العلاقات بين الطرفين[٢].

وكانت التجارة مستمرة بين مصر والغرب حتى في آبان الحروب الصليبية، ورغم قرارات البابوية في محاولة للوقوف أمام هذا النشاط التجاري، فبعد سقوط عكا[٣] سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ – ٦٩٧هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣م) شرعت البابوية في إثارة أهالي أوربا ضد المماليك للقيام بحرب صليبية جديدة، إلا أن هذه المحاولات فشلت أمام قوة سلطنة المماليك [٤] ولما فشلت محاولاتهم في شن الحرب، لجأت البابوية إلى فرض الحصار الاقتصادي على المماليك لأضعاف اقتصادها وقوتها العسكرية[٥]، حيث قام البابا نقولا الرابع (٦٨٧- ٦٩٣هـ / ١٢٨٨- ١٢٩٣) بإصدار قوانين التحريمات البابوية [٦]، سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م فبموجبها أصدر قراراً بابوياً بتوقيع عقوبة الحرمان على كافة المدن والجمهوريات والدول الأوربية التي تتعامل تجارياً مع دولة المماليك[٧]، وإعلان بأنهم ملعونون إلى

---

(١) عاشور، **مصر والشام**، ص ٣٥٦؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٣٠٨.

(٢) صبرة، عفاف السيد، **العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من١١٠٠ – ١٤٠٠م**، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٢، وسيشار إليه فيما بعد: صبرة، **العلاقات بين الشرق والغرب**.

(٣) عكا: تقع على البحر المتوسط ساحل الشام، فتحت على يد عمرو بن العاص سنة ١٥هـ /٦٣٦م، ثم احتلت من الفرنجة سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م وفتحها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ثم عاد الفرنجة واحتلوها سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م وبقيت في أيدهم إلى أن تم فتحها على يد الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م. ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ١٤٤؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤٠؛ المبارك **الناصر محمد**، ص ١٨٥.

(٤) هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، د. ط، جزءان، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ٢٥٣، وسيشار إليه فيما بعد: هايد، تاريخ التجارة؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤٠؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٢٤.

(٥) فهمي، **طرق التجارة العالمية**، ص ١٩٣.

(٦) **المرجع نفسه**، ص ١٩٣

(٧) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٢٣، اشتور، **التاريخ الاقتصادي**، ص ٣٨٧؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، **الحركة الصليبية**، ط ٩، جزءان، مكتبة الإنجلو المصرية، د. م، ٢٠١٠م، ج ٢، ص ٤٠٣، وسيشار إليه فيما بعد: عاشور، **الحركة الصليبية**؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٨٥.

الأبد، ومجردون من حقوقهم المدنية والوطنية، ومن أهليتهم لأن يوصوا أو يورثوا[١]، وقد حدد هذا المرسوم المواد المحرم بيعها لمصر وهي الرقيق والخيول، ومواد أولية كالحديد والأخشاب والكبريت والقار، وهذه كانت خامات أساسية تدخل في الصناعة الحربية و صناعة السفن، والمواد الغذائية[٢].

كما دعا ريمون سنة ٧٠٦هـ ١٣٠٦م بوجوب امتناع النصارى مدة ست سنوات عن شراء البهار من المصريين وإلا يزوروا الإسكندرية وسورية [٣]، وهذا في رأيه يؤدي إلى **"إيقاع الخراب بالسلطان وإمبراطوريته"**[٤].

أن محاولات البابوية هذه لم تفلح، وباءت بالفشل، ولم تمتنع الدول والمدن التجارية من تعاملها التجاري مع مصر، بل تنافست تلك الجاليات للحصول على صداقة السلطان المملوكي لعقد الاتفاقيات التجارية.

ففي سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م لم يتردد جيمس الثاني ملك أرغونه في تجديد الاتفاقية التجارية مع السلطان الأشرف خليل[٥]، كما قام الملك جيمس الثاني بإرسال السفراء إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون لتوطيد الصداقة بينهما، وفي أواخر عهده تخلى عن فكرة القيام بحرب صليبية[٦]، ولم تسحب أرغونه قناصلها التجار من مصر بعد سقوط عكا[٧].

أما جنوا فنظرت إلى مسألة تحريم التجارة مع المسلمين نظرة إزدراء، وظلت تعمل على إنماء علاقتها بمصر [٨]، فقد عقدت جنوه معاهدة مع السلطان قلاوون سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، فبموجب هذه المعاهدة تمتع التجار الجنويين بالحماية على أرواحهم وممتلكاتهم

---

(١) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٢) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٥٤؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤٠، عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ٢، ص ٤٠٣

(٣) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤١؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج ١، ص ٢٥٧؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر دراسة تحليلية للإزدهار والانهيار**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٢٨٧، وسيشار إليه فيما بعد: ماجد، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك**.

(٤) هايد، **تاريخ التجارة**، ج٢، ص ٢٥٧.

(٥) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٦٠؛ **المبارك، الناصر**، ص ١٨٦.

(٦) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤١؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٦٣؛

(٧) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٦٣؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٨٧.

(٨) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤١.

فـي مصـر، وأعفيـت جنـوه مـن بعـض الرسـوم الجمركيـة فـي مـوانئ مصـر وأسـواقها، بالمقابـل تعهـد السـفير الجنـوي بـاحترام رعايـا السـلطان وأرضـه وبحمايـة مراكـب المسـلمين ومتـاجرهم، وألا يتعـاون الجنـويين مـع أي طـرف ضـد المسـلمين فـي مصـر والشـام[١]، واسـتمر النشـاط التجـاري لجنـوه فـي مصـر والشـام فـي مسـتهل القـرن الثـامن الهجـري / الرابـع عشـر المـيلادي، وكـذلك ظلـت جالياتهم فـي مـدن ومـوانئ الدولـة المملوكيـة تتمتـع بامتيازاتهـا التجاريـة التـي حصـلت عليهـا بموجـب معاهـدة ٦٨٩هــ / ١٢٩٠م[٢]، وكانـت جنـوه تـؤجر سـفنها إلـى تجـار المسـلمين، وكـذلك كانـت تنقـل الرقيـق علـى سـفنها، لأنهـا القـوة الرئيسية التي كانت مهيمنة على تجارة الرقيق في منطقة البحر الأسود [٣].

وأمـا البندقيـة فقـد تمتعـت بامتيـازات خاصـة منـذ العصـر الأيـوبي حيـث عقـدت معاهـدة تجاريـة مـع الملـك العـادل الإيـوبي سـنة ٦٠٥هــ / ١٢٠٩، تضـمنت مـنح البنادقـة امتيـازات وتسـهيلات تجاريـة فـي المـوانئ المصـرية، وحمـايتهم فـي المنـاطق التابعـة للملـك العادل. ومنحهم فندق ثاني إلى جانب الفندق الذي كانوا يملكونه[٤].

وعلـى الـرغم مـن مراسـيم المنـع الأنفـة الـذكر التـي أصـدرها البابـا عقـب سـقوط عكـا، إلا أن ذلـك لـم يمنـع البندقيـة فـي اسـتمرار العلاقـات التجاريـة مـع المماليـك، ففـي سـنة ٧٠٢هــ / ١٣٠٢م نجحـت سـفارة بندقيـة برئاسـة جيـدو دي كانـالي (Guido de Canali) فـي توقيـع معاهـدة تجاريـة مـع السـلطان الناصـر محمـد بـن قـلاوون، نصـت علـى تجديـد الامتيـازات التجاريـة التـي حصـلت عليهـا البندقيـة فـي مصـر فـي عهـد السـلاطين السـابقين[٥]. وقـد حصـلت البندقيـة بموجـب هـذه المعاهـدة علـى امتيـازات منهـا الإعفـاء عـن نصـف الرسـوم الجمركيـة، وحمايـة التجـار البنادقـة ومتـاجرهم، وحريـة ممارسـة عبـاداتهم، مقابـل ذلـك

(١) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٧١؛ زيتون، عادل، **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار دمشق للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٢٠. وسيشار إليه فيما بعد، زيتون، **العلاقات الاقتصادية**.

(٢) زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٢١.

(٣) طافور، **رحلة طافور**، في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبش، دار المعارف، ١٩٦٨، ص ١٣٤، وسيشار إليه فيما بعد: طافور، رحلة؛ ماجد، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك**، ص ٢٨٩؛ زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٢٢.

(٤) هايد، **تاريخ التجارة**، ص ٦٢- ٦٣؛ زيتون، **العلاقات، الاقتصادية**، ص ١٩١.

(٥) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤١؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٦٨؛ آشتور، **التاريخ الاقتصادي**، ص ٣٩٢؛ زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٠٠؛ صبرة، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص ١٠٢.

تعهدت البندقية بجلب السلع والمتاجر الحربية التي حّرمتها البابوية، وخاصة الأخشاب والحديد والقطران، بشرط أن يسمح السلطان بتصدير سلع ومتاجر مصرية بقيمتها مع إعفائها من الرسوم الجمركية[١]، كما وافق السلطان الناصر محمد بن قلاوون على تعيين فرانشيسكودي كانالي سفير للبندقية بالإسكندرية[٢].

إلا أن هذه العلاقات التجارية بين البندقية ومصر ما لبث أن اعترضها في سنة ٧١٣ و ٧١٧هـ / ١٣١٣ و ١٣١٧م قرار أصدره مجلس شيوخ البندقية يقضي بمنع تصدير البضائع إلى ممتلكات السلطان، أن هذا الأمر دفع رئيس البندقية للتوسط لدى البابا، ليحصل منه على تصريح للبنادقة بأن يصدر لها الذهب، والفضة والقصدير والنحاس والجوخ والزعفران وغيرها من البضائع الأوربية التي تحتاج إليها مصر[٣]. وتحت ضغط التجار الأوروبيين، تراجعت البابوية بعض الشيء عن قرار المنع حيث عملت على تحديد المواد التي يمنع تصديرها كالخشب والحديد الذي يحتمل استعمالها في الصناعة الحربية وصناعة السفن[٤].

وكانت تجارة البنادقة نشطة ومنتظمة مع المماليك، حيث كان تجارها يقدموا بانتظام لمصر، فكانت تصل إلى الإسكندرية كل سنة خمس سفن موسمية[٥]، وكان رسلهم يستقبلوا استقبالاً رسمياً، إذا ما حظروا إلى مقر السلطان لمقابلته، وتقرر لهم الضيافة [٦]، كما عقدت البندقية معاهدتين جديدتين في سنتي ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م وسنة ٧٦٣هـ ١٣٦١م، مع المماليك[٧].

يتبين مما سبق أن العلاقات التجارية بين البندقية والمماليك لم تنقطع ، لكنها تضعف في بعض الأحيان، وعلى الرغم من ضغوط الكنيسة على البنادقة إلا أنهم حافظوا على المودة بينهم وبين مصر.

---

(١) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٦، ص ٢٦٩؛ زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٠٠.

(٢) سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤٢؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣٠٧؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٦٩؛ زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٠١.

(٣) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٣، ص ٢٧٢- ٢٧٣؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص ٣٤٢.

(٤) سرور، **دولة بني قلاوون**، ٣٤٢.

(٥) إسكندر، توفيق، **نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس،، سنة ١٩٥٧م، ص ٣٩، وسيشار إليه فيما بعد: اسكندر، **نظام المقايضة**.

(٦) ماجد، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك**، ص ٢٨٩.

(٧) آشتور، **التاريخ الاقتصادي**، ص ٣٩٣.

كما حصلت قطلونية في سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م على امتياز تخفيض المكوس من السلطان الناصر محمد بن قلاوون(١)، إلا أن تجارة قطلونية لم تصل إلى مستوى تجارة البندقية، حيث كان يصل إلى الموانئ المملوكة في منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلاد حوالي ثلاث سفن سنوياً، وقد زاد العدد في نهاية القرن إلى حوالي سبع سفن(٢).

كما كانت لفلورنسا علاقات تجارية مع دولة المماليك منذ منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، حيث ظهرت سفنهم وهي تحمل المنتوجات النسيجية الإنكليزية والفرنسية والقطلونية في الموانئ المملوكية، وكانت تأخذ في عودتها البهارات والسلع الشرقية وتبيعها في الأسواق الأوربية(٣).

أما دول الفرنجة بالأندلس فكانت هناك صلات تجارية، لكنها محدود، إذا ما قرنت بتجارة الدول الأخرى، ويعود ذلك إلى قلة الأسواق الأوربية لتصريف سلعهم التي يستوردونها من الشرق، إلا أن هذه العلاقات التجارية لم تنقطع، وإنما كانت غير منتظمة(٤).

إن هذه الصلات التجارية بين مصر وأوروبا أدت إلى كثرت العملة الأجنبية واستعمالها في مصر في عهد سلاطين أسرة بني قلاوون، حيث ذكر طافور عندما ذهب للحج إلى بيت المقدس " ... يقدر ثمن استئجار الدابة بدوكين(٥) لا يزيد ولا ينقص "(٦)، وهذا يعني معرفة هذه العملة من قبل سكان الدولة المملوكية وانتشارها هناك، وعملة بلاد الفرنجة المسامات الإفرنتية(٧). وكانت العملة الأجنبية في مصر معروفة باسم مشخصة، بسبب صور القديسين وملوك الفرنجة، المنقوشة على وجهيها(٨).

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٩٣.

(٢) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٣٦.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ٢٣٧.

(٤) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢٣٧؛ ماجد، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك**، ص ٢٩٠.

(٥) دوك: عملة دولة البندقية، وهي نسبة إلى الدوك، وهو الدوق، ملك البندقية. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٤٥٤؛ ماجد، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك**، ص ٢٩١

(٦) طافور، **رحلة**، ص ٤٢

(٧) الإفرنتية، جمع افرنتي، وأصله فرنسي، نسبة إلى إفرنسة. وهي أحد مدن الفرنجة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٠٨.

(٨) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٠٠؛ ماجد، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك**، ص٢٩١.

أهم مراكز التجارة الخارجية في مصر:

لم يلاقي سلاطين المماليك صعوبة في استيراد البضائع من الخارج لوقوع كثير من الموانئ وطرق القوافل تحت سيطرتهم وكانت تصل إلى مصر منتوجات الشرق، من الصين والهند واليمن عن طريق البحر الأحمر، ومنتوجات الغرب عن طريق البحر المتوسط، لذا كان لا بد أن يكون هناك مراكز تجارية لهذا المنتجات، ومن أهم هذه المراكز بالنسبة لتجارة الغرب الإسكندرية ودمياط.

الإسكندرية: وهي ميناء مصر الرئيسي على البحر المتوسط، قال عنها العمري: " الإسكندرية هي فرصة الغرب، والأندلس، وجزائر، الفرنج، وبلاد الروم، وإليها ترد شوانيها، وتجلب بضائعها، ومنها تخرج أغراضها"(١) ولها أربعة أبواب(٢) وفيها طريق رئيسي يصل الباب الشرقي، بالباب الغربي، وفيها الحي التجاري وهو من أكبر أحياء المدينة وأكثرها ازدحاما ، وفيه تنتشر مؤسسات الأجانب ومراكز قنصلياتهم(٣)، حيث كان للدول الأوربية بالمدينة قناصل وسفراء ووكالات وفنادق، وفيها ميناءان: البرج للسفن القادمة من اوربا، وميناء السلطة للسفن القادمة من شمال أفريقيا(٤). ويحمل إليها بضائع الشرق والغرب ويتحمَل إليها الأقمشة الأوربية المتنوعة، والبهارات من أسيا، والذهب من السودان، والأخشاب والمعادن من اوربا، وفيها تقام المبادلات التجارية العالمية(٥)، وكان خليج الإسكندرية يربط بين الإسكندرية والقاهرة ودمياط وعن طريق هذا الخليج تصل بضاعة القاهرة ودمياط إليها وبالعكس (٦).

---

(١) العمري، **مسالك الإبصار**، تحقيق دوروتيا، ص ١٥١

(٢) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ١١٣، ابن بطوطة، **رحلة**، ج ١، ص ١٧٩.

(٣) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ١١٣؛ الدواداري **زبدة الفكرة**، ص ٤١؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٩٠.

(٤) النويري، محمد بن قاسم الإسكندراني. (ت بعد ٧٧٥/١٣٧٢م)، **الإلمام بالإعلام فيما جرت به لأحكام والأمور القضية في وقعة الإسكندرية**، ٤ أجزاء، تحقيق، ايتيفا كومب وعزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف الضحانية، حيدر إياد، الهند ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٩٨ وسيشار إليه فيما بعد: الإسكندراني، **الإلمام بالإعلام** ؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٩٠، فهمي **طريق التجارة الدولية**، ص ١٣١، شطناوي، **دولة المماليك الأولى**، ص١٣٠.

(٥) هايد، **تاريخ التجارة**، ح ٢، ص ٣٣- ٣٤، ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٩١.

(٦) العمري، **مسالك الأبصار**، تحقيق دورتيا، ص ١٥٢.

أمـا دميـاط، وهـو مـن المـوانئ المشـهور، يقـع علـى جانـب نهـر النيـل، وعلـى مقربـة مـن البحـر المتوسـط، ويعتبـر مخـرج التجـارة المصـرية إلـى البحـر المتوسـط[١]، حيـث كانـت تصـلها بضـائع الشـرق عـن طريـق البـر، ومنهـا إلـى البحـر المتوسـط[٢]، ولا تـدخل السـفن مينـاء دميـاط مباشـرة، لقـوة تيـار نهـر النيـل، فقد كانـت تخـرج منـه قنـاة تصـل إلـى مدينـة تنـيس حيـث كانـت ترسـو المراكـب[٣]، وفـي دميـاط عـدد كبيـر مـن الأجانـب مـن بنادقـة وجنـوبيين وغيرهم، وبها أيضاً قنصلية خاصة بفرسان القديس يوحنا[٤].

أمـا مدينــة قـوص، والتـي تقـع علـى الشـاطئ الشـرقي لنهـر النيـل[٥]، وكانـت ملتقـى تجـارة الـيمن والحبشـة والهنـد، وأصـبحت مركـز لنشـاط تجـار البهـار والفلفـل[٦]، قـال عنهـا يـاقوت:" محـط التجـار القـادمين مـن عـدن وأكثـرهم مـن هـذه المدينــة"[٧]، كمـا قـال عنهـا العمـري"... ذات ديـار جليلـة وفنـادق وربـاع وحمامـات، ومـدارس، يسـكنها جلـة مـن التجـار والعلمـاء، وذوي الأمـوال"[٨]، وكانـت تأتيهـا بضـاعة الهنـد والـيمن مـن مينـاء عيـذاب عبـر الصحراء ثم تنقل منها عبر نهر النيل إلى القاهرة والإسكندرية[٩].

عيـذاب مدينــة علــى الضـفة الغربيــة للبحـر الأحمـر، وكانـت مركـز تجمـع الحجـاج وتجـار الشـرق وسـلع الحبشـة والـيمن التـي تصـل إليهـا بحـراً [١٠]، وكانـت البضـائع تنقـل مـن عيـذاب

(١) الدواداري، **زبدة الفكرة**، ص ٣٥، ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٩٢.

(٢) هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٢٩٢؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٣٢.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٣٢،

(٤) **المرجع نفسه**، ص ١٣٢، شطناوي، **دولة المماليك الأولى**، ص ١٣٣.

(٥) العمري، **مسالك الإبصار**، ج ٣، ص ٤٨٧؛ المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٤٦٣؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٤١٣.

(٦) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٤٢- ١٤٣، ضومط، **الدول المملوكية**، ص ١٩٥.

(٧) ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٤١٣.

(٨) العمري، **مسالك الإبصار**، ج ٣، ص ٤٨٧.

(٩) **المصدر نفسه**، ج ٣، ص ٤٨٧؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٢، ص ٣٠.

(١٠) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) **المسالك والممالك**، جزءان، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦١٩، وسيشار إليه فيما بعد: البكري، **المسالك والممالك**؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ١٧١.

علـى ظهـور الإبـل إلـى قـوص[١]، قـال عنــه المقريـزي:" كانـت أعظـم مراسـي الـدنيا لأن مراكـب الهنـد واليمن تحـط فيهـا البضـائع، وتقلـع منهـا مراكـب الحجـاج[٢] "، وكـان مينـاء عيـذاب مـن أكثـر المـوانئ المرغـوب فيهـا مـن قبـل البحـارة وذلـك لقلـة الشـعاب المرجانيـة فـي مياهـه، حيـث قـال عنـه القلقشـندي: " وكـان أكثـر السـواحل واصـلاً لرغبـة رؤسـاء المراكـب فـي التعديـة مـن جـدة إليـه، وإن كانـت باحثـة متسـعة لغـزارة المـاء وأمـن اللحـاق بالعشـب الـذي يثبت في قعر البحر"[٣].

ثانياً: طرق التجارة العالمية والسلع المتبادلة.

أهم طرق التجارة العالمية.

تعـددت الطـرق التـي تـربط بـين الشـرق والغـرب، منهـا البحريـة ومنهـا البريـة، ومنهـا مـا يكـون جـزءاً منـه بحـراً وجـزءاً منـه بـراً، وهـذه الطـرق سـاعدت علـى نقـل بضـائع الشـرق إلـى الغـرب وبضـائع الغـرب إلـى الشـرق. وسـاعدت علـى أن يكـون هنـاك علاقـات تجارية بين سكان المعمورة، ومن أهم هذه الطرق:

١. طريـق الصـين إلـى الهنـد فـالخليج العربـي، وهـي مـن أقـدم الطـرق البحريـة القادمـة مـن الصـين والهنـد إلـى الخلـيج العربـي، وهـي طريـق بحـري مـن الصـين والهنـد إلـى رأس الخلـيج العربـي، ثـم يبـدأ فروعـه النهريـة والبريـة مـن البصـرة، إلـى بغـداد، ثـم يتفـرع فـرعين شـمالاً إلـى ديـار بكـر، وغربـاً إلـى دمشـق ومنهـا إلـى المـوانئ المملوكيـة علـى سـاحل البحـر المتوسـط الشـرقي، ثـم يتجـه بمحـاذات السـاحل إلـى غـزة، ويعبـر الصـحراء إلـى القـاهرة، وكـان فـرع آخـر يتجـه شـمالاً بـالقرب مـن حلـب، ثـم إلـى أسـيا الصـغرى، فالقسـطنطينية[٤] والفـرع الشـمالي إلـى حلـب كـان يسـتعمل كطريـق بـديل

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٣٧٤، عبد الفتاح، صفاء حافظ، **الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي**، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د. س، ص ١٨٩، وسيشار إليه فيما بعد: عبد الفتاح، **الموانئ والثغور**.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٣٧٤.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٦.

(٤) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١١٧- ١١٨؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٨٢؛ العناقرة، محمد محمود خلف، **الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٦٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠- ١٥١٧م)**، دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م، ص ٣٢، وسيشار إليه فيما بعد، العناقرة، **الحياة الاقتصادية في الحجاز**.

عند اشتداد القرصنة في البحر المتوسط[١]، وفقد هذا الطريق اتصاله بطرق وسط أسيا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بسبب غزوات المغول[٢] ويخدم هذا الطريق بالدرجة الرئيسية المدن والموانئ التي تقع على الخليج العربي مثل هرمز[٣]، وسيراف[٤] والبصرة، والأبلة[٥].

٢. طريق البحر الأحمر والهند، والصين، ويتفرع إلى فرعين، الفرع الأول: يبدأ هذا الطريق من مصر وينتهي في الهند والصين، حيث يبدأ من الإسكندرية مروراً بالقاهرة، عبر نهر النيل وصولاً إلى قوص[٦] أو أسوان [٧]، ثم إلى عيذاب[٨] أو القصير[٩]، ومن عيذاب أو القصير كانت السفن تتجه إلى عدن وهي المحطة

---

(١) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٨٢.

(٢) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١١٨.

(٣) هرمز، فرضه كرمان ومركز تجارته تأتي إليها المراكب ومنها تنقل سلع الهند إلى كرمان وبحيتان وخراسان، تبعد عن الساحل حوالي ١٢ ميلاً، أبو الفداء، **تقديم البلدان**، ص ٣٣٩؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٢-٤؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١١٨.

(٤) هي فرضه فارس ليس فيها زرع الأضرع، بل هي مدينة حط وإقلاع لمراكب وهي مدينة كبيرة فيها تجار مياسير، وتعد من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان، أبو الفداء، **تقديم البلدان**، ص ٣٢٧؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج١، ص ٤١٠، وسيشار إليه فيما بعد؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**

(٥) الأبلة: بلدة على شاطئ دبلة في زاوية الخليج الذي يدخل البصرة، وهي أقدم من البصرة. ياقوت، **معجم البلدان**، ج ١، ص ٧٧، ٤٣٠.

(٦) قوص: مدينة كبيرة في صعيد مصر، وهي محطة التجار القادمين من عدن، معد ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤١٣.

(٧) أسوان: مدينة كبير، من كورة الصعيد، وص آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة، تقع على شرق نهر النيل، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ١، ص ١٩٢.

(٨) عيذاب؛ مدينة مصرية تقع في أعلى الصحراء المعروفة بصحراء عيذاب على ضفة البحر الأحمر، وتقابل مدينة قوص، وهي مرسى للمراكب القادمة من عدن إلى الصحية، وتسير منها المراكب إلى مدينة سواكن. ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ١٧١.

(٩) ابن جبير، **رحلة**، ص ٣٧ وما بعدها؛ ابن بطوطة، **رحلة**، ج ١، ص ٢٢٨؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ١٦، والقصير: وهي فرضة قوص على البحر الأحمر تقع شمال عيذاب وفيها مرفأ سفن اليمن، وكان يصل إليه بعض المراكب لقرية من قوص وبعد عيذاب عنه، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٣٦٧؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٣٦.

الرئيسية لانطلاق الرحلات البحرية[١]، ومن عدن كانت السفن تتجه إلى الهند والصين، مباشرة عبر المحيط الهندي[٢].

وقد تحدث القلقشندي عن هذا الطريق وسماه الطريق الموصل إلى مملكتي السند والهند، وهو يبدأ من سواحل مصر، حيث ذكر " من السويس، والطور، والقصير" وعيذاب إلى عدن من اليمن في هذا البحر (البحر الأحمر)، ومن عدن إلى أن يركب في بحر الهند المتصل ببحر القلزم، إلى سواحل السند والهند"[٣].

أما الفرع الثاني. يتجه شمالاً عبر أيلة[٤] العقبة، إلى عبر سيناء[٥] ثم إلى القاهرة، ومنها إلى دمياط[٦] والإسكندرية فأوربا، ويتجه منه فرع إلى دمشق وموانئ ساحل البحر المتوسط[٧].

وقد حرص المماليك على تشجيع التجارة الخارجية، لما تجلبه من موارد ورخاء عام للخزينة؛ لذلك شجعوا التجارة مع أوربا، ونشأت مراكز تجارية للأوربيين في بعض الموانئ والمدن، كما أولوا التجارة مع الهند والشرق الأقصى اهتمام خاص، وذلك من خلال توفير الحماية للطرق التجارية، توفير الأمن للتاجر على نفسه

---

(١) مجهول، (مؤرخ مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، د. ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٨٧. وسيشار إليه فيما بعد: مجهول، **الاستبصار**؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٠٠٢م، ص ١٧٣، وسيشار إليه فيما بعد، اليعقوبي، **البلدان**.

(٢) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج١، ص ٥٤؛ الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٦٤م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط ٢، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م ص ٤٠٨. وسيشار إليه فيما بعد: الحميري، **الروض المعطاء**؛ ابن الوردي، أبو حفص عمر بن الوردي، (ت ٨٦١هـ / ١٤٥٦م)، **فريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٥١، وسيشار إليه فيما بعد، ابن الوردي، **فريدة العجائب**.

(٣) القلقشندي،**صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٨٢.

(٤) أيلة، مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ١، ص ٢٩٢.

(٥) سيناء: اسم موضع بالشام يضاف إليه طور فيقال طور سيناء، وهو جبل الذي كلم فيه الله تعالى موسى (عليه السلام) ونودي فيه. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٣٠٠.

(٦) دمياط، من أشهر الموانئ البحرية النيلية تقع عند مصب نهر النيل الشرقي، وهي حلفه وصل بين نهر النيل والبحر المتوسط، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٧) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٢٤؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٨٢؛ العناقرة، **الحياة الاقتصادية في الحجاز**، ص ٣٦- ٣٧.

وماله[1]، ومنذ منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ازدهر طريق البحر الأحمر الهند، بالتجارة وذلك، لتعطيل الطرق التجارية الأخرى بسبب الغزوات المغولية لغرب أسيا، وامتداد نفوذهم إلى الشام وأسيا الصغرى، واحتلالهم بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، واتخاذ هولاكو فارس مركزاً لدولته في الشرق الأوسط[2].

٣. طريق البحر الأحمر – شرق أفريقيا: ويبدأ من أحد موانئ البحر الأحمر إلى باب المندب ثم السواحل الإفريقية[3]، حيث ذكر الرحال فارتيما، " وعند وصولنا باب المندب... فأولئك الذين يرغبون في الذهاب إلى زيلع[4] يبحرون إلى يمينهم، أما الذاهبون إلى عدن فيتجهون إلى شمائلهم"[5]، يتبين من هذا النص أن نقطة الانطلاق إلى السواحل الشرقية لأفريقيا تكون من مضيق باب المندب، ولكن ابن بطوطة انطلق من نقطة ثانية إلى هذه السواحل وهي ميناء عدن حيث ذكر " وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع"[6] وكانت المراكب تبحر من زيلع إلى اليمن، لتصل إلى جدة [7]، قال الإصطخري عنه " ولهم على الشط موضع يقال له زيلع، فرضه للعبور إلى الحجاز واليمن"[8]، ولم يكن هناك طريق منتظم تسير به السفن إنما كانت تسير على طول الساحل الإفريقي الشرقي[9]، ذكر المقريزي، عن هذا الطريق: " وأما طريق بلاد الزنج فإنهم أخبروني عن مسيرهم في بحر الصين

---

(١) الدوري، عبد العزيز، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، ط ٥، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٠٨، وسيشار إليه فيما بعد: الدوري، مقدمة في ال**تاريخ** الاقتصادي؛ العناقرة، **الحياة الاقتصادية في الحجاز**، ص ٣٧؛ عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٣٠٣.

(٢) عاشور، **العصر المماليكي**، ص ٢٩٦ – ٢٩٧؛ العناقرة، **الحياة الاقتصادية في الحجاز**، ص ٣٨.

(٣) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٣٥٣.

(٤) زيلع: قرية على ساحل البحر الأحمر من ناحية الحبشة، وهي مدينة كبيرة ولها سوق عظيم وكان أكثر معيشة سكانها على الصيد، ياقوت **معجم البلدان**، ج ٣، ص ١٦٤؛ ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٥٢، ص ١٤٢.

(٥) فاريتما، لودوفيكو، **رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)**، ترجمة وتعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٦٧، وسيشار إليه فيما بعد: فارتيما، **رحلات**.

(٦) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٢، ص ١١٤.

(٧) الإصخطرى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، **المسالك والممالك**، د. ط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. س، ص ٣٢. وسيشار إليه فيما بعد: الأصخطري، **المسالك والممالك**.

(٨) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٧٥؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٣٥٤.

(٩) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٣٥٤.

إلـى بـلاد الـزنج بـالريح الشـمالي، مسـاحلين للجانـب الشـرقي مـن جزيـرة مصـر"[١] كمـا كـان هنـاك طريـق مـن عـدن إلـى مقديشـو دون المـرور علـى زيلـع لتصـل إلـى كلـوة وجـزر القمـر، وهـي آخـر محطـة إفريقيـة وصـل إليهـا الرحـال ابـن بطوطـة[٢]، كمـا كـان هنـاك طريـق مباشـر يـربط بـين شـرق أفريقيـة والهنـد[٣]، وكانـت الـرحلات إلـى شـرق أفريقيـا، تكـون فـي مواسـم محـددة وهـي مواسـم هبـوب الريـاح الشـمالية الشـرقية، والتـي تهـب بـين شـهري كـانون الأول وآذار، وتعـود بمسـاعدة الريـاح الجنوبيـة الغربيـة التـي يبـدأ هبوبهـا بين شهري حزيران وتشرين الأول[٤].

٤. طريـق عـدن إلـى الهنـد والصـين، مـروراً بـالخليج العربـي، حيـث كـان هـذا الطريـق بمحـاذاة ساحل بحـر العـرب مـن عـدن إلـى صـحار [٥] فـي عُمـان ليتجـه بعـد ذلـك إلـى بـلاد فـارس والهنـد والصـين[٦]، وتقطـع المسـافة بـين ظفـار [٧] والهنـد، فـي مـدة شـهر مـع مسـاعدة الـريح، حسـب قـول ابـن بطوطـة: حيـث ذكـر: " يقطـع البحـر فيمـا بينهـا (ظفـار) وبـين بـلاد الهنـد مـع مسـاعدة الـريح فـي شـهر كامـل، وقـد قطعتـه مـرة مـن قـالقوط (كـاليكوت) مـن بـلاد الهنـد إلـى ظفـار فـي ثمانيـة وعشـرين يومـاً بـالريح الطيبـة لـم ينقطـع لنـا جـري بالليـل ولا بالنهـار"[٨]. وسـيطر علـى هـذا الطريـق مـن طرفيـه دولتـان تجاريتـان عظيمتـان، ففـي طرفـه الشـمالي الصـين، وكانـت تحكمـه أسـرة منـح (٧٧٠ هــ - ١٠٥٣/ ١٣٦٨ ــ ١٦٤٣م)، وفـي طرفـة الغربـي دولـة سـلاطين المماليـك (٦٤٨ ــ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م) [٩].

---

(١) المقريزي، **الخطط**، ج ١، ص ٣٥٦.

(٢) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٢، ص ١٢٢؛ العماير، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٣٥٥.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٧٦؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٣٥٥.

(٤) عثمان، شوقي عبد القرى، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية**، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٩٠م، ص ٦٦- ٦٧، وسيشار إليه فيما بعد عثمان، **تجارة المحيط الهندي**.

(٥) صحار: قصبة عُمان مما يلي الجبل، ممتدة على البحر، ومسقط من نواحي عُمان في آخر حدودها فرب اليمن على ساحل البحر، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٣ و ٥، ص ٣٩٣ و ١٢٧.

(٦) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٦١؛ عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص ٦٦.

(٧) ظفار: هي مدينة يمنية تقع ساحل بحر الهند، ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٦٠.

(٨) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٢، ص ١٢٣.

(٩) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٦١ ــ ١٦٢.

٥. طريق بري يأتي من وسط أسيا عبر الهند وجبالها إلى نهر الأثيل (اتل) ثم إلى بخارى. ثم يتفرع إلى طريقتين: الأول يتجه إلى بحر قزوين فنهر الفلجا وبلاد البلغار. والثاني يتجه إلى البحر الأسود وموانيه، ثم يصل إلى القسطنطينية؛ ومن ثم إلى الموانئ الأوربية ومدنها، وتخرج منه فروع في بعض الأحيان إلى بغداد وديار بكر، وحلب وساحل البحر المتوسط، وفرع آخر إلى أرمينا وأسيا الصغرى ليصل إلى القسطنطينية[١]، وكانت ميزة هذا الطريق تأثره بالظروف السياسية والحربية، التي تسود المناطق التي يمر بها، وقد تعددت مرات إغلاق هذا الطريق، وتوقف حركة التجارة من مدنه وموانيه بسبب الصراع الحربي[٢]، الذي كان يسود هذه المنطقة[٣].

السلع التجارية المتبادلة بين الشرق والغرب

تعتبر فترة القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، العصر الذهبي للازدهار التجاري بين الشرق والغرب، فقد كان المماليك في هذه الفترة وسطاء لنقل السلع التجارية بين الشرق والغرب، وكانت أوربا تحتاج إلى التوابل في كثير من استخداماتها، سواء في حفظ الطعام لطول فترة الشتاء لديهم، أو لصناعة الخمور والمشروبات التي يعدونها ضرورية لمواجهة البرد، أو كعقاقير طبية وأدوية يتعالجون بها، وكانت التوابل والأفاوية الشرقية هي غذاء الأغنياء في غرب أوربا. كما كان البخور الشرقي من متطلبات الكنائس الغربية، وكانت تجارة التوابل تجارة قديمة بين شرق أسيا وأوربا عن طريق اليمن والبحر الأحمر[٤].

---

(١) زيادة، نقولا، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢١٩، وسيشار إليه فيما بعد، زيادة، **الجغرافية والرحلات**؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٥٤؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ١٨٣؛ غوانمه، يوسف حسن درويش، **إمارة الكرك الأيوبية**، منشورات بلدية الكرك، الأردن، ١٩٨٠م، ص ٣٣٧. وسيشار إليه فيما يعد: غوانمة، إمارة الكرك.

(٢) الصراع بين العثمانيين، والتركمان، والجيوب الرومانية على البحر الأسود، ثم الصفويين والمماليك. فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٥٤.

(٣) غوانمة، **إمارة الكرك**، ص ٣٣٧؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٥٤.

(٤) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٩١؛ الصافي، محمد حسين،(٢٠٠٨م)،**العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر القرن ٨ هـ / ١٤م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، اليمن، ص ٧٦، وسيشار إليه فيما بعد: الصافي، **العلاقات التجارية**.

ويمكن تقسيم هذه السلع إلى قسمين: صادرات شرق أسيا وأفريقيا إلى أوربا، والصادرات الأوربية إلى مصر وشرق أسيا.

١ ـ صادرات شرق أسيا وأفريقيا إلى اوربا.

كان لمنتجات الصين والهند رواج كبير في أوربا وعليها طلب متزايد، حيث كانت تصدر إلى الغرب العشرات من السلع التجارية الشرقية، من التوابل والعقاقير الطبية، والسلع التي تدخل في الصناعة والسلع الغذائية وغيرها.

التوابل:

كانت تجارة التوابل تجارة قديمة بين آسيا وأوربا، ومن أبرز الطرق التي كانت تنقل هذه السلع طريق اليمن والبحر الأحمر إلى القاهرة والإسكندرية ثم إلى أوربا، ويعد الفلفل من أهم سلع التوابل، وهو ثمرة شجرة الفلفل، وهو على ثلاثة أنواع طويل وهو غير ناضج، وأبيض وهو الذي لم يعرض للشمس، والأسود الناضج، وهو أفضلها، وقد كان الطلب عليه أكثر من أي تابل آخر [١]، ذكر ابن جبير عن ضخامة، تجارة الفلفل التي كانت تمر عبر عيذاب بقوله: " وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل فلقد خيل إلينا لكثرته أنه يوازي التراب فيه"[٢] وأدى هذا الطلب المتزايد إلى إرتفاع أسعاره، حتى صار في أوربا مثل شائع في العصور الوسطى بتشبيه الشيء النادر بالفلفل فيقولون: " غالي كالفلفل"[٣] وكانت مصادر الفلفل جاوة وماليزيا وكمبوديا والساحل الغربي للهند من منجرور (مانجلور) الحالية حتى كولم (كورلون) وسيلان[٤].

أما القرفة: أو الدار الصيني وهي من التوابل المهمة التي كانت تصدر من شرق أسيا وأفريقيا إلى أوربا، وهي من السلع التي دخلت في صناعة العقاقير الطبية[٥]، شجرتها تشبه شجرة الصفصات إلا أنها أكثر ارتفاعاً منها، ولحاء الشجرة هو المستخدم في الصناعات الطبية[٦]، فأجوده الأحمر اللون[٧]، ومناطق إنتاج القرفة في كل من الهند الصينية والهند، وكذلك جنوب الصين، ولأجل ذلك أطلق عليها الفرس لقب دار

---

(١) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٩٧؛ عثمان، **تجارة المحيطة الهندي**، ص ١٥٠.

(٢) ابن جبير، **رحلة**، ص ٣٩- ٤٠.

(٣) عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص ١٥٠؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٩٩؛ الصافي،**العلاقات التجارية**، ص ٧٩.

(٤) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٠٠؛ الصافي،**العلاقات التجارية**، ص ٨١.

(٥) الصافي، **العلاقات التجارية**. ص ٨٤؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٠١.

(٦) فهمي، **طرق التجارة الدولية، ص ٢٠١**؛ عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص ١٥١.

(٧) الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ٨٤.

صيني ومعناها خشب الصين[١]، وذكر ابن بطوطة أنه في بعض مناطق الهند الصينية نظرا لكثرة أشجار القرفة فإنهم كانوا يستعملونها حطباً لهم[٢].

والزنجبيل من التوابل المهمة التي كانت تصدر من شرق أسيا إلى أوربا عبر الأراضي العربية، ويوجد في الأرض على شكل عروق، وليس بشجرة، ويؤكل رطباً كما يؤكل البقل، وعادة ما يستعمل يابساً[٣]، وهو من أكثر التوابل شيوعاً وتداولاً ولا يقل في استعماله عن الفلفل والبهار، ويباع في الأسواق على صورتين إما أخضر، أو مخلوط بالسكر، ويدخل في صناعة العقاقير الطبية والخمور، ويزرع في الهند، وخاصة ساحل المليبار[٤]، والصين، وسمرقند وبعض البلاد العربية[٥]، ومن سلع الشرق المصدرة إلى أوربا القرنفل، وهي تكون ثمره وعيدان ونباتي[٦]، وقد اشتهرت الهند وجزر الصين بزراعته وإنتاجه[٧]، وذكر ابن بطوطة أن شجر القرنفل في جاوة بسبب كثرته وصل إلى درجة أنه لا يملكه أحد[٨]، وكان يستخدم بكثرة في العصور الوسطى، سواء في تركيب بعض الأدوية، أو كتابل للطعام والمشروبات[٩].

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٥٩؛ العمري، **مسالك الإبصار**، ج ٣، ص ٤٠؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج٤، ص ٩٨؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ٨٤.

(٢) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٤، ص ٤٩.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٠٥؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ٨٥.

(٤) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٣، ص ٩٤؛ جابر، **تاريخ التجارة**، ج٢، ص ٣٩٠.

(٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٧٩؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٠٥؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ٨٦.

(٦) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٠٣؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ٨٧.

(٧) ابن خرداذية، **المسالك والممالك**، ص ٧٠؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٨٩؛ شيح الربوة، أبو عبد الله محمد بن طالب، (ت ٦٤٥هـ/ ١٢٥٦م) **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ليبز، ١٩٢٣م، ص ١٥٤٠. وسيشار إليه فيما بعد، شيخ الربوة، **نخبة الدهر**.

(٨) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٤، ص ١١٨.

(٩) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٠٣؛ صابر، **تاريخ التجارة**، ج ٤، ص ١٠٥ ؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٠٦.

كمــا كــان يصــدر مــن الشــرق إلــى أوربــا جــوز الطيــب، وهــو معــروف مــن قــديم الزمــان فــي التجــارة الشــرقية[١]، ويســتخدم كتابــل للطعــام. وعقــار طبــي لعــلاج ضــعف الكبــد، والمعدة[٢]، ويوجد في جاوة وسومطرة ويورثيو وجزر الهند الشرقية[٣].

إضــافة لمــا ذكــر، يمكــن إضــافة أصــناف أخــرى مــن التوابــل التــي كانــت تســتورد مــن الشــرق، ومــن هــذه الأصــناف التــي ذكرتهــا المصــادر: القافلــة والنارجيــل والهرتــوة، والصندلان، الكبابة والإهليلج والهال أو الهيل[٤].

سلع العقاقير الطبية.

إلــى جانــب التوابــل والبهــارات كانــت هنــاك ســلع تســتخدم فــي تركيــب العقــاقير الطبية. مثل الراوند والكافور والإهليلج والسنبل وغيرها[٥].

الكــافور: ويســمى أيضــاً زرنبــا وأوزرنبــا أو يشــبه الزنجبيــل فــي لونــه وطعمــة[٦]، ويجلــب مــن أرض الصــين وكــذلك مــن الجــزر الهنديــة، وســومطرة[٧]. يقــول عنــه ابــن رســول: " ... يســمن تســمينها صــالحاً، وخاصــيته قطــع رائحــة الثــوم والبصــل والشــراب، ويحلــل الــريح، ... وينفع من تهمش الصوام"[٨].

---

(١) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢١٨.

(٢) ابن رسول، المظفر يوسف بن عمر بن علي، (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)، **والمعتمد في الأدوية المفردة**، ضبطة وصححه محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٥٨، وسيشار إليه فيما بعد ابن رسول، **المعتمد**.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢١٨.

(٤) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص ٧٠؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٥٤، ٨٩؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٧ في الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ٩١- ٩٤.

(٥) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٠٨.

(٦) ابن رسول، **المعتمد**، ص ١٤٤.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك، ص ٧؛ ابن رسول، **المعتمد**، ص ١٤٤؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٥٤؛ العمايرة، **موانئ البحر الحمر**، ص ٢٠٨.

(٨) ابن رسول، **المعتمد**، ص ١٤٤- ١٤٥.

الإهلـيلج: وهـو أنـواع أفضـلهن الكـابلي[١]، ويفيـد فـي عـلاج أمـراض المعـدة والأمعـاء والبصـر[٢]، ومصـدره الهنـد وأفغانسـتان وخراسـان، وخصوصـاً سـاحل الميليـار[٣]؛ كمـا اسـتعمل الراونـد[٤] فـي صـناعة الأدويـة، ومـن أنواعـه الراونـد الصـينين والراونـد الزنجـي، ومصـدره الصـين وأواسـط أسـيان ويصـل إلـى اوربـا عـن طريـق البحـر الأحمـر [٥]؛ وهنـاك أنـواع أخـرى كانـت تسـتخدم فـي صـناعة العقـاقير الطبيـة وكثـر الطلـب عليها منها الحفص، والمن المعروف بالصبر الكيدي، والحيهان وجوز الطيب[٦].

العطـور والبخـور: وهـو علـى أنـواع، منهـا عـود النـد والمسـك، وخشـب الصـندل والعنبـر والبخـور واللبـان الجـاوي، أمـا المسـك فهـو إنتـاج حيـواني يؤخـذ مـن دابـة يوصـفها القلقشـندي بقولـه: " واصـل المسـك مـن دابـة ذات أربـع، أشـبه شـيء بـالظبي الصـغير"[٧] وهو أنواع أفضلها مسك التبت، وبعده المسك، السعدني، ثم الصيني[٨].

أمـا العنبـر، فهـو عطـر بحـري شـهير يسـتخرج مـن المحـيط، وقـد اختلـف فـي مصـدره، مـنهم مـن يقـول: " روث دابـة بحريـة" [٩]، ويـرى بعـض أنـه يسـتخرج مـن الأسـماك[١٠]، ويحتـل العنبـر محـل الصـدارة بـين أنـواع العطـور الممتـازة، ومـن مصـادر

---

(١) الدمشقي، أبي الفضل جعفر بن علي، (كان حيا سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٧. وسيشار إليه فيما بعد: الدمشقي، **الإشارة**.

(٢) فهمي؛ **طرق التجارة**، **التجارة** الخارجية، ص ٢١٣؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ٤، ص ١٤٥.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢١٣- ٢١٤؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٠٨.

(٤) الراوند، جزء نبان يستخرج من الأرض وهو رطب، ويعلق بخيوط حتى يجف، ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد، (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ٤ أجزاء، د. ط، د. م، د. ت، ج ٢، ص ٤٢٤، وسيشار إليه فيما بعد، ابن البيطار، **الجامع**.

(٥) ابن البيطار، **الجامع**، ج ٢، ص ٢٢٤؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٤، ص ١٧٣؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٠٩.

(٦) فهمي، **طرق التجارة** الدولية، ص ٢١٥ – ٢١٨.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٢٦.

(٨) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ١٣٧؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ١١؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٢٦- ١٢٨.

(٩) ابن البيطار، **الجامع**، ج ٣، ص ١٣٤؛

(١٠) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٣٠؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٢٩؛ عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص ١٥٥؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٠.

العنبر، الهند وجزيرة مدغشقر، وزنجبار وسيلان [١] وفي مصر للعنبر شهرة كبيرة حتى أنه كان له سوق يسمى سوق العنبريين[٢] وأحسن أنواع العنبر " المند، ولونه يضرب إلى السواد" [٣].

كان يصدر من الشرق خشب الصندل، وهو ذو رائحة عطرية طبية، ويكون على ثلاثة أنواع، أبيض وأصفر ليموني، وأحمر[٤]، والصندل الأبيض يحتوي على رائحة عطرية طيبة[٥]، وتوجد هذه الأشجار في جزر المحيط الهندي والملايو، وفي جاوة وسومطرة[٦]. وقد ذكر القلقشندي سبع أنواع منه وهي" المقاصيري، الأبيض ومنه الربح، الجوزي، السادس ويقال الكاوس، يضرب لونه إلى الحمرة، صندل جعد الشعرة، أحمر اللون"[٧].

ومن الأخشاب العطرية المصدرة من الشرق العود الهندي، وهو عروق أشجار تقلع وتدفن في الأرض حتى تتعفن القشرة ومحيطها ويبقى العود الخالص [٨]، ومن أجود أنواعه العود

المندي، ويليه الهندي[٩]، واشتهرن بإنتاجه الهند وكشمير وسرنديب وجاوة[١٠]، وقد ذكر ابن بطوبطة إن شجرته تشبه شجرة البلوط[١١].

---

(١) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٣٠؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٠.

(٢) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٨٦.

(٣) الدمشقي، **الإشارة**، ص ٣١

(٤) ابن رسول، **المعتمد**، ص ٢١١، ص ٢١١، هايد، **تاريخ التجارة**، ج ٤، ص ٨٥؛ فهمي، **طرق التجارة** العالمية، ص ٢٣١؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ١١٠.

(٥) الدمشقي، **الإشارة**، ص ٣٣؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١١.

(٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٣٧؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٣١.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٣٧ – ١٣٩.

(٨) الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ١٠٣.

(٩) ابن رسول، **المعتمد**، ص ٢٥١.

(١٠) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ١٣٣.

(١١) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٤، ص ١١٨.

الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة:

لم تقتصر تجارة الشرق الأقصى على التوابل والعطور فحسب، بل هناك أيضاً سلع أخرى كان التجار ينقلونها إلى أوربا، مثل الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة واللؤلؤ.

ومن الأحجار الكريمة الياقوت، ويكثر في سيلان[١]، وذكر ابن بطوطة عن كثرة الياقوت في سيلان أنه " جميع النساء بجزيرة سيلان لهن القلائد من الياقوت الملون ويجعلنه في أيديهن وأرجلهن عوضاً من الأسورة والخلاخيل"[٢].

ومن الأحجار الكريمة الأخرى التي كانت تصدر من الشرق الماس، وهو جوهر يشبه الياقوت في الرزانة والصلابة وأشكاله مضرسة مخروطية[٣]، والعقيق وفيه الأحمر، والأبيض والأصفر، والأحمر أجودهن وأغلاهن ثمناً[٤]، ويصدر من الموانئ الهندية[٥] ، ومن السلع التي كانت رائجة في ذلك الوقت اللؤلؤ واشتهرت مناطق إنتاج اللؤلؤ على طول شواطئ المحيط الهندي[٦] كما كانت هناك مصائد في جزيرة خارك في بحر فارس، وجزيرة زنجبار[٧] وجزيرة سيلان من مصادر اللؤلؤ ويوصف اللؤلؤ المصدر عنها بالفائق الجودة [٨].

أما المعادن النفيسة التي كانت تصدر من الشرق إلى أوربا، من أهمها الذهب، وهو أكثر المعادن احتفاظاً بمكانته على مد العصور، فضلاً عن استعماله في العروش للتيجان والحلى، وكانت له أهمية كبيرة في التبادل التجاري[٩]، ويوجد الذهب في جزيرة

---

(١) فارتيما، **رحلات**، ص ١٥٩؛ العيني، **عقد الجمان**؛ ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٤، ص ٨١.

(٢) ابن بطوطة، **رحلة** ج ٤، ص ٨٣.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١١٣؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٤، حاشية (٢).

(٤) الدمشقي، **الإشارة**، ص ٣٠، فارتيما، **رحلات**، ص ١٠٢.

(٥) فارتيما، **رحلات**، ص ١٠٢؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٤.

(٦) عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص ١٥٥.

(٧) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ١٦٢.

(٨) عثمان، **تجارة المحيط الهندي**، ص ١٥٧.

(٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٠٦؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٧٦؛

صنجى[١]، وجزيرة زنجبار من جزائر بحر الزنج وجزر القمر [٢]، وجزر الواقواق في الصين [٣] فهي كثيرة الذهب " حتّى ان اهلها يتّخذون سلاسل كلابهم واطواق قرودهم من ذهب" [٤]، كما توجد مناجم للذهب في مصر، بالصحراء بين أسوان وعيذاب وأكبر مدن إنتاجه العلاقي [٥]، كما كان الزمرد الهندي يصل من الهند إلى عدن، ومنها إلى جدة أو عيذاب وإلى أوربا [٦]، كما اشتهر الصعيد في مصر بوفرة مناجم الزمرد، وتقع مناجمه على الحدود بين مصر والنوبة على مقربة من أسوان، وكان إنتاج هذه المناجم ملكاً لسلاطين المماليك[٧].

سلع أخرى:

ومن السلع الأخرى التي كانت تصدر من شرق أسيا إلى أوربا المنسوجات الحريرية، وطرز الديباج والحرير الصيني، والثياب المتخذة من الحشيش، والثياب القطنية [٨]، وذكر فارتيما إنتاج مدينة كامبي[٩]، للقطن قائلاً: " ويتم إنتاج كميات هائلة من القطن هنا، ففي كل عام يتم تحميل أربعين أو خمسين سفينة بالمنسوجات القطنية والحرير التي تصدر للبلاد المختلفة"[١٠].

---

(١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٩٢.

(٢) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ١٦٢؛ وجزيرة القمر: جزيرة في وسط بحر الفرنج، وهي من أكبر جزر ذلك البحر، ياقوت، **معجم البلدان**، ح ٤، ص ٣٩٧.

(٣) ابن خرداذية، **المسالك والممالك**، ص ٦٩؛ شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ١٦٧؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٦.

(٤) ابن خرداذية، **المسالك والممالك**، ص ٦٩؛ شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ١٦٧.

(٥) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٥٣

(٦) مجهول، **الاستبصار**، ص ٨٦؛ الحميري، **الروضة المعطار**، ص ٤٨٧؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٧

(٧) الحميري، **الروض المعطار**، ص ٥٨؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٥٠.

(٨) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٥٤، ٨٤؛ ابن خرداذية، **المسالك والممالك**، ص ٧؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٧.

(٩) كامبي: مدينة كتابية أو كتبايتن وهي ميناء مشهور في الساحل الهندي الغربي، ويقصده التجار المسلمون، أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ٣٥٧.

(١٠) فاريتما، **رحلات**، ص ١٠١.

ومن السلع الأخرى الأخشاب المتنوعة، ومنها أخشاب الأبنوس[١].والخيزران، وخشب النارجيل والساج[٢]، والتي تستخدم في صناعة السفن، وأفضل أنواع الخشب المستخدم في صناعة السفن، خشب الساج، ومناطق تواجده غايات في جنوب الهند وبورما وسيام وجزر الهند الشرقية [٣].

وهناك سلع أخرى كانت تصدر من الهند والصين عبر البحر الأحمر إلى مصر ومنه إلى أوربا، منها السروج المصنوعة من الجلد[٤]، والسيوف الهندية والعاج، الذي استخدم في الدولة المملوكية لترصيع وتطعيم التحف والمنابر والقصور[٥]، وكانت جلود الحيوانات أيضاً من السلع التي كانت تصدر من شرق أسيا إلى أوربا، كجلود النمور والثيران[٦]، والطيور بأنواعها، كالببغاء[٧]. ومن الحيوانات كالفيلة والزرافات والأسود[٨].

إضافة لما كانت تلعبه مصر من دور الوسيط في التجارة بين الشرق والغرب، كذلك كانت تصدر من إنتاجها الخاص للغرب. مثل: السكر، والتمر، والموالح والكبر، والبلسم، والقطن والكتان، والشب، والصبغات[٩]، كما كانت تصدر المنسوجات القطنية والنيلية والحريرية من مصر والشام إلى سائر البلدان الإسلامية وأوروبا والشرق الأقصى والهند[١٠].

---

(١) الأبنوس: شجر له خشب أسود فيل، هو الساسم وقيل غيره. آل ياسين، محمد حسن، **معجم النبات والزراعة**، جزءان، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠١٢، بيروت، ٢٠١٢م، ج ١، ص ٣٩٥، وسيشار إليه فما بعد. آل ياسين معجم النبات.

(٢) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢١٩. الساج: شجر كبير يذهب هؤلاء عرضاً ولأوراق كبيرة يتغطى الرجل بورقه. له رائحة طيبة خشبة أسود، آل ياسين، **معجم النبات**، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٤٩.

(٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٥٤؛ سونيا، ي. هاو، **في طلب التوابل**، ترجمة محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٧م. ص ٥٤، وسيشار إليه فيما بعد، سونيا، **في طلب التوابل**.

(٥) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٤١؛ سونيا، **في طلب التوابل**، ص ٥٤.

(٦) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج ١، ص ٦٠- ٦١؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٤١٩.

(٧) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص ١٦١؛ طافور، **رحلة**، ص ٧٨.

(٨) البكري، **المسالك والممالك**، ج ١، ص ٣٢١؛ الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٤١٩.

(٩) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٩٦.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٤٤.

ومن السلع التجارية التي كانت تستخدم للأغراض الصناعية الصمغ، منها صمغ اللك، وهو نوع من العصارة تخرج من بعض النباتات عند أحداث شقوق في لحائها. وأنواعه أخضر وأحمر غامق ونوع ثالث وسط بين الأحمر والأخضر[١]. ومناطق إنتاجه الهند. وجزر الهند الصينية، وبورما وسومطرة وسيام[٢].

وكانت تجارة الرقيق تلقى رواجا في شرق البحر المتوسط وخاصة في دولة السلاطين المماليك، وأهم مصادر الرقيق بلاد الإغريق وحول بحر قزوين وأرمينيا. ومناطق البحر الأسود، وفارس، وآسيا الصغرى، وبلاد التتار، وبلاد القوقاز، والجركس[٣]، وقد ذكر طافور أن أهل كافا" يبيع الأب أطفاله والأخ أخاه"[٤].

وذكر كذلك: " ... ويزعمون أن بيع الأطفال ليست خطيئة لأنهم عطية أعطاهم الله إياهم للمنفعة، وإن الله سيرعى الأطفال حينما ذهبوا أكثر مما يرعاهم لو كانوا مع أبائهم" [٥]. وتركزت تجارة الرقيق في مينائي كافا وتانا على البحر الأسود ويخضعان للجمهوريات الإيطالية، وكان لسلاطين المماليك وكلاء في ميناء كافا يشترون العبيد ويرسلونهم إلى القاهرة[٦].

٢- الصادرات الأوربية إلى مصر وشرق أسيا:

كان من نتيجة اهتمام سلاطين المماليك بالتجارة، وتشجيع التجار للقدوم إلى مصر أن أصبحت هناك علاقات تجارية واسعة بين مصر وأوروبا. وكثر عدد الجاليات الأوربية في القاهرة، والإسكندرية، وعقدت العديد من الاتفاقيات والمعاهدات التجارية بين مصر والدول الأوربية، مما أدى إلى تنوع السلع المتبادلة بين الطرفين وخاصة بعد أن لعبت مصر دور الوسيط بين تجارة الشرق والغرب، وهنا سوف نتطرق إلى أنواع السلع التي كانت تصدر من أوربا إلى مصر.

---

(١) فهمي، **طرق التجارة الدولية،** ص ٢٣٤؛ الصافي، **العلاقات التجارية،** ص ١٠٥.

(٢) الصافي، **العلاقات التجارية**. ص ١٠٥.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية،** ص ٢٢٠؛ ماجد، **التاريخ السياسي لدولة المماليك،** ص ٢٨٣.

(٤) طافور، **رحلة،** ص ١٣٤.

(٥) **المصدر نفسه،** ص ١٣٤.

(٦) **المصدر نفسه،** ص ١٣٤؛ فهمي، **طرق التجارة،** ص ٢٢١.

فكانت البندقية تصدر إلى مصر الأخشاب والحديد التي كان المصريون يستخدمونها في صناعة السفن، وكذلك كانت تصدر إلى جانب الحديد الرصاص والنحاس ومعدن الذهب والفضة[١].

كما كانت بيزا خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي تصدر الحديد والخشب إلى مصر، رغم قرار الخطر من الكنيسة[٢]. وكانت أوربا تصدر النحاس إلى مصر وشرق أسيا والذي كان يصدر من المدن الإيطالية واليونان[٣]، وكان معدن النحاس له أهمية كبيرة في مصر لأنه كان يستخدم في سك العملة، وتغليف أبواب المساجد وقصور السلاطين، واستخدم في صناعة التحف، كما كان يدخل في صناعة التكفيت إلى جانب البرونز والذهب والفضة. كذلك كان يصنع من النحاس القدور [٤].

وكانت تصدر أوربا المنسوجات والأقمشة إلى مصر وبلاد الشام، ومن أهم سلع المنسوجات التي كانت تحمل من أوربا إلى مصر الفستيان المصنوع في إيطاليا[٥]. وكذلك المنسوجات الكتانية والصوفية التي كانت تأتي من الفلاندرز وإيطاليا[٦]، وقد ذاع صيت الجوخ البندقي في مصر والشام، قال عنه القلقشندي: **" وإليها (أي البندقية) ينسب الجوخ البندقي الفائق لكل أنواع الجوخ"**[٧]. وكانت في القاهرة سوق للجوخ اسمه سوق الجوخيين [٨].

واحتلت الفراء أهمية كبيرة بين الصادرات الأوربية إلى مصر، حيث كان التجار الأوربيون يجلب أنواعاً مختلفة من الفراء، مثل فراء السنجاب والقاقم والسمور[٩]، ذكر ابن بطوطة عن فراء القاقم: " والقاقم : هو أحسن أنواع الفراء وتساوي الفروة منه ببلاد الهند ألف دينار وصرفها من ذهبنا مائتان وخمسون، وهي

---

(١) صبرة، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص ١٦٦؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ١٤١.

(٢) هايد، **تاريخ التجارة**؛ ج ٢، ص ٣٢٢.

(٣) زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٣٢؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ١٣٦.

(٤) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٢٥٤؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ١٣٧.

(٥) صبرة، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص ١٦٦.

(٦) زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٣٣.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٣٨٣.

(٨) المقريزي، **الخطط**، ج ٣، ص ١٧٨.

(٩) ابن بطوطة، **رحلة**، ج ٢، ص ٢٣٦- ٢٣٧.

شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله " (١)، وكان التجار الإيطاليون يجلبون سلع أخرى إضافة للتي ذكرت مثل الخمور، والجبن والعسل والمرجان وزيت الزيتون. والزعفران(٢).

كما قامت برشلونة بتصدير الحديد وصفائح الرصاص والنحاس، والزئبق والكبريت، إضافة إلى الزيت والعسل والصابون والجوز، والملح، والنبيذ، والجلود، والصوف، والحرير، والجوخ، وغيرها من السلع(٣).

ثالثا – تجارة الكارم .

نشطت التجارة الداخلية والخارجية في عصر المماليك وكان التبادل التجاري بين دولة المماليك ودول الشرق والغرب في أوج عظمته خلال فترة حكم أسرة قلاوون، وهذا التطور الكبير للتبادل التجاري أدى إلى ظهور طائفة تجارية أصبحت عمادا للتجارة المملوكية وعرفت بالكارميين أو الكارم.

وقد تضاربت الآراء حول الكارم أو الكارمين ما أصل تسميتهم، فهناك من يرى أنهم ينسبون إلى الكارمية وهم كما تشير إليهم وثائق الجنيزة(٤)، هم فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وما إليها من السلع الأخرى، وكان المحيط الهندي مركز نشاطهم الأول (٥)،فقد ورد اسم الكارم بمعنى التجار في هذه الوثائق، وما يؤكد ذلك الخطاب الذي كتب في الثلاثينات أو الأربعينات من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، من تاجر عدني إلى شخص آخر، يبدي مرسله ألمه وخوفه لغرق أحد أصدقائه من تجار الكارميين في البحر الأحمر مع سفينته،

---

(١) ابن بطوطة، **رحلة**، ج٢، ص ٢٣٧.

(٢) أبو الفداء، **تقويم البلدان** ص ١٩٥؛ زيتون، **العلاقات الاقتصادية**، ص ٢٣٤.

(٣) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٤٣؛ الصافي، **العلاقات التجارية**، ص ١٢٥.

(٤) وثائق الجنيزة، هي خطابات كثيرة وجدت في منطقة مصر القديمة وعرفت لعلماء الغرب في القرن التاسع عشر ووزعت على مكتبات أوروبا وأمريكا، وكانت هذه الوثائق محفوظة قبل اكتشافها في حجرة خصصت للأوراق المهملة في معبد الفسطاط اليهودي ووجد بعض آخر من هذه الوثائق في جبانة البساتين القريبة من المعبد، وأطلق على المجموعتين اسم وثائق جنيزة القاهرة، ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق، إلى فترة ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين/ العاشر والثالث عشر الميلادي، وتتكون في غالبتها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم، ويقدر عدد الأوراق التي كانت في هذه الجنيزة بما يزيد عن الربع مليون ورقة معظمها قطع من كتب عبرية، وكتبت غالبية هذه الأوراق باللغة العربية بالحروف العبرية. القوصي، عطية، **أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرون، ١٩٧٥م، هامش (١) وسيشار إليه فيما بعد: القوص، **أضواء جديدة**،

(٥) القوصي: **أضواء جيدة**، ص ١٧.

ويتمنى وصول بقيتهم إلى عيذاب سالمين[١]، وبعضهم أخذ بقول القلقشندي وهو أن هذا الاسم مأخوذ من الكانم وهي منطقة من السودان الغربي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد، ثم انتشر بين من كان يعمل بتجارة البهار، بعد أن وقع فيه تصحيف

وأصبح كارم[٢]،

ومنهم من يرى أن اسم كارم اقتبس من لفظة كاراريما (Kuararima) وهي لفظة أمهرية[٣] تعني الحب هال، وهو نوع من التوابل، وكاريام (Karyam) وتعني الأعمال أو الأشغال[٤]. ومنهم من يرى أن هذه التسمية (كارم) تنقسم إلى مقطعين، الأول (كار) ومعناها الحرفة، أو العمل، والثاني هو (اليم) بمعنى البحر أو المحيط، ومن هنا جاءت تسمية من يعمل في البحر باسم كاريم أو كارم[٥]، ويرجح فهمي، أن تمسيه الكارم أو الكارمية جاءت نسبة إلى كانم[٦].

اتضح كيان الكارمية التجاري في عصر الدولة الفاطمية، حيث كانوا يوفرون لهم الحماية في البحر الأحمر من القراصنة كما يروي القلقشندي: " وكان لهم أسطول بعيذاب يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها خوفاً على مراكب الكارم

---

(١) القوصي، **أضواء جديدة**، ص ٢١؛ الشاوي، عبير كريم عبد الرضا، **تجار الكارم، أثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القران التاسع الهجري** (٢٠٠٥)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، العراق، ص ٢ وسيشار إليه فيما بعد: الشاوي، **تجار الكارم**.

(٢)القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١ه/ ١٤١٨م)، **ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، مختصر صبح الأعشى في كتابه الإنشا**، مطبعة الواعظ، مصر، ١٩٠٦م، ص ٢٥٧، وسيشار إليه فيما بعد؛ القلقشندي، **ضوء الصبح**؛ لبيب، **صبح، التجارة الكارمية**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الثاني، ١٩٥٢م، ص ٦، وسيشار إليه فيما بعد؛ لبيب، **التجارة الكارمية**.

(٣) الامهرية: اللغة التي تعتبر أصلاً للغتين ساميتين حبشيتين وهما الجورا جواي ولغة هرر. وسميت بالمهرية نسبة إلى إقليم أمهرة أو (أمحرة) في الحبشة والذي اتخذته الأسرة السليمانية التي تنسب نفسها إلى النبي سليمان بن داود ﷺ في القرن ٧هـ/ ١٣م، حاضرة لها، وجعلتها لغة رسمية لها بدلاً من لغة الجعيز التي تعتبر أقدم لغة سامية وهي لغة القبائل اليمنية التي جاءت من موطنها الأصلي على الساحل بين صنعاء وعدن، ثم انتقلوا إلى الجانب الشمالي الشرقي في الحبشة واليهم تنسب لغة الجعز أو لسان الجعز كما يسميها الأحباش. وقد أصبحت = = لغة الجعز فيما بعد لغة الكنيسة بعد أنّ حلت محلها الأمهرية. وتعتبر الأمهرية من أشهر اللغات هناك وهي لغة البلاد الرسمية الأن. وتكتب من اليسار الى اليمين، وقد حاول أهالي هرر. في بعض الأحيان كتابتها بحروف عربية. الشاوي، **تجار الكارم**، ص٤

(٤) لبيب، **تجارة الكارم**، ص ٦-٧؛ القوصي، **أضواء جديدة**، ص ٢٥؛ سالم، السيد عبد العزيز، **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، د. ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٤٢، وسيشار إليه بما بعد، سالم، **البحر الأحمر**؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٢٤.

(٥) القوصي، **أضواء جديدة**، ص ٢٥؛ الشاطر، بصيلي عبد الجليل، **الكارمية**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٢، ١٩٦٧م، ص ٢٢٠.

(٦) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ١٤٢.

من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب"[١]، وامتد نشاط الكارم في العصر الأيوبي، وتطور، وذلك لاهتمام سلاطين الأيوبيين بالتجارة وتوفير الحماية للتجار، وكان على رأسهم صلاح الدين الأيوبي، الذي استطاع أن يقف بوجه محاولات الصليبيين وحملاتهم على البحر الأحمر، والطريق المؤدي إليه، ومن أهم هذه المحاولات، حملة البرنس أرناط صاحب الكرك (٥٧٧هـ/ ٥٧٨هـ / ١١٨١م – ١١٨٢م)، التي باءت بالفشل بفضل جهود صلاح الدين، وإنهاء الوجود الفرنجي في البحر الأحمر[٢]،وجعل من البحر الأحمر بحيرة إسلامية بعد تحرير أيلة (العقبة) من الفرنجة، وانتشار الأمن بين موانئ البحر الأحمر[٣]، قال عنه ابن جبرُ: "... ومن عجيب ما شاهدناه بهذه الصحراء أنك تلتقي بقاعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة وسائرها من السلع مطروحة لا حارس... تبقى بموضعها إلى أن ينقلها صاحبها.." [٤].

إن هذا الأمن الذي تمتع به طرق التجارة أدى إلى ازدهار تجارة الكارم في مصر وتطورت في العصر الأيوبي، ومن معالم اهتمام الأيوبيين بالتجارة قيام ابن أخ صلاح الدين، الذي حكم مصر نيابة عن صلاح الدين، ببناء فندق كبير للكارم في القسطاط على شاطئ النيل حيث ترسو مراكبهم المحملة بسلع الشرق ومن أهمها التوابل، وهذا الفندق يعتبر قمة من وصلت إليه طاقة المشروعات التجارية في مصر[٥].

وكانت هذه الطائفة من التجار تتألف من التجار المسلمين فقط، ومن أراد أن يصبح منهم عليه أن يدخل الإسلام[٦]،ويخالف هذا الرأي القوصي، فيرى أن روح التجارة لم تتماشى أبداً مع روح التعصب الديني، وأن الذي يعمل في التجارة هدفه الربح، وبذلك يسعى إلى كسب علاقات طيبة مع كل الناس، ويرجح تغلب التجار المسلمين بين تجار الكارم في العصرين الأيوبي والمملوكي، نتيجة لتطورات سياسية واقتصادية، جرت في أوربا وفي الشرق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فقد شهدت أوربا قيام نظام القومونات[٧]، أو الجمهوريات في مدنهم، وشهد عصر اليقظة

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٥٩٧؛ وللمزيد عن الحماية أنظر، القوصي، **أضواء جديدة**، ص ٣١.

(٢) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ١٠-١١؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٢٧.

(٣) العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٢٨؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ١٢؛

(٤) ابن جبير، **رحلة**، ص ٤٠.

(٥) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٣؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ١٢،

(٦) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ١٢؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٣.

(٧) لفظ قومون هو ترجمة حرفية للكلمة (Commune) وكان استعمالها قد شاع في العصور الوسطى للدلالة على المدن الإيطالية التجارية، وكذلك المدن الفرنسية التي استطاعت بفضل ثروتها الاقتصادية الجديدة أن تحصل على براءات تحولها الهيمنة على شئونها الداخلية، وإن تصبح الحكومة فيها بيد غير أرباب المهن، القوصي، **أضواء جديدة**، ص ٣٧، هامش (٤٤).

الاقتصادية لأهالي مدن أوربا التجارية، وقيام الصراع بين التجار المسيحيين (تجار الفرنجة) والتجار اليهود، انتهى بانتصار تجار الفرنجة، واختفاء تجار اليهود تدريجياً، وكذلك يرى أنه من المحتمل أن يكون بعض هؤلاء التجار استمروا في العمل في تجارة الكارم ولذلك اعتنقوا الإسلام حرصاً على المكاسب المالية الهائلة، واحتماء بالإسلام من الاضطهاد الأوروبي(١).

وقد سار المماليك على نهج الأيوبيين في حماية البحر الأحمر والطرق التجارية المؤدية إلى موانئه، كما اهتم المماليك بتجارة الكارم، وذلك من خلال إقامة المنشآت التي تقدم خدماتها وفي تعيين موظفين يتابعون شؤون تجار الكارم، مثل مستوفي البهار والكارمي ووظيفة نظر البهار والكارمي(٢)، وكان لتجار الكارم محطات تجارية في عدن وتعز وزبيد ومخازنهم التجارية في قوص حين نظموا شؤونهم الاقتصادية(٣)، ومن عيذاب والطور والسويس، وتبدأ رحلاتهم بين البحر الأحمر وقوص والقاهرة والإسكندرية ودمياط، كما كان لهم محطات تجارية في دمشق، وبهذا كانت محطاتهم التجارية حلقات وصل لنقل السلع القادمة من الشرق الأقصى إلى موانئ البحر المتوسط(٤). وكان تجار الكارم يستثمروا موسم الحج فيغرقون أسواق مكة وجدة في هذا الموسم بسلعهم المتنوعة، وكذلك يتم عقد الصفقات التجارية الكبرى فيها(٥).

وتعتبر قوص في صعيد مصر من المراكز المهمة لتجار الكارم حيث أصبحت سوقاً تجارياً كبيراً لمنتجات أفريقية الوسطى واليمن والهند والحبشة، وكان لهم نقابة تدير شؤونهم وتنظم أعمالهم إضافة إلى أنها احتكرت تجارة التوابل والبخور والعاج(٦).

وكان للكارمية أسطولاً تجارياً نظموا فيه رحلاتهم رحلاته، كان يعرف بعبارة؛ (مراكب الكارمية)، وقام سلاطين المماليك بحماية هذه المراكب من القرصنة، وكان المقر الرئيس للأسطول التجاري في قوص، وكانوا يجهزون القوافل بأنفسهم ويحمونها

---

(١) القوصي، **أضواء جديدة**، ص ٢٨- ٢٩.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٣٣؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٢٨، ماجد، **التاريخ السياسي لدولة المماليك**، ص ٢٤٨.

(٣) أبي مخرمة، أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، **تاريخ ثغر عدن**، جزءان، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م،ج٢، ص ٦٨، وسيشار إليه فيما بعد أبي مخرمة، ثغر عدن: لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ١٩؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٤؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٢٨.

(٤) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٤؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٢٨

(٥) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ١٩؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٤.

(٦) عاشور، **العصر المملوكي**، ص ٣٠٣؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٥؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٦٧.

بجنـد وخبالـه تعمـل لحسـابهم[١]، وكـان للكارميـة رئـيس يسـمى رئـيس الكارميـة[٢] وكـان يتـولى هـذا المنصـب مـن كـان أكثـر الكارميـة مـالاً ونفـوذاً، وتخضـع لـه سـائر التجـار حتـى أكـابرهم، ولـه مكانـة مرموقـة عنـد سـلاطين المماليـك، فضـلاً عـن مكانتـه فـي البحـر الأحمـر واليمن والحجاز أيضاً[٣].

وكـان هـذه الطائفـة تملـك ثـروة طائلـة، حيـث بلـغ ثـروة الـبعض مـنهم مليـون دينـار[٤]، ففـي سـنة ٧٧٦هــ/ ١٣٧٤م مـات التـاجر المصـري الكـارمي ناصـر الـدين محمـد بـن مسـلم، فقـال عنـه ابـن حجـر العسـقلاني " أعجوبـة عصـره فـي كثـرة الحـال حتـى يقـال إنـه لا يعلـم قـدر مالـه..."[٥]، وقـد بلـغ مـن ثـراء تجـار الكـارم أنهـم كـانوا يـدفعون الزكـاة وكـل مـا كـان يطلـب مـنهم عـن قبـول، ورضـا، وبلغـوا مـن الثـراء أنهـم كـانوا يقرضـون السـلاطين، فقد ذكـر ابـن حجـر أنـه كـان السـلطان الناصـر محمـد مـدين لتجـار فرنجـة مبلـغ مـن المـال مقداره ستة عشـر ألـف دينـار، ثمـن أشـياء أبتاعهـا مـنهم، ولـم يكـن عنـده مـا يسـددهم بـه، فـأقترض مـن تجـار الكـارم فأقرضـوه[٦]، وكـذلك أقـرض تجـار الكـارم السـلطان الصـالح بـن الناصـر محمـد حـوالي مائـة ألـف دينـار[٧]، كمـا قـام تجـار الكـارم ببنـاء الفنـادق والخانـات، ويـروى أن كارميـا بنـى مدرسـة مـن ربـح يـوم واحـد مـن متجـره[٨]، وربمـا ذلـك كـان مبالغـاً فيـه، لكـن يعطينا فكرة عن مدى ثراء هؤلاء التجار.

لـم يـدخل تجـار الكـارم فـي العمـل السياسـي لكـن كـان لهـم أثـر مهـم فـي علاقـات دولـة المماليـك بالـدول الأخـرى، وخاصـة الـيمن، حفاظـاً علـى مصـالحهم، ففـي سـنة ٧٠٧هــ/ ١٣٠٧م وقعـت أزمـة بـين مصـر، والـيمن عنـدما منـع صـاحب الـيمن الهديـة التـي كـان مقـرر إرسـالها كـل سـنة إلـى مصـر، فقـرر السـلطان الناصـر محمـد إرسـال قـوة إلـى الـيمن، تـدخل تجـار الكـارم وطلبـوا تأجيـل الحملـة، وذهبـوا إلـى صـاحب الـيمن حـاملين رسـالة مـن السـلطان

---

(١) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٣٠؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٥؛ مبارك، **الناصر محمد**، ص ١٤٨.
(٢) عاشور، **العصر المملوكي**، ص ٣٠٣؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٣٤.
(٣) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٣٤
(٤) ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٥؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٣٠؛
(٥) العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، **أنباء العمر بأبناء العمر**، د. ط، ١٤ أجزاء، تحقيق حسن حبش، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة أحبار التراث الإسلامي، مصر، ١٩٦٩م، ج ١، ص ٩٩، وسيشار إليه فيما بعد العسقلاني، **أنباء العمر**.
(٦) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ١، ص ٤٧٨؛ سالم، **البحر الأحمر**، ص ٣٧.
(٧) **المصدر نفسه**، ج ٤، ص ٥٩؛ **المرجع نفسه**، ص ٣٧.
(٨) ابن شاهين، **زبدة كشف الممالیك**، ص ٤١؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٢٩.

الناصر، يحذره من عواقب الأمور، ووافق صاحب اليمن على إرسال الهدية واستقرت الأوضاع[١].

ولم يكن سلاطين المماليك وحدهم الذين يستدينون من تجار الكارم، بل أنهم قدموا قروضاً لبعض ملوك اليمن ومنهم المجاهد علي بن المؤيد[٢] (٧٢١هـ/ ٧٦٤هـ / ١٣٢١م – ١٣٦٣م) وملك التكرور منسا موسى[٣].

وكان في مصر إدارة مهمتها الإشراف على تجارة الكارم تعرف باسم مستوفي البهار والكاريم، وعند القلقشندي " نظر البهار والكارمي" قال عنها القلقشندي: " وموضوعها التحدث على واصل التجار الكارمية من اليمن من أصناف البهار، وأنواع المتجر، وهي وظيفة جليلة تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعا لها، وتارة تضاف إلى الخاص وتجعل تبعاً لها، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان"[٤]، وقد أنشأ المماليك هذه الوظيفة حتى تتناسب مع توسع التجارة الكارمية، وتنظيم جباية الضرائب منها، ورعاية مصالحها، والإشراف على فنادقها، وتسهيل تعاملها مع الوطنين والأجانب[٥]، وكانت هناك إدارات أخرى لها دور إشرافي على التجارة الكارمية منها: وظيفة المراقب، ووظيفة المفتش، وموظف خاص للإشراف على الزكاة[٦]، وقد استخدم تجار الكارم المعاملات المالية الشخصية في مصر في المعاملات المالية والتجارية وقد عرفوا التعامل بالنقد، والائتمان المصرفي في نقل الأموال وعقد القروض للسلاطين في مصر، وغيرهم[٧]، واقتضت الحاجة، في هذه العمليات المالية أن يجدوا مصرف عام لهم، وكان فندقهم في القاهرة يقوم بهذه العمليات المالية، وكانت بنوك الكارمية تعطي القروض للسلاطين والأفراد في مقابل خطابات الضمان، كما كانت هذه البنوك تضمن عمليات المقارضة بين الكارمية والأجانب[٨].

وكان للكارمية علاقات تجارية كبيرة ولهم ارتباط بمراكزهم في الهند واليمن ومصر، ولهم علاقات طيبة مع حكام هذه البلاد، حيث ارتبطت مصر مع الهند بعلاقات

---

(١)العتيبي، **عقد الجمان**، ج ٤، ص ٤٦٣؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣٢، ص ١٣٢؛ الخزرجي، **العقود** ج١، ص٣٠٨؛ الشاوي، **تجارة الكارم**، ص ٤٠

(٢) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٢٧؛ العمايرة، **موانئ البحر الأحمر**، ص ٢٣٠- ٢٣١.

(٣) ابن خلدون، **العبر**، ج٥، ص ٤٩٦؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٢٧.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٣٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٣٣؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٢٩؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٧١.

(٦) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٣٠؛ المبارك، **الناصر محمد**، ص ١٧١.

(٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٠، ص ٢٧١- ٢٧٢؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٤٤.

(٨) فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٤٥

سياسية جيدة وكان لتجار الكارم أثر كبير فيها؛ وذلك لكثرة ترددهم عليها، وعلاقتهم الطيبة مع حكامها، حيث كان يرسل حكام الهند الهدايا إلى سلاطين المماليك مع تجار الكارم[١]، وكذلك كانت هناك علاقات طيبة بين تجار الكارم والأوربيين وهيئاتهم التجارية حتى قامت بينهما شركات مقارضة كان فيها رأس المال للكارمية والجهد للأوربيين[٢]، ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة الكارمية أنها كانت سلالة وراثية. وخاصة عند البيوتات التجارية الكارمية مثل آل الخروبي، والكويك، حيث كان الكارم يدرب أولاده ومن يتخير من عبيدة على أساليب التجارة، منذ الصغر حتى إذا كبر استطاع إدارة تجارته بنجاح، فكان يرسلهم إلى الأسواق الكبرى في مصر والحجاز واليمن والهند. وبلاد التكرور، وغيرها، كما كانوا يتخذون الوكلاء والعبيد وسيلة لجلبوا إليهم بضائع تلك البلدان التي يذهبون إليها، ويروجون للبضائع التي يرسلونها إليهم في تلك البلاد أيضا[٣].

(١) أبو الفداء، **المختصر**، ص ١٠١؛ الشاوي، **تجارة الكارم**، ص ٤١.

(٢) المقريزي، **السلوك**، ج ١، ق ١، ص ١٠٣- ١٠٤؛ لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٢٥؛ فهمي، **طرق التجارة الدولية**، ص ٣٣٨.

(٣) لبيب، **التجارة الكارمية**، ص ٣٢؛ ضومط، **الدولة المملوكية**، ص ٢١٧.

الخـاتمـة

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج كان من أهمها ما تمتعت به مصر في عهد أسرة قلاوون بمركز ممتاز بين أمم العالم الشرقي والغربي من الناحيتين المالية والسياسية وما ذلك إلا بفضل انتعاش الحياة الاقتصادية فيها وقيام سياستها الخارجية على أسس موحدة الدعائم، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في خروجها من أزماتهم الاقتصادية، محتفظة باستقلالها السياسي والاقتصادي، كما وتمتعت دولة المماليك في ظل حكم أسرة قلاوون بالاستقرار السياسي الناتج عن الاهتمام بالجانب الاقتصادي، ومن أبرز الذين عنو بالإصلاحات السلطان قلاوون وابنه السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

أما ما يتعلق بالجانب الزراعي فقد أولى سلاطين أسرة قلاوون الزراعة عناية كبير، وتبين ذلك من كثرة الإصلاحات التي قامت في عهدهم، من حيث إنشاء الجسور، والقناطر، وشق الخلجان، ثم عنى سلاطين أسرة قلاوون بمقياس مقدار منسوب مياه النيل لما له من أثر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، حيث كان عماد الاقتصاد المملوكي الإقطاعات التي كانت موزعة على السلطان والأمراء والأجناد، فكان للسلطان أربعة قراريط، وللأمراء والأجناد عشرة قراريط، وهذا التوزيع غير ثابت أنما يتغير بحسب سياسة السلطان، وقد تميزت أرض مصر بالخصوبة، وكانت تتجدد سنوياً بسبب فيضان النيل وما يحمله من الطمى، أدى ذلك إلى تنوع الأراضي الزراعية ومحاصيلها، حيث أولى سلاطين أسرة قلاوون اهتمامهم بالثروة الحيوانية، ويلاحظ شغف كل من السلطان قلاوون وولده الناصر محمد بامتلاك الخيول مما جعلهم ينفقون مبالغ طائله للحصول عليها.

أما الصناعة فلم يغفل سلاطين أسرة قلاوون عنها باعتبارها موردا رئيسيا للدولة، فشملتها رعايتهم، واهتمامهم بالعمل على ترقيتها، ومما سهل عليهم مهمتهم ونبوغ كثير من المصريين في مختلف الصناعة، فقد احتلت صناعة النسيج على اختلاف أنواعها مراكز مهمة، حتى أصبح لبعض المدن المصرية شهرة عالمية في هذا المجال مثل مدينة شطا، ومدينة دبيق، والإسكندرية، وكان للسلاطين دور صناعة تسمى دور الطراز الخاص ، تصنع فيها الخلع التي تمنح لرجال الدولة وموظفيها، وقد انتشرت صناعة السكر في مصر بشكل كبير، وذلك لوفرة المادة الخام التي تدخل في صناعة السكر، بالإضافة إلى كثرة استعمال السكر في المطابخ السلطانية، وكانت معاصر السكر منتشرة في عدد من مدن مصر ، كما انتشرت الصناعات الغذائية الأخرى في مصر مثل صناعة الزيت، والتمر، وطحن الحنطة، بينما احتلت صناعة المعادن مكانة ذات شأن في مصر حيث تنوعت صناعاتها المعدنية، كصناعة الأواني المعدنية،

وتغليف الأبواب بالنحاس، وصناعة التكفيت (التطعيم)، واستعمال الذهب والفضة في الصناعة، وقد وصلت صناعة الزجاج في العصر المملوكي إلى درجة عالية من التطور، ويتضح ذلك من كثرة المشكاوات المصنوعة من الزجاج المطلي بالمينا، التي وجدت في دار الأثار العربية، كما عرف المصريون صناعة الزجاج الملون، ثم تطورت الصناعة بشكل كبير حيث أثارت صناعة السفن اهتمام سلاطين المماليك وبذل الجهود الكبيرة من اجل تطورها بنوعيها الحربية والتجارية، كما عرفت في مصر صناعة الرنوك، فكان لكل مملوكي رنك خاصة به، وكانت الرنوك على أشكال مختلفة منها المربع والمدبب، وهناك صناعات أخرى موجودة في مصر، مثل صناعة الخيم وصناعة الورق ، وصناعة الستور.

أما من الناحية التجارية فقد كان للضرائب التي فرضها سلاطين أسرة قلاوون على السلع المتبادلة بين الشرق والغرب، وبيع السلع المنتجة في مصر أثراً في توفير ثروة طائلة للدولة، حيث حرصت حكومة المماليك على استمالة التجار الشرقيين والغربيين إلى مصر رغبتا بالنفع الناتج من وراء متاجرتهم، فعملت على توفير كل المستلزمات اللازمة للحفاظ على سلامتهم، ورعايتهمو والاهتمام بهم، فكان لموقع مصر الاستراتيجي نقطة التقاء تجارة الشرق مع تجارة الغرب، وبذلك أصبحت مصر الوسيط بين التجارتين " وجعلها الله تعالى متوسط الدنيا " كما قال الكندي، ولكثرة التجارة الرائجة فيها سماها المقدسي " بلد التجارات"، ثم كثر انتشار الأسواق الكبيرة في مصر، وظهور نوع من التخصص فيها كأسواق المواد الغذائية، وأسواق الملابس، وأسواق لوازم السفر، وأسواق السلاح ومستلزمات الجندي، إضافة إلى وجود أسواق عامة توجد فيها أنواع مختلفة من السلع.

أما ما يخص الضرائب فقد عانى الناس من ثقلها في الدولة المملوكي المفروضة على كل شيء، إلا أن هذه الضرائب لم تكن على وتيرة واحدة فأن بعض السلاطين كان يفرض الضرائب ويتعسف في جمعها، وبعضهم كان يلغي الضرائب التي كانت مفروضة من قبل السلطان الذي سبقه، فقد ألغى السلطان قلاوون مجموعة من الضرائب كما ألغى ابنة الناصر محمد عدداً منها، وقد تمتعت مصر بقوة سياسية واقتصادية دفعت الدول إلى التنافس في الحصول على امتيازات وعقد معاهدات تجارية مع سلاطين بني قلاوون، وعلى الرغم من فرض الحصار الاقتصادي على دولة المماليك من قبل البابا إلا أن العلاقات التجارية بقيت قائمة بين الدول الأوربية ودولة المماليك، لما كان لمصر من مكانة بين العالم.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا – المصادر.

١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ٨ أجزاء ، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م.

٢- ابن اجا ، محمد بن محمد الحلبي ،(ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م)، **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ،مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار**، تحقيق محمد احمد الدهمان ، دار الفكر للطابعة والنشر، دمشق ،١٩٨٦م.

٣- ابن الأخوة، محمد بن أحمد بن إلى زيد (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨م)، **معالم القربة في طلب الحسبة**، د، ط، دار الفنون، كمبردج، د. ت.

٤- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٥- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، **المسالك والممالك**، د. ط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت.

٦- ابن إياس، محمد بن أحمد،(ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، **المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور**، د. ط، مطابع الشعب، د. م، ١٩٦٠م.

٧- ـــــــــــــ ٥أجزاء، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٥م

٨- ـــــــــــــ **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

٩- ابن أيبك الدوادار ، أبي بكر بن عبدالله بن آيبك ، (ت ٧٣٦هـ / ١٤٣٢م)،**الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر(وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر)**، د. ط، ٩ أجزاء، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. م، ١٩٦٠م.

١٠- ابـن بطوطـة، شـمس الـدين أبـي عبـدالله محمـد بـن عبـدالله(ت٧٧٩هــ/ ١٣٧٧م)، **تحفـة النظـار فـي غرائـب الأمصـار وعجائـب الأسـفار المعروفـة برحلـة ابـن بطوطـة**، د. ط، ٦ أجـزاء، تحقيـق عبـد الهـادي التـازي، أكاديميـة المملكـة المغربيـة، الربـاط، المملكـة المغربية، ١٩٩٧م.

١١- البغـدادي، عبـد اللطيـف يوسـف،(ت ٥٥٧هــ/ ١١٦٢م)، **الإفـادة والاعتبـار فـي الأمـور المشـاهدة والحـوادث المعاينـة بـأرض مصـر**، ط٢، تقـديم عبـد الـرحمن عبـدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. م، ١٩٩٨م.

١٢- البكـري، أبـو عبيـد عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد، (ت ٤٨٧هــ/ ١٠٩٤م) **المسالك والممالك**، جزءان، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

١٣- ابـن البيطـار، ضـياء الـدين أبـي محمـد عبـد الله بـن أحمـد، (ت ٦٤٦هــ/ ١٢٤٨م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ٤ أجزاء، د. ط، د. ن، د. م، د. ت.

١٤- ابـن تغـري بـردي، جمـال الـدين أبـو المحاسـن يوسـف، (ت ٨٧٤هــ/١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

١٥- ابـن حبيـر، أبـو الحسـن محمـد بـن أحمـد الأندلسـي،(ت ٦١٤هــ/ ١٢١٧م)، **رحلـة ابـن جبيـر**، طبعـة منقحـة بأشـراف لجنـة تحقيـق التـراث، دار ومكتبـة الهـلال، بيـروت، ١٩٨١م .

١٦- ابـن حجـر، أبـو الفضـل أحمـد بـن علـي بـن محمـد بـن أحمـد العسـقلاني،(ت٨٥٢هــ/ ١٤٤٨م)، **أنبـــاء العمـــر بأبنـــاء العمـــر**، د. ط، ١٤ جـــزاءا، تحقيـــق حســـن حـــبش، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة أحبار التراث الإسلامي، مصر، ١٩٦٩م.

١٧- ـــــــــــــــــــ **الـدرر الكامنـة فـي أعيـان المائـة الثامنـة**، ط٢، ٦ أجـزاء، تحقيـق محمـد عبـد المعيـد ضـان، مجلـس دائـرة المعـارف العثمانيـة ، حيـدر ابـاد، الهند،١٩٧٢م.

١٨- الحمـــوي، شـــهاب الـــدين أبـــو عبـــد الله يـــاقوت بـــن عبـــد الله الرومـــي ، (ت٦٢٦هـــ/١٢٢٨م)، **معجـــم البلـــدان**، ط ٢، ٧ أجـــزاء، دار صـــادر، بيـــروت، ١٩٩٥م.

١٩- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٦٤م)، **الروض المعطار في خير الأقطار**، ط ٢، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٠- ابن حوقل، أبو القاسم (٣٦٨هـ/٩٧٨م)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ١٩٩٢م.

٢١- خسرو، أبو معين الدين ناصر (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفر نامه**، ط٣، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ١٩٨٣م،

٢٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، د. ط، ١٤مجلد، دار الكتب المصرية، القاهرة، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٣- ـــــــــــــــــ **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٤- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، د .ط، عدد الاجزاء٨، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٥- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي،(ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، د. ط، قسمان ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د. ت.

٢٦- الدمشقي، أبي الفضل جعفر بن علي، (كان حيا سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٧- الدواداري، ركن الدين بيبرس المنصوري،(ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالد س. ريتشارد، مطبعة مؤسسة حسيب درغام وأولاده، ١٩٩٨م

٢٨- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، **دول الإسلام**، جزءان، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٩- ـــــــــــــــــ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام**، ١٥ جزءاً، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامية، د. ن، ٢٠٠٣م.

٣٠- ابن رسول، المظفر يوسف بن عمر بن علي، (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)، **والمعتمد في الأدوية المفردة**، ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣١- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، **الطبقات الكبرى**، ٨ أجزاء ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٠م.

٣٢- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ،د. م، ١٩٦٧ م.

٣٣- شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن طالب، (ت ٦٤٥هـ / ١٢٥٦م) **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ليبز، ١٩٢٣م.

٣٤- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،(ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، د. ط، جزءان، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي زهير حميد الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

٣٥- طافور، **رحلة طافور**، في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبش، دار المعارف، ١٩٦٨.

٣٦- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين،(ت ٨٧٣هـ/ ١٣٨١م)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، د. ط، تصحيح بولس راديس، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩١م.

٣٧- ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق: محمد صبحي، د. ط، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، د. م، د. ت.

٣٨- ابن عبد الظاهر، محيى الدين،(ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، د. ط، تحقيق مراد كمال، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١م.

٣٩- ـــــــــــــــــ **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويط، د. ن، الرياض، ١٩٧٦.

٤٠- ـــــــــــــــــ **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٤١- العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى،(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دولة المماليك الأولى**، تحقيق دورتيا كراڤولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦م .

٤٢- ـــــــــــــــــ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، عدد الأجزاء٢٧، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

٤٣- العيني، بد الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)**السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، تحقيق محمد شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، د. ط، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٧٧م.

٤٤- ـــــــــــــــــ **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**،١٤ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤٥- فاريتما، لودوفيكو، **رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)**، ترجمة وتعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٦- أبو الفداء، عماد الدين أسمعيل بن محمد بن عمر(ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، **تقويم البلدان**، د.ط، أعتنى به رينود و البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.

٤٧- ـــــــــــــــــ **المختصر في أخبار البشر**، تحقيق زينهم محمد عزب يحيي سيد حسين، ٤ ج، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.

٤٨- الفراء، أبي يعلى محمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، **الأحكام السلطانية**، صححة وعلق عليه محمد حامد الفقي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٤٩- ابن فرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)، **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق قسطنطين زريف، المطبعة الأمير كافية، بيروت، ١٩٣٩م.

٥٠- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، ط٨، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ م.

٥١- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط، جزءان، المكتبة العلمية ، بيروت، د.ت.

٥٢- القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، ٣ مجلدات، تحقيق، أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيرون، ١٩٩٢م.

٥٣- القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١ه/ ١٤١٨م)، **ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، مختصر صبح الأعشى في كتابه الإنشا**، مطبعة الواعظ، مصر، ١٩٠٦م.

٥٤- ـــــــــــ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ١٥ جزءا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٥- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، ٢١ جزءاً، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، د. م، ١٩٩٧م.

٥٦- الكندي، عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، **فضائل مصر المحروسة**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩٧م.

٥٧- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن القيم، الكويت، ١٩٨٩م.

٥٨- مجهول، (كانت مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، د. ط ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

٥٩- أبو مخرمة، أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، **تاريخ ثغر عدن**، جزءان، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م.

٦٠- المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي،(ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،٤ أجزاء، أعتني به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية ، بيروت، ٢٠٠٥م.

٦١- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ا البشاري(ت٣٨٠ هـ /٩٩٠ م) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م.

٦٢- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٤ أجزاء، صححه وضبط حواشي(الجزئيين الأول والثاني): محمد مصطفى زيادة، وحقق(الجزئيين الثالث والرابع) سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢م.

٦٣- ـــــــــــــ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ٤أجزاء، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،١٩٩٨م .

٦٤- ـــــــــــــ **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، د. ط، ٤ أجزاء، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، د. م، ٢٠٠٢م.

٦٥- ـــــــــــــ **الذهب المسبوك في ذكرى من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق جمال الدين الشبال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،٢٠٠٠م.

٦٦- ـــــــــــــ **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق كرم حلمي فرحان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٧م.

٦٧- ابن مماتي، أسعد بن المهذب بن أبي مليح الأيوبي،(٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، **كتاب قوانين الدواوين**، تحقيق عزيز **سوريال** عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م

٦٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، (المتوفى: ٧١١هـ /١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٥ جزءا ، ط٣، دار صادر، بيروت،١٩٩٣م

٦٩- النويري، محمد بن قاسم الإسكندراني. (ت بعد ١٣٧٢/٧٧٥م)، **الإلمام بالإعلام فيما جرت به لأحكام والأمور القضية في وقعة الإسكندرية**، ٤ أجزاء، تحقيق، ايتيفا كومب وعزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف الضحانية، حيدر إياد، الهند ١٩٦٨م.

٧٠- ـــــــــــــــ **نهاية الإرب في فنون الأدب**، ٣٣جزءا، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٧١- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين، ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م ، **تاريخ ابن الوردي** ، جزءان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦م.

٧٢- ـــــــــــــــ **فريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧٣- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٠٠٢م.

٧٤- اليماني، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد،(ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م) **تاريخ اليمن، المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، د. ت.

٧٥- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٥٧م) **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

ثانيا - المراجع العربية والمعربة:

١- آ. آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**، د. ط، ترجمة عبد الهادي عبله، مراجعة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر، د. ن، ١٩٨٥م.

٢- أحمد، أحمد عبد الرزاق، **الرنوك الإسلامية**، د. ط، د. ن، القاهرة، ٢٠٠١.

٣- آرنولد، توماس و كريستي و بريغز، مارتن، **تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة**، ترجمة زكي محمد حسن، دار الكتب العربية، دمشق، سوريا، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان، ١٩٨٤م.

٤- الباشا، حسن، وآخرون، **القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها**، د. ط، مطابع الأهرام التجارية، د. م، د. ت.

٥- بحر، مجدي عبد الرشيد، **القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. م، ١٩٩٩م.

٦- البيومي، إسماعيل، **النظم المالية في مصر والشام زمن المماليك**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٧- حسن، طه صفوان ، **تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، دار الفكر ، عمان ،٢٠١٠م.

٨- حسن ، زكي محمد، **كنوز الفاطميين**، د. ط، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٣٧م.

٩- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، د. ط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٩٣م.

١٠- دراج، أحمد، **وثائق دير صهيون بالقدس الشريف**، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

١١- دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.

١٢- الدوري، عبد العزيز، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، ط ٥، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

١٣- زيادة، محمد مصطفى وأخرون، **دراسات عن المقريزي**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

١٤- زيادة، نقولا، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٧٨م.

١٥- زيتون، عادل، **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار دمشق للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٦- سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي**، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

١٧- سالم، السيد عبد العزيز، **البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي**، د. ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣.

١٨- سرور، محمد جمال الدين، **دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عصرها بوجه خاص**، د. ط، دار الفكر العربي، د. م، د. ت.

١٩- سعيد، إبراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، د. ط، دار المعرف، د. م، ١٩٨٣م.

٢٠- سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، المجلد السابع وهو القسم الأول من الجزء الرابع، دار الحمائي للطباعة، د. م، ١٩٦٥.

٢١- صبرة، عفاف السيد، **العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠ - ١٤٠٠م**، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢٢- ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ١٢٩٠-١٤٢٢**، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٣- طرخان، إبراهيم علي، **مصر في دولة المماليك الجراكسة**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢٤- ـــــــــــــــــ **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، د. ط، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٥- طقوش ، محمد سهيل ، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،١٩٩٩م.

٢٦- طوسون، عمر، **تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية**، مطبعة العدل، د. م، ١٩٤٢.

٢٧- ـــــــــــــــــ **مالية مصر من عصر الفراعنة إلى الأن**، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٨- عاشور، سعيد عبد الفتاح، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

٢٩- ـــــــــــــــــ **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦،

٣٠- ـــــــــــــــــ **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣١- ـــــــــــــــــ **الحركة الصليبية**، ط ٩، جزءان، مكتبة الإنجلو المصرية، د . م، ٢٠١٠م.

٣٢- العبادي ، احمد مختار ، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٦م.

٣٣- العبادي، احمد مختار و سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام**، د. ط، دار الأمل، بيروت، ١٩٧٢م.

٣٤- عبد الفتاح، صفاء حافظ، **الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي**، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.

٣٥- عثمان، شوقي عبد القرى، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية**، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٩٠م.

٣٦- العمايرة، خالد محمد سالم، **موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)**، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، ٢٠٠٧.

٣٧- العناقرة، محمد محمود خلف، **الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك** (٤٦٨ – ٩٢٣هـ **/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)**، دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٦م.

٣٨- غوانمه، يوسف حسن درويش، **إمارة الكرك الأيوبية**، منشورات بلدية الكرك، الأردن، ١٩٨٠م.

٣٩- فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

٤٠- فييت، جاستون، **دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية**، ، د. ط، د. ن، القاهرة، ١٩٣٩م.

٤١- ـــــــــــــــ **القاهرة ومدينة الفن والتجارة**، ترجمة مصطفى العبادي، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٢- قاسم، قاسم عبده، **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، د. ن، ١٩٧٨م

٤٣- ـــــــــــــــ **أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م.

٤٤- كاشف ، سيدة إسماعيل، وآخرون، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، تاريخ مصر الإسلامي**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

٤٥- كاشف، سيدة إسماعيل وسرور، جمال الدين و عاشور، سعيد عبد الفتاح، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الإسلامية**، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ن، ١٩٩٣م.

٤٦- ماجد، عبد المنعم، **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة للنظم السياسية**، ط٢، عدد الاجزاء٢، مكتبة الانكلو مصرية، د. ن، ١٩٧٩م.

٤٧- ـــــــــــــ **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٨- ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية، وأثارها الباقية**، د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٧م.

٤٩- متز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ط٥، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ت.

٥٠- مصطفى ، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، د. ط ، جزءان، دار الدعوة، د. ن، د. ت.

٥١- المناوي، محمد حمدي، **نهر النيل في المكتبات العربية**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥٢- موير ، السير وليم ، **تاريخ دولة المماليك في مصر** ، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،١٩٩٥م.

٥٣- ناصر، عامر نجيب موسى، **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، ٢٠٠٣م.

٥٤- هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، د. ط، ٤ أجزاء، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

٥٥- هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية** ، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

٥٦- الهواري، حسن محمد، **رسالة في وصف محتويات دار الآثار**، د. ط، مطبعة الاعتماد ، مصر، ١٩٢٦م.

ثالثا - الدوريات والأبحاث:

١- إسكندر، توفيق، **نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط،** المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧م.

٢- الحجي، حياة ناصر، **بعض الأبعاد الاقتصادية لسلطنة المماليك**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثالثة والعشرون، ٢٠٠٢م.

٣- الشاطر، بصيلي عبد الجليل، **الكارمية**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٢، ١٩٦٧م.

٤- صالحية، محمد، ظاهرة **الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي،** أبحاث اليرموك، مج٣، عدد ٩، الأردن .

٥- الضلاعين، مروان عاطف، **السلع التجارية في الأسواق المصرية من دولة المماليك البحرية**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٦، عدد ٢، ٢٠١٢م.

٦- العبادي، أحمد مختار، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية (الصناعة و الأصناف)**، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، عدد ١١، ١٩٨٠م.

٧- العزام، عيسى محمود، **الزراعة في مصر خلال العصر الأيوبي،** مجلة سبأ، العدد الثاني عشر، د.ت.

٨- ـــــــــــــــــــــ **لأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي الأول (٦٤٨- ٧٨٤هـــ / ١٢٥٠- ١٣٨٣م)**، مجلة الدراسات الاجتماعية، عدد ٢٤، ٢٠٠٧م.

٩- القوصي، عطية، **أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة،** المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرون، ١٩٧٥م.

١٠-لبيب، صبح، **التجارة الكارمية**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الثاني، ١٩٥٢م.

١١-ـــــــــــــــــــــ **سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك**، المجلة التاريخية المصرية المجلدات الثامن والعشرون والتاسع والعشرون، ١٩٨١ – ١٩٨٢.

١٢-مصطفى، محمد، **الرنوك في مصر المماليك**، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠، في ٣ مارس١٩٤١.

١٣- عليوي، حسين عبد الرحيم، **دراسة لبعض الصناع والفنانين بمصر في عصر المماليك**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول للتصميم والبيئة المصرية الذي عقد بكلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، في الفترة من ٢٤-٢٦ أبريل ١٩٧٩م، وألقى بجلسة الأربعاء ٢٥/ ٤/ ١٩٧٩م.

رابعا - الرسائل الجامعية:

١- خطاطبة، أنعام بسام عبد القادر،(١٩٩٨م)، **النفقات في العصر المملوكي الأول(٦٤٨ – ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٨٢م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

٢- الشاوي، عبير كريم عبد الرضا، **تجار الكارم، أثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القران التاسع الهجري** (٢٠٠٥)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، العراق.

٣- شطناوي، عدنان على طه، (٢٠٠١م)، **دولة المماليك الأولى في مصر والشام في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين(٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٧م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

٤- الصافي، محمد حسين،(٢٠٠٨م)، **العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر القرن ٨ هـ / ١٤م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، اليمن.

٥- عدره، رشا (٢٠١٣م)، **الرنوك المملوكية في دمشق**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا.

٦- كوكش، احمد يحيى، (١٩٩٩م)، **المقريزي مؤرخا للحياة الاقتصادية في مصر في عصره**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن.

٧- المبارك، حصة ناصر،(١٩٨٧م)، **الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عصره ٦٩٣ -٧٤١هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤١م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.

٨- أبو ليل، رقية عبدالله احمد، (٢٠١١م)، **الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله(٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م) وكتابه: معجم البلدان الأوضاع الاقتصادية: دراسة تاريخية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطني، نابلس، فلسطين.

خامسا – الدراسات باللغة الإنكليزية

١ – Alazzam, Isa Mahmoud, The (**Mukus**) Taxes in Egyptduring the Mameluke Era (٦٤٨AH / ١٢٥٠AD– ٩٢٣AH / ١٥١٧AD),Asian social S cience; Vol.٩, NO.٩ ;٢٠١٣

الملاحق

جدول رقم (١) سلاطين أسرة قلاوون [(١)]

ت	اسم السلطان	سنوات حكمه
١	المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩- ١٢٩٠م
٢	الأشرف خليل بن قلاوون	٦٨٩-٦٩٣ هـ / ١٢٩٠- ١٢٩٣م
٣	الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الأولى)	٦٩٣- ٦٩٤هـ / ١٢٩٣- ١٢٩٤م
٤	العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤ – ٦٩٦هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٦م
٥	المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦- ١٢٩٨م
٦	الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثانية)	٦٩٨- ٧٠٨هـ / ١٢٩٨- ١٣٠٨م
٧	المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٨- ١٣٠٩م
٨	الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثالثة)	٧٠٩- ٧٤١هـ/ ١٣٠٩- ١٣٤١م
٩	المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد	٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤١م
١٠	الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد	٧٤٢- ٧٤٣هـ / ١٣٤١- ١٣٤٢م
١١	الناصر شهاب الدين احمد بن الناصر محمد	٧٤٣هـ / ١٣٤٢م
١٢	الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٣- ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢- ١٣٤٥م
١٤	الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	٧٤٦- ٧٤٧هـ / ١٣٤٥- ١٣٤٦م
١٥	المظفر سيف الدين حاجي بن الناصر محمد	٧٤٧-٧٤٨هـ / ١٣٤٦- ١٣٤٧م
١٦	الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد (الفترة الأولى)	٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١م
١٧	الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	٧٥٢-٧٥٥هـ /١٣٥١-١٣٥٤م
١٨	الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد (الفترة الثانية)	٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤- ١٣٦١م
١٩	المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي بن الناصر محمد	٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م
٢٠	الأشرف ناصر الدين شعبان بن حسن بن الناصر	٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م
٢١	المنصور على الأشرف بن شعبان	٧٧٨- ٧٨٣هـ/ ١٣٧٦- ١٣٨١م
٢٢	الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان (الفترة الأولى)	٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١- ١٣٨٢م
٢٣	المصور أمير حاج بن الأشرف شعبان (الفترة الثانية)	٧٩١-٧٩٢هـ/ ١٣٨٩- ١٣٩٠م

(١) سرور، **دولة بن قلاوون**، ص ٣٦٠

جدول رقم (٢) أسماء الأشهر القبطية وما يقابلها بالأشهر السريانية(١)

ت	الأشهر القبطية	الأشهر السريانية
١	توت	أيلول
٢	بابه	تشرين الأول
٣	هتور	نهاية تشرين الأول بداية تشرين الثاني
٤	كهيك	كانون الأول
٥	طوبه	نهاية كانون الأول بداية كانون الثاني
٦	أمشير	شباط
٧	برمهات	نهاية شباط بداية أذار
٨	برمودا	نهاية أذار وبداية نيسان
٩	بشنس	أيار
١٠	بؤنه	حزيران
١١	ابيب	تموز
١٢	مسرى	آب

(١) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص ٢٣٤-٢٥٧.

The Economic life in Egypt during the period of Judgement Qalawoon Dynasty

(٦٧٨ AH / ١٢٧٩ AD-٧٨٤ AH / ١٣٨٢ AD)

Prepared by: Tuama Malah Noomi **Al-Aubidi**

Anwar Audeh Al-Khaldi. Supervised by: Dr

The importance of this study lies in presenting a clear image of economic life in Egypt during the period of the family of sultan Qalawun, through focusing on the aspects of economic life represented by agriculture, industry, and trade. This study has been divided into preface and four main chapters in addition to introduction and conclusion.

The preface has explained the political formation of Mamluk Maritime State through addressing the origin of Mamluks and where they exist, the establishment of the State of the Mamluks, and the transition of government from Al Zahir Bibers family to Qalawun family.

The first chapter addressed agriculture and livestock through six aspects, the first one dealt with the care of Sultans Qalawun family about agriculture, the second one dealt with Nile and its effect on agriculture, the third one dealt with Feudalism and its effect on farmers, the forth one dealt with the types of agricultural land and diversity of crops, the fifth aspect discussed the redistribution of lands in the era of the family of Qalawun which had been known as The Nasserist Rock and the sixth one dealt with livestock.

But the second chapter addressed industries and crafts and their development during the period of Qalawun family through five aspects.

The first one dealt with the textile industry, their types and their centers. The second one dealt with the food industry, their types and centers. The third one dealt with glass, minerals and ceramics industry. The forth aspect dealt with wooden industry its types and the most important centers of it and the fifth one dealt with other industries in Egypt.

The third chapter dealt with internal trade during the period of Qalawun family through three aspects, the first one dealt with factors of trade prosperity during the period of Qalawun family, the second one dealt with markets and souqs in Egypt during that period and the third one dealt with taxes imposed by the state on citizens.

The forth chapter addressed the external trade in the period of Qalawun family through three aspects, the first one dealt with commercial relations between Egypt and east and west countries, the most important commercial centres in Egypt, the second one dealt with international trade routes and the exchanged goods through Egypt between east and west and the third one dealt with Karmic trade.

Finally, the researcher talked about the conclusion then showed the most important results which were resulted in this study